جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

رحلة ابن جبير
دراسة تركيبية وصفية

إعداد
نصلة عبد العزيز مبارك الحقران

إشراف
أ. د. سمير شريف استيتية

أيار ٢٠٠٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رحلة ابن جبير
دراسة تركيبية وصفية

إعداد

نهلة عبد العزيز مبارك الشقران

إشراف

أ. د. سمير شريف استيتية

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في جامعة اليرموك، تخصص اللغة العربية/ لغة ونحو

لجنة المناقشة

أ. د سمير استيتية ..... رئيسا

أ. د سلمان القضاة ..... عضوا

د. خلدون أبو الهيجاء ..... عضوا

د. منير شطناوي ..... عضوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى من جعل الدروب كلها أمامي خضراء

وزرع في قلبي الحب والتسامح

زوجي..... حسام

إلى من علماني العطاء والخير

أمي وأبي

إلى من زرعتا في قلبي حب الاجتهاد جدتي

وأختي رديفة

إلى نبض قلبي

هادي.... ليان.... سندس

إلى كل من أحب.....

أهدي هذا العمل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

وبعد أن أنهيت بفضل الله تعالى ورعايته هذه الرسالة، أتوجه إلى الرحيم المعين بالحمد والشكر على جزيل نعمه وفائض رحمته.

وأتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ الدكتور سمير استيتية الذي غمرني برعايته الصادقة، وتوجيهه المخلص، ودعمه المعنوي والعلمي، فهو الأب الحاني والعالم الفاضل الذي شرفت به اليرموك، فحفزني على قراءة ما وراء النص، واستكناه خبايا الكلام، وزرع الإرادة والتصميم في دربي، وأعانني في كل مراحل بحثي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور سلمان القضاة الذي علمنا مصداقية البحث ودقته، وأعطانا من فيضه الكثير. وأشكر الدكتور خلدون أبو الهيجاء الذي كان عونا لي في وقوفي أمام طلبتي بعلمه وأساليبه التربوية، حيث بث في نفوسنا الإنسانية قبل العلم والتعليم. وأشكر الدكتور منير شطناوي الذي ما توانى عن تقديم العون لطالبه. فأشكرهم جميعا على تجشمهم قراءة هذه الرسالة، داعية الله أن يبارك جهودهم ويجعلها في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

رحلة ابن جبير

دراسة تركيبية وصفية

إعداد

نهلة الشقران

ماجستير لغة عربية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦

إشراف

أ. د. سمير شريف استيتية

صوّر ابن جبير ما شاهد في رحلته من بلدان ومرافق ومقدسات بأساليب لغوية متنوعة، واستخدامات مختلفة تضفي على جمله طابعا خاصا، وتظهر مشاعره، فيبدو متعجبا أو داعيا في مواقف كثيرة.

استخدم ابن جبير الجملة الفعلية بسيطة وموسعة، مؤكدة وغير مؤكدة، مبنية للمعلوم، ومبنية للمجهول، وغالبا ما كان يلجأ إلى التأكيد عند حديثه عن المقدسات الإسلامية، وعند وصفه للخطيب وتأثيره في الناس. وإذا أهمّه الحدث أكثر من المحدِث بنى أفعاله للمجهول. أما الجملة الاسمية فغالبا ما استخدمها ضمن ثلاث صور للمبتدأ، هي: اسم ظاهر، وضمير، واسم إشارة، وكان في كل صورة يستخدم الخبر مفردا وجملة وشبه جملة، لكنه أكثر من استخدام الخبر شبه الجملة.

ويبدو أن الشرق أعجب ابن جبير وبهره، فأكثر من جمل التعجب والمبالغة، كما أن نشأته الدينية أثرت في أسلوبه، فأكثر من جمل الدعاء وحمد الله، وأراد تحري الدقة في وصفه فاستخدم جمل العدد والكم والتاريخ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
الملخص	هـ
الفهرس	ز
المقدمة	١
الفصل الأول: أهمية رحلة ابن جبير	٤
المبحث الأول: التعريف بابن جبير	٥
المطلب الأول: اسمه ونسبه	٥
المطلب الثاني: نشأته وثقافته	٧
المطلب الثالث: أخلاقه وصفاته	٩
المطلب الرابع: أدبه وآثاره	١١
المبحث الثاني: أدب الرحلات ورحلة ابن جبير	١٦
المطلب الأول: دوافع الرحلات	١٦
المطلب الثاني: أهمية أدب الرحلات	١٨
المطلب الثالث: أهمية رحلة ابن جبير	٢٠
المطلب الرابع: تدوين الرحلة	٢٢
الفصل الثاني: تركيب الجملة عند ابن جبير	٢٤
المبحث الأول: مصطلح الجملة	٢٥
المطلب الأول: تعريف الجملة الفعلية	٢٧
المطلب الثاني: تعريف الجملة الاسمية	٢٨
المبحث الثاني: الجملة الفعلية	٣١
المطلب الأول: الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي	٣١
المطلب الثاني: الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع	٧٨
المبحث الثالث: الجملة الاسمية	١٠٥
المطلب الأول: الجملة الاسمية المبتدئة باسم ظاهر	١٠٥
المطلب الثاني: الجملة الاسمية المبتدئة بضمير	١٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: الجملة الاسمية المبتدئة باسم إشارة ١٤٦
الفصل الثالث: تراكيب متكررة عند ابن جبير ١٥١
المبحث الأول: جمل التعجب والمبالغة ١٥٢
المطلب الأول: الأماكن المقدسة والمساجد ١٥٤
المطلب الثاني: المدن والقرى وما تحويه ١٦٣
المطلب الثالث: شخصيات مهمة ١٧٧
المبحث الثاني: جمل الدعاء والثناء على الله ١٨٤
المطلب الأول: بعد وصف مبهر ١٨٤
المطلب الثاني: مناسك الحج ١٨٩
المطلب الثالث: أعمال وتصرفات أعجبته ١٩٢
المطلب الرابع: أعمال وتصرفات لم تعجبه ١٩٥
المطلب الخامس: مجالس الوعظ والخطب ١٩٩
المطلب السادس: عيون الماء ٢٠٠
المطلب السابع: النجاة من أهوال البحر والوصول إلى المكان المقصود ٢٠٢
المبحث الثالث:جمل العدد والكم والتأريخ ٢٠٧
المطلب الأول: جمل العدد ٢٠٧
المطلب الثاني: جمل الكم ٢٠٨
المطلب الثالث: جمل التأريخ ٢١١
الخاتمة ٢١٤
فهرس الأشعار ٢١٥
المعجم ٢١٦
المراجع ٢٢٧
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٣٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

طالما جذبني أدب الرحلات، ونقلني إلى عوالم شتى، قد أستطيع تخيل بعضها، وقد يعجز خيالي أمام بعضها الآخر، وكثيرا ما تساءلت: هل لهذا الأدب لغة خاصة وطرائق تعبير مميزة؟! هل يختلف الرحالة في أساليبهم الكتابية؟! وهل تطبع الرحلة صاحبها بطابع لغوي خاص؟ من هنا كان انطلاقي في البحث عن قيمة هذا الأدب اللغوية، وما يتضمنه من أساليب تعكس شخصية الرحالة. إذ درس الباحثون أدب الرحلات من جوانبه السياسية والاجتماعية والجغرافية والدينية، لكنهم أغفلوه من الجوانب اللغوية، ولم يتنبهوا إلى ذلك إلا في وقت متأخر كان التركيز فيه على أدب الرحلات الحديث والمعاصر.

كان اختياري لرحلة ابن جبير الزاهد الورع- كما يصفه المترجمون- إعجابا بشخصيته. ثم تتبعت أسلوبه اللغوي الذي يصف فيه ما شاهد من مسميات؛ فدرست الجملتين: الفعلية والاسمية عنده،ثم درست تراكيب متكررة عنده كالتراكيب الدالة على التعجب والتراكيب الدالة على الدعاء والتراكيب الدالة على العدد، ثم وضعت معجما صغيرا خاصا بمفردات ابن جبير في رحلته.

انصب أكثر اهتمام الدراسات السابقة على عرض مضامين الرحلة؛ لما تمثله من مصدر غني للمتخصصين في التاريخ والجغرافية، فقد نشر حسين نصار سنة ١٩٦٣م بحثا في مجلة تراث الإنسانية المجلد الثالث، بعنوان: "رحلة ابن جبير" تحدث فيه عن حياته وشعره، ثم عرض لمضامين الرحلة، وكان كلامه مشابها للمقدمة التي وضعها لتحقيق الرحلة، ثم جاءت دراسة قصيرة لعثمان موافي عام ١٩٧٣م بعنوان "لون من أدب الرحلات" تحدث فيها عن عموميات حياة ابن جبير، وأشار فيها إلى شعره ثم إلى مضامين الرحلة. وفي عام ١٩٧٦م نشر عبد القدوس الأنصاري دراسة بعنوان "مع ابن جبير في رحلته" مثلت تلخيصا للرحلة على طولها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي عام ١٩٨٢م أصدرت مجلة البحوث التاريخية السنة (٤) العدد (٢) دراسة لأمين الطيبي بعنوان "المصطلحات البحرية والمعلومات الملاحية في رحلة ابن جبير"، عرض الكاتب فيها ما ذكره ابن جبير عن البحرين الأحمر والمتوسط. ونشر أحمد الشتيوي في عام ١٩٨٧م دراسة في حوليات الجامعة التونسية العدد (٢٦) بعنوان "مواقف ابن جبير السياسية من خلال رحلته" أشار فيها إلى مواقفه من بعض الحكام. وفي عام ١٩٨٩م كتب فلاح شاكر أسود دراسة بعنوان "ابن جبير في رحلته" في مجلة المورد المجلد (١٨) العدد (٤)، قصر اهتمامه فيها على بعض الجوانب الجغرافية في الرحلة.

وفي عام ١٩٩٢م نوقشت رسالة ماجستير لقاسم أحمد عبد العزيز في جامعة اليرموك، تحدث فيها عن حياة ابن جبير وثقافته، ودرس رحلته من حيث قيمتها الجغرافية والتاريخية، وأفرد بابا تحدث فيه عن لغته وأسلوبه بشكل عام، وتحدث أيضا عن شعره عارضا نماذج من ذلك.

وفي عام ١٩٩٦م نشر يوسف الغزو دراسة بعنون "ابن جبير وأدب الرحلات" في حدود أربع صفحات في المجلة الثقافية (التي تصدر عن الجامعة الأردنية) العدد (٣٧)، عرض فيها اهتمام ابن جبير بالرسوم الدينية والنقوش التاريخية. وفي عام ٢٠٠١م نشر شفيق محمد رقب دراسة بعنوان "بلاد الشام في رحلة ابن جبير" في مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، (التي تصدر عن الجامعة الأردنية)، العدد (٢٨) المجلد (٢)، تحدث فيها عن المنشآت الدينية والحضارية التي أنشئت في المدن الشامية الكبرى، كما وصفها ابن جبير، فضلا عن عرض صور من الحياة الاجتماعية آنذاك، وما قاله ابن جبير عن عادات أهل الشام وتقاليدهم. وفي السنة نفسها أصدر إحسان عباس دراسته "دراسة في الرحالة ابن جبير الأندلسي وآثاره الشعرية"، تحدث فيها عن حياته ثم مضامين رحلته، ثم عرض نماذج من شعره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي عام ٢٠٠٤م أصدر إبراهيم أحمد سعيد دراسته حول الحجاز في نظر الأندلسيين والمغاربة في العصور الوسطى، وأفرد لابن جبير فصلا خاصا، ذكر فيه كلام ابن جبير حول الحجاز ومقدساتها. وأفدت أيضا من كتب الرحلات عامة، وأهمها كتاب حسني محمود "أدب الرحلة عند العرب"، وكتاب محمد مؤنس "الجغرافيون والرحالة المسلمون"، وكتاب نقولا زيادة "الجغرافيا والرحلات عند العرب"، وكتاب المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي:"تاريخ الأدب الجغرافي العربي" الذي ترجمه إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم.

و اعتمدت في دراستي خطة اقتضتها ضرورة المنهج وطبيعة الموضوع فجاءت في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أهمية رحلة ابن جبير

الفصل الثاني: تركيب الجملة عند ابن جبير

الفصل الثالث: تراكيب لغوية متكررة عند ابن جبير

والله ولي التوفيق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول
أهمية رحلة ابن جبير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: التعريف بابن جبير

المطلب الأول: اسمه ونسبه

ذكرت المصادر ثلاث روايات لسلسلة نسب ابن جبير، الأولى- وهي الأطول- أوردها المراكشي (ت ٧٠٣هـ) فقال: "هو محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني"[١]، والثانية أوردها السبتي (ت٧٣٠هـ) فقال: "هو محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني"[٢]. أما الثالثة فقد ذكرها لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) وهي: "محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني"[٣].

ومن المحتمل أن تكرار الأسماء في النسب أدى إلى سقوط اسم أو اسمين، أو اختلال في الترتيب كما يرى عبد العزيز[٤].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[١] المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الملك الأنصاري. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. السفر الخامس القسم الثاني. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤م، ص٥٩٥.

[٢] السبتي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. مستفاد الرحلة والاغتراب. ليبيا: الدار العربية للكتاب. ١٩٧٥م، ص ٢٤٣.

[٣] ابن الخطيب، لسان الدين. الإحاطة في اخبار غرناطة. الجزء الثاني. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٧٤م، ص٢٣٠.

[٤] عبد العزيز، قاسم أحمد. ابن جبير حياته وأدبه. رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، ص ٨.

اختلفت المصادر أيضا في كنيته، فقد كناه السبتي بأبي الحسن وكناه الآخرون بأبي الحسين[1]، ويرتبط نسبه بجذور عربية فقد "دخل جده عبد السلام بن جبير في طالعة بَلْج بن بشر بن عياض القُشيري في محرم ثلاث وعشرين ومائة، وكان نزوله بكورة شدونة، وهو من ولد حمزة بن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"[2]. ويقول المراكشي: "وابن جبير بلنسي نزل أبوه بشاطبة، ثم استوطن هو جيان، ثم غرناطة، ثم فاس، ثم الإسكندرية، وأقام أثناء ذلك بسبتة ومالقة وغيرهما حسبما اقتضته الأحوال"[3].

أما مولده، فقد قال المقري (ت ١٠٤١هـ) في شأنه: "كان مولده ليلة السبت العاشر من ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل مولده غير ذلك"[4]. وقال المنذري (ت ٦٥٦هـ): "سألته عن مولده، فقال: ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة أربعين

---

(1) المقري، أحمد بن محمد التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. الجزء الثاني. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٨٨م، ص٣٨١.

والمنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم عبد القوي. التكملة لوفيات النقلة . الجزء الثاني. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ص٤٠٢.

وابن الأبار، أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبو بكر القضاعي. الحلة السيراء. الجزء الثاني. تحقيق حسين مؤنس. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣، ص٢٢٤.

والمراكشي، الذيل والتكملة، ٥٩٥/٢/٥.

والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان . سير أعلام النبلاء. الجزء الثاني. تحقيق بشارعواد معروف، محيي هلال السرحان. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص٤٦.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٠/٢.

(3) المراكشي، الذيل، ٥٩٦/٢/٥.

(4) المقري، نفح الطيب، ٣٨١/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وخمسمائة ببلنسية من شرق الأندلس"[1]. أما ابن الخطيب، فيذكر لنا تاريخين الأول يطابق في المكان ويخالف في الزمان، والثاني يطابق في الزمان ويخالف في المكان، فيقول: "مولده ببلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وقيل بشاطبة سنة أربعين وخمسمائة"[2]، ويوافقه المراكشي في ذلك[3].

ويعزو عبد العزيز هذا الاختلاف في تاريخ الولادة إلى أنه نتيجة "مغادرة والده بلنسية إلى شاطبة، إثر وقوعه في الأسر بعد خلع مروان بن عبد الملك بن عبد العزيز عام ٥٤٠هـ"[4]. وبما أن المنذري اعتمد في روايته على ابن جبير نفسه فهو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

المطلب الثاني: نشأته وثقافته

نشأ ابن جبير في بيئة تهتم بالعلم والتعليم، فكان والده معلمه الأول، ثم دفعه إلى عدد من شيوخ الأندلس، يقول المقريزي (ت ٨٤٥هـ): "سمع من أبيه بشاطبة، ومن أبي عبد الله الأصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش، وأخذ عنه القراءات، وبعد ذلك كتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، وبغرناطة عن غيره من ذوي قرابته"[5].

وأخذ العلم عن علماء المشرق أيضا، في أثناء رحلاته إلى المشرق، ومنهم في مكة: ضياء الدين أحمد بن عبد الوهاب بن علي بن سكينة (ت ٦٠٧هـ)، وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانجي (ت ٥٨٣هـ)، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنكي

---

[1] المنذري، التكملة، ٤٠٧/٢.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٩/٢.

[3] المراكشي، الذيل والتكملة، ٦٢١/٢/٥.

[4] عبد العزيز، ابن جبير، ص ١٤.

[5] المقريزي، تقي الدين. المقفى الكبير. الجزء الخامس. تحقيق محمد اليعلاوي. بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٩١م، ص١٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(٥٩٦هـ)، وأبو محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي (ت ٥٨٠هـ). وفي بغداد أخذ العلم عن أبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). أما في دمشق فقد أخذ العلم عن أبي الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسين بن الحسن الموازيني (ت ٥٨٥هـ)، وأبي سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون (ت ٥٨٥هـ)، وعماد الدين الأصفهاني للكاتب (ت ٥٩٧هـ) [١].

ومن الملاحظ أن تنشئته كانت تنشئة دينية، ودليل ذلك أنه كان رجلا سنيا ورعا تقيا[٢]، ولا ندري أكان صوفيا أم لا كما عده المراكشي[٣]، لأن ذلك لم يُذَع عنه، وكل ما اشتهر به هو زهده.

وأغلب المصادر تذكر عنه وصفا موجزا يشمل دينه وأدبه كما في قولهم: "عُني بالأدب فبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة القريض والكتابة، ونال بها دنيا عريضة، ثم رفضها وزهد فيها"[٤]. فلم يكن زهده نتيجة الفقر أو الحاجة بل هو الذي رفض، وهو الذي زهد.

ومن شعره في الزهد[٥]:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تُطْمِعُهُ ... فِي العَيْشِ وَالأَجَلُ الْمَحْتُومُ يَقْطَعُهُ

يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي عَشْواءَ يَخْبِطُهَا ... أَعْمَى البَصِيرَةِ وَالآمَالُ تَخْدَعُهُ

---

[١] المراكشي، الذيل والتكملة، ٥/٢/٥٩٦.

[٢] المقري، نفح الطيب، ٢/٣٨١.

[٣] المراكشي، الذيل والتكملة، ٥/٢/٦٠٦.

[٤] المقري، نفح الطيب، ٢/٣٨١.

والمقريزي، المقفى الكبير، ٥/١٥٢.

والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٤٦.

والحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. الجزء الخامس. بيروت: المكتب التجاري للطباعة النشر والتوزيع، ص٦١.

[٥] المقري، نفح الطيب، ٢/٤٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَغْتَـــرُّ بِالـــدَّهْرِ مَـــسْرورًا بِـــصُحْبَتِهِ وَقَـــدْ تَـــيَقَّنَ أَنَّ الـــدَّهْرَ بَـــصْرَعُهُ

وَأَسْـــوَأُ النَّـــاسِ تَـــدْبِيرًا لِعاقِبَـــةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِـــي مـــا لَـــيْسَ يَنْفَعُـــهُ

يبدو أنه كان سنيا متمسكا بالسنة، زاهدا بملذات الدنيا، ملتجئا إلى الآخرة بأدبـــه الـــذي وجّه أغراضه خدمة للدين والأخلاق.

المطلب الثالث: أخلاقه وصفاته

تحلى ابن جبير بصفات حسنة، وأخلاق نبيلة، كانت ثمـــرة التربيـــة الـــصالحة، فهـــذا المراكشي يقدم لنا وصفا جميلا إذ يقول عنه: "كان أديبا بارعا، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، ســـنيا فاضلا، نزيه الهمة، سَرِيّ النفس، كريم الأخلاق، أنيق الطريقة في الخط"[1].

من هذه الصفات ما يدل على الإيمان والخلق عند ابن جبير، علاوة على أدبـــه الفـــائق الذي أفرد له المقري وصفا خاصا عندما قال: "ونظمه فائق، ونثره بديع، وكلامه المرسل سهل حسن، وأغراضه جليلة، ومحاسنه ضخمة"[2]. وقد اشتهر بدقـــة الملاحظـــة وســـهولة العبـــارة ووضوح الأسلوب[3]، مما جعله يؤثر في الكتاب الذين جاؤوا بعده.

ومن الجدير بالذكر، أن ابن جبير صاحب المبادئ والأخلاق قد وظف أدبه فـــي ســـبيل الحث عليها شعرا ونثرا، فمن وصاياه الشعرية[4]:

وَمَـــصانِعُ الْمَعْـــروفِ فَلْتَـــةُ عاقِـــلٍ إِنْ لَـــمْ تَـــضَعْها فـــي مَحَـــلِّ عاقِـــلِ

---

[1] المراكشي، الذيل والتكملة، ٦٠٧/٢/٥.

[2] المقري، نفح الطيب، ٣٨١/٢.

[3] انظر مؤنس، حسين. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. ط٢. القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٤٢٩.
وزيادة، نقولا. الجغرافيا والرحلات عن العرب. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢م، ص ١٦١.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٧/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَـالنَّفْسِ فـي شَـهَواتِها إنْ لَـمْ تَكُـنْ وَقْفًـا لَهـا عـادَتْ بِـضُرٍّ عاجِـلِ

ومن حكمه النثرية: "إن شَرَف الإنسان فشرفٌ وإحسان، وإن فاق ففضلٌ وإرفاق. ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه، كما يحفظ الجفن إنسانه، فرب كلمة تقال تُحدث عثرة لا تقال...."[1].

ومن أهم صفاته أنه "كان من أهل المروءات عاشقا في قضاء الحوائج، والسعي في حقوق الإخوان، والمبادرة لإيناس الغرباء"[2].

يَحْسَبُ النَّاسُ بِأَنّي مُتْعَبٌ فـي الشَّفاعاتِ وَتَكْليفِ الْوَرى
وَالَّذي يُتْعِبُهُمْ مِنْ ذاكَ لي راحَةٌ في غَيْرِها لَنْ أُفْكِرا
وَبِوُدّي لَوْ أَقَضّي الْعُمْرَ في خِدْمَةِ الطُّلاّبِ حَتّى في الْكَرى

ومن صفاته الجميلة أنه كان وفيا لزوجته، مقدّرا لها إذ خصص لها ديوانا سماه: "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح". وقد أعجب المقري بصفاته مما جعله يرى أن الدعاء عند قبره مستجاب[4]، وأورد في كتابه مدحا له على لسان أبي عبد الله بن الحاج صاحب الموشحات يقول فيه[5]:

لأبي الْحُسَيْنِ مَكارِمٌ لَوْ أَنَّها عُدَّتْ لَما فَرَغَتْ لِيَوْمِ الْمَحْشَرِ
وَلَهُ عَلَيَّ فَضائِلٌ قَدْ قَصَّرَتْ عَنْ بَعْضِ نُعْماها عِظامُ الأَبْحُرِ

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/٢٣٧.

(2) المقري، نفح الطيب، ٢/٤٨٨.

(3) المقري، نفح الطيب، ٢/٤٨٨.

(4) المقري، نفح الطيب، ٢/٤٨٩.

(5) المقري، نفح الطيب، ٢/٤٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نُعت ابن جبير بنعوت عديدة دالة على الخلق والفضل، فوصفه الحنبلي بالإمام الرئيس[1]، وسماه المنذري[2] بالشيخ الأجلّ الصالح الفاضل الأديب الكاتب، أما السبتي[3] فنعته بالأديب الفاضل الزاهد.

المطلب الرابع: أدبه وآثاره

كان ابن جبير أديبا متقنا للشعر والنثر، وعُرف بجمال الخط وأناقته- كما ذكرنا- لذلك عمل كاتبا عند أبي سعيد بن عبد المؤمن (ت ٥٧١هـ) وبعض أقربائه، ثم مدحهم في شعره، وعندما توجه ابن جبير إلى المشرق "جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته"[4].

وصف المراكشي شعره قائلا: "ونظمه فائق، وقفت منه على مجلد متوسط يكون قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، بجمع أبي بكر الصولي أو نحو ذلك، ومنه جزء سماه: "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح" أودعه قطعا وقصائد في مراثي زوجه أم المجد، بعد وفاتها والتوجع لها أيام حياتها، تزيد بيوته عن ثلاثمائة سوى موشحات خمس جعلها قريبا من آخره، ومنه جزء سماه "نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان"، ويشمل أزيد من مائتي بيت في قطع"[5]. لكن هذا الديوان لم يصل إلينا، وإنما نجد بعض أبياته منثورة هنا وهناك، في كتب التراجم والأدب.

---

[1] الحنبلي، شذرات الذهب، ٦١/٥.

[2] المنذري، التكملة، ٤٠٧/٢.

[3] السبتي، مستفاد الرحلة، ٢٤٣.

[4] المراكشي، الذيل، ٦٠٧/٢/٥.

[5] المراكشي، الذيل، ٦٠٨/٢/٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان ابن جبير مدّاحا[1] لولاة الموحدين، فكانت قصائده المدحية وسيلة رزقه فضلا عن عمله الديواني، "ولكنه اتجه بعد رحلته بشعره اتجاها آخر، نتيجة شوقه إلى طيبة ومكة، وغيرهما من الأماكن المقدسة، فأصبحت مشاعره تحفزه للعودة[2]"، واستطاع الحنين الرقيق أن يدمغ أكثر شعره بطابعه، فضلا عن طابع النصائح والحكم والحث على مكارم الأخلاق كما أشرنا سابقا.

فمن شعره في تذكر طيبة[3]:

يـــا أهـــلَ طيْبَـــةَ قلبـــي ... عَـــنْ مَـــنهَجِ الـــصَّبْرِ جـــارا

أشْـــكو إلَـــيْكُمْ زَمانـــا ... علَـــيَّ بِـــالبَيْنِ جـــارا

وبَعْـــدكُمْ لَـــمسْتُ أرْضـــى ... مِـــنَ البَرِيَّـــةِ جـــارا

ودَمْـــعُ عَيْنِـــي علَـــيْكُمْ ... لأنْمُـــعِ المُـــزْنِ جـــارى

ومن شعره في الشوق للأماكن المقدسة[4]:

طـــالَ شـــوقي إلـــى بِقـــاعٍ ثـــلاثٍ ... لا تَـــشُدُّ الرِّحـــالَ إلاّ إلَيْهـــا

إنَّ لِلـــنَّفْسِ فـــي سَـــماءِ الأمـــاني ... طـــائِرا لا يَحـــومُ إلا عَلَيْهـــا

قَـــصُّ مِنْـــهُ الجَنـــاحُ فَهْـــوَ مَهـــيضٌ ... كُـــلَّ يَـــوْمٍ يَرْجـــو الوُقـــوعَ لَـــدَيْها

وانظر كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. الجزء الثامن. بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، ص٢٤٥.

[1] انظر عباس، إحسان. دراسة في الرحالة ابن جبير الأندلسي البلنسي الكناني وآثاره الشعرية والنثرية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م، ص ١١-٢٢.

[2] عباس، دراسة في الرحالة ابن جبير ، ص ٢٧.

[3] عباس، دراسة في الرحالة ابن جبير، ص ٦٢.

[4] المقري، نفح الطيب، ٢/ ٤٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما نثره فهو بديع وسهل وفقا لما جاء عند ابن الخطيب والمراكشي[1]، وقد أورد ابن الخطيب بعض حكمه النثرية. وبسبب انصرافه إلى الكتابة الديوانية وما تحتاجه من إتقان أسلوبي، ظهر السجع في نثره، بيد أنه كان قليلا في رحلته، فهي التي تمثل مذكراته الخاصة التي خرج بها عن الكتابة الديوانية، حيث دوّن فيها بعض الوقائع والأماكن التي شاهدها. "ولا ريب في أن له رسائل إخوانية كثيرة، فقد كان بينه وبين أدباء عصره في الأندلس والمشرق مخاطبات وجوابات، ولكن لم يصلنا منها شيء إلا بضعة نماذج، لا تعبر تعبيرا عاليا عن قدرته في الترسل"[2].

وأما أهم نثره فهو رحلته الشهيرة، لما تضمنته من قيم لغوية وجغرافية وتاريخية وسياسية واجتماعية. فقد رحل ابن جبير إلى المشرق ثلاث مرات حجّ في كل واحدة منها، ولم يدوّن إلا الرحلة الأولى التي ابتدأت يوم الخميس الثامن من شوال سنة (٥٧٨ هـ)، وانتهت يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم سنة (٥٨١هـ)[3]، "فجمع ما شاهد من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدائع المصانع، في كتاب ممتع مؤنس مثير سواكن النفوس"[4].

أما سبب رحلته هذه فيوضحه المقري إذ: "إن أبا سعيد بن عبد المؤمن استدعاه، لأن يكتب عنه كتابا، وهو على شرابه، فدعاه لأن يشرب معه، فرفض ابن جبير قائلا: يا سيدي ما شربتها قط. فقال أبو سعيد: والله لتشربنّ منها سبعا، حينها اضطر ابن جبير للشرب، فملأ له أبو

---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٧/٢.

والمراكشي، الذيل، ٢/٥/ ٦٠٨.

(2) عباس، إحسان. دراسة في الرحالة ابن جبير، ٢١.

(3) انظر المراكشي، الذيل، ٥٩٦/٢/٥.

(4) المراكشي، الذيل، ٥٩٨/٢/٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سعيد الكؤوس السبعة دنانير، فأخذ الدنانير وقد عزم على أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير"[1].

ويعلق حسين نصارعلى هذه القصة التي لم تذكر إلا عند المقري فيقول: "إن القصة ملفقة من أساسها، فإذا كان ابن جبير قد خرج في رحلته الأولى، عام (٥٧٨هـ) فإن الأمير أبا سعيد قد مات في سنة (٥٧١هـ)، فمن المحال أن يكون الحج في السنة نفسها، بل من المستبعد أن يكون الحج لهذا السبب، لما بين التاريخين المذكورين من مدة طويلة، يضاف إلى ذلك أن الرجل يثني في رحلته على تدين الموحدين، ويذم غيرهم من الأمراء ويصفهم بالبعد عن الدين"[2].

أما عبد العزيز فيقول: "لقد انفرد المقري برواية هذه القصة، ولم يذكرها أحد قبله من أصحاب المصادر المعاصرة، أو القريبة من عصر ابن جبير، واستلهمت أغلب الدراسات الحديثة هذه القصة، وراجت كثيرا رغم ذلك فإن القصة تبدو ملفقة...."[3].

ولا أدري ما المانع من أن يكون قد حج بعد مدة من وفاة الأمير؛ فلماذا لا يكون قد احتفظ بالمال إلى أن حان الوقت المناسب، ولربما شغلته أحواله عن البرّ بقسمه بُرهة من الزمن، بسبب مرض زوجته التي وصف ألمها في شعره، أو انشغاله بأولاده إلى أن كبروا واطمأن عليهم.

وأما الرحلة الثانية فقد ابتدأت يوم الخميس التاسع ربيع الأول سنة (٥٨٥هـ)، وانتهت يوم الخميس الثالث عشر من شعبان سنة (٥٨٧هـ). وتذكر المصادر[4] أن ابن جبير قام

---

[1] المقري، نفح الطيب، ٣٨٥/٢.

[2] نصار، حسين. أدب الرحلة. القاهرة: الشركة المصرية العالمية، ١٩٩١م. ص ٢٠.

[3] عبد العزيز، ابن جبير، ص٣١.

[4] المقري، نفح الطيب، ٣٨١/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

برحلته هذه بعد سماعه انتصار صلاح الدين يوسف بن أيوب على الصليبيين، وفتحه لبيت المقدس سنة (٥٨٣هـ). "وقد تمكن في هذه الرحلة من الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة المسجد النبوي، والمسجد الأقصى"[١].

أما الرحلة الثالثة فقد كانت بعد وفاة زوجته بأيام، فقد كانت وفاتها بسبتة سنة (٦٠١هـ)، وكان حزنه الشديد على وفاة زوجته "أم المجد" سببا في هذه الرحلة، ولذلك لم يعد منها، "حيث وصل إلى مكة سنة (٦٠٢هـ)، ثم ذهب إلى القدس ثم إلى مصر والإسكندرية، فأقام فيها يحدث إلى أن لحق بربه يوم الأربعاء السابع والعشرين[٢]، من شعبان الموافق سنة (٦١٤هـ)[٣].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولسان الدين، الإحاطة، ٢/٢٣٧.

[١] المراكشي، الذيل والتكملة، ٥/٢/٦٠٦.

[٢] يرى حسين مؤنس أنه توفي سنة ٦١٦ أو ٦١٧هـ. مؤنس، حسين. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. ط٢. القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٣٧.

[٣] المراكشي، الذيل، ٥/٢/٦٠٦.

المبحث الثاني: أدب الرحلات ورحلة ابن جبير

المطلب الأول: دوافع الرحلات

لا شك في أن للرحلات دوافع ومسببات فقد "ساعدت الرحلة الإنسان على اكتشاف موطنه، أي كوكبه الأرض، كما أدت به أن يدرك مدى انتشاره في بقاعها، وأن البشر قد سلكوا مناحي مختلفة، وتعددت ألسنتهم إلى جانب تنوع طرائق حياتهم"[1].

فمنذ أن دب الإنسان على هذه الأرض، وهو يحاول اكتشاف ما يحيط به من أسرار؛ بقصد التعرف والسيطرة على ما يكتنفه من الحياة، "فالإنسان ولد راحلا"[2]. يعشق البحث والمعرفة، ويحاول اكتشاف المجهول.

أما دوافع هذه الرحلة التي أنشأت هذا الأدب فتتلخص في ما يأتي:

أولا: "إن من أهم الأسباب والدوافع التي مهدت للرحلة والرحالة الطريق لارتياد العلم، هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقا، حتى المحيط الأطلسي غربا، فقد عني المسلمون بعد الفتوح العربية بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءا من دولتهم، فدوّنوا لها الدواوين ونظّموا لها البريد"[3]."فكان المسلمون يتنقلون في سبيل المعرفة من قطر لآخر، وحرص علماؤهم على تدوين مشاهداتهم ليطلع عليها الخلق ويستفيدوا منها"[4]، فطبيعي أن تكون الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، بسبب تعدد مراكز الثقافة، وحاجة طالب العلم إلى الترحال والتنقل.

---

[1] فهيم، حسين محمد. أدب الرحلات،الكويت، ١٩٨٩، ص ١٠.

[2] ضيف، شوقي. الرحلات. القاهرة: دائرة المعارف، ١٩٨٧، ص ٧.

[3] أحمد، أحمد رمضان. الرحلة والرحالة المسلمون. جدة: دار البيان، ص ٧.

[4] مال الله، علي محسن عيسى. أدب الرحلة عند العرب في المشرق. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٨م، ص ١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: "وصف الأقاليم التي اعتبرت جزءا من أخبار الفتوح والمغازي، كما كانت أنحاء الدولة الإسلامية المتسعة الأرجاء تتطلب الدراسة والوصف"[1]. وبخاصة العصران: الأموي والعباسي لكثرة ما وقع فيهما من الفتوحات والتغيرات في الدولة الإسلامية.

ثالثا: "تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول ﷺ"[2]، والتكفير عما ارتكبه المسلم من الذنوب، كما فعل ابن جبير. فعندما يأتي الرحالة إلى الديار المقدسة حاجا يزور في طريقه أماكن عدة، فيذكرها واصفا مناقشا.

رابعا: "التجارة كانت عاملا له أهميته في ازدياد حركة الاتصال بين العرب وبين البلدان المعروفة آنئذٍ، ولقد تعاظمت بعد ظهور الإسلام"[3]، وكان من شأنها الحاجة إلى الترحال والتنقل من بلد إلى آخر، لتيسير شأن القوافل التجارية ونقل البضائع.

خامسا: "كان للتوسع السياسي وانتشار رقعة الدولة الإسلامية في مناطق بعيدة، أثر بالغ في السياحة، واتخاذها وسيلة للدراسة، والوقوف على ما في تلك المناطق من عجائب وغرائب"[4].

سادسا: "الطواف والتجول في الأرض، من أجل الرحلة المتجردة من كل غرض غير غرض الرحلة ذاتها، وقد يتمثل هذا الغرض في هواية جمع أوصال المعرفة والانفتاح على الحياة، أو في تعشق زيارة الأقطار والأمصار والتعامل مع الحياة"[5]. فقد يخلق الإنسان رحالا في طبعه، دون هدف يذكر، أو سبب معيّن للرحلات التي يقوم بها.

---

[1] أحمد، الرحلة، ص ١٠.

[2] نصار، أدب الرحلة، ص ١٩.

[3] مال الله ، أدب الرحلات، ص ١٣.

[4] مال الله، أدب الرحلات، ص ١٤.

[5] الشامي، صلاح الدين. الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢م، ص ٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن الرحلة لا بد أن " تكون هواية، تشبع حاجة في نفس الإنسان وترضيه، وقد تكون احترافا، يخدم حاجة الإنسان ويشبعه. ولكنها تكون- في الحالتين- استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة، تدعو الإنسان دعوة صريحة وملحة، لكي يخترق حاجز المسافة ومتاعب الاغتراب، وصولا إلى غاية مباشرة أو تحقيقا لهدف معين"[1].

المطلب الثاني: أهمية أدب الرحلات

عَرَض أدب الرحلات لمعظم مجالات الحياة، ولذلك فإن فيه مادة وفيرة تهم علماء الأدب والتاريخ والجغرافية والاجتماع والاقتصاد والسياسة والإنثروبوجيا ."فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، فهي في مجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور"[2]. ومصدر لمعرفة أفكار الناس وطرق تعاملهم عبر الأزمنة، ووسيلة لانتشار القيم الحضارية بين المجتمعات، فضلا عن كونه أثرا أدبيا.

أما أهمية هذا الأدب فتتمثل في قيمتين:

الأولى: علمية، لما تحويه هذه الرحلات من معارف، وأحداث، وتسجيل وصفي لها، يهم المتخصصين.

والثانية: أدبية، لما تتميز به من أساليب خاصة يستخدمها الرحالة في وصفهم، وفي تسجيلهم للظواهر، وفي طرق تعبيرهم المختلفة فيما بينهم.

---

[1] الشامي، صلاح الدين. الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية. عالم الفكر. مجلد ١٣، عدد ٤. ص ١٣.

[2] محمود، حسني. أدب الرحلة عند العرب ورحلات أمين الريحاني نموذجا. الوكالة العربية للنشر والتوزيع، ص ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد وصف محمد الخضر حسين أدب الرحلة بأنه "من الآداب العنية التي هي كمال الإنسانية، وحث الإنسان على أن يحتفظ بها في وطنه كما يحتفظ بها في غير وطنه"[1].

أما شوقي ضيف فيقول: "ولا نبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي لسبب بسيط، وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتُهم بها هذا الأدب، وهي تهمة قصوره عن فن القصة"[2].

فلو نظرنا إلى الرحلة لوجدناها " عبارة عن سرد حر، بالإضافة إلى الوصف الذي يشكل العنصر التعويضي، بل الجهد الذي يبذله أدب الرحلة للمحافظة على الهوية الأدبية، ورفع مستوى الرحلة إلى مستوى الآثار الأدبية، ونقلها من المشهادة البسيطة إلى الأثر الفني"[3]، لذلك فهي باكورة الفن القصصي لما تحويه من أحداث، وسرد، ووصف.

ويجب ألا ننسى أن لأدب الرحلة تأثيرا مهما في نماء العلوم، واتساع دائرتها، وفي ثراء الأدب وتقويته، "كما أنها تقوم على عقد رابطة التعارف والتعاطف بين الشعوب، وتكسب الإنسان خبرات جديدة مكتسبة من عوالم شتى"[4].

ومن ناحية جغرافية فقد "أنعش انطلاق الرحلة وشحذ الحس الجغرافي الفطري وحفزه لكي يلهم حركة الحياة، ويبصرها عندما فتحت الأعين على الرؤية الجغرافية، ودعت إلى أكبر قدر من استشعار وإدراك مدى التباين و التنوع بين المكان والمكان الآخر"[5].

---

[1] انظر حسين، محمد الخضر. الرحلات. جمعه وحققه علي الرضا التونسي. ١٩٧٦، ص ١٨.

[2] ضيف، الرحلات، ص ٦.

[3] زيتوني، لطيف. السيميولوجيا وأدب الرحلات، عالم الفكر، المجلد (٣)، العدد (٢٤)، ص ٢٥١.

[4] الشامي، الرحلة عين ، ص ٢٤.

[5] الشامي، الرحلة عين ، ص ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: أهمية رحلة ابن جبير

ترك لنا ابن جبير رحلة هامة ذات لغة أدبية مميزة غير معهودة؛ لذلك وصفه كراتشكوفسكي بأنه "رفع الصياغة الأدبية إلى درجة عالية في أدب الرحلات، ولا غرابة في هذا إذ ينتمي هو وأبوه إلى طبقة الكتاب والأدباء من رجال الدواوين المثقفين"[1].

ولا شك في أن هذه الرحلة "تمثل أهمية قصوى في تصوير حياة ذلك العصر، فهي تقدم وصفا حيا لمصر والشام، عندما بدأت فيهما حركة التحرير الإسلامية ضد الصليبيين بزعامة نور الدين وصلاح الدين، وللرحلة قيمة فريدة في ما يتعلق بتصويرها لحياة مسلمي صقلية"[2].

وصف ابن جبير في رحلته أدق التفاصيل في حياة الناس الاجتماعية آنذاك، "فقد رصد ابن جبير في رحلته صورا متعددة من الحياة الاجتماعية تمثل بعض مناسبات القوم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهي في أغلبها تغاير ما ألفه في المغرب الإسلامي؛ فقد أعجب باحتفال الناس بعدد من المناسبات الإسلامية مثل: ليلة النصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من رمضان"[3]، ونقل أيضا طريقتهم في التخاطب وبيّن عباراتهم في ذلك. وذكر صورا كثيرة توضح العلاقات بين أهل البلاد والصليبيين.

و امتاز أيضا بذكر التفاصيل البحرية، وتصوير هول مفاجآتها في أثناء رحلته، يقول حسين مؤنس: "لو درسنا كلام ابن جبير في البحر والسفن، وأوصافه لما رأى وعاين فيه وعليها

---

[1] كراتشكوفسكي. أغناطيوس . تاريخ الأدب الجغرافي العربي. نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ص ٢٩٩.

[2] كراتشكوفسكي، تاريخ، ص ٣٠١.

[3] رقب، شفوق محمد. بلاد الشام في رحلة ابن جبير. دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٢٨، المجلد٢، ص٣٤٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكانت من ذلك رسالة غاية في الأهمية، عن الملاحة في البحرين الأبيض والأحمر في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي"[1].

ويسمي حسين مؤنس الرحلة بالكنز الحافل بالمعلومات[2]، لدقة وصف ابن جبير وصدقه وملاحظته القوية. وعلاوة على اهتمام ابن جبير "بالرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية، فإننا نجد مشاعر الحج كلها مدونة، وصعوبات السفر، ومواكب الأمراء، وتجارة مكة كلها موصوفة وصفا بارعا دقيقا"[3].

من القيم الدينية في الرحلة أن ابن جبير اهتم بوصف المقدسات الإسلامية، وتوقف طويلا عند المساجد، وأحصى عددا كبيرا منها، وأبدى اهتماما ملحوظا بالمسجد الأموي في دمشق. وللرحلة قيمة مهمة من الجانب العمراني، إذ يظهر ابن جبير وصفا دقيقا لفن البناء والعمران، ووصف الأبنية في المدن التي زارها. ولها أيضا أهمية في إظهار النهضة الطبية "التي برزت في إقامة البيمارستانات في العديد من المدن"[4]."ألقت الرحلة الضوء على النشاط الاقتصادي في زمان ابن جبير، لا سيما التجاري في بلاد الشام، ولم يكن تناوله قاصرا على القوى الإسلامية فقط، بل إنه امتد ليشمل القوى الصليبية وعلاقاتها بالمسلمين على المستوى التجاري"[5].

وهكذا احتوت رحلة ابن جبير على تناول هام لجميع الجوانب المتصلة بحياة بلاد الشام.

---

[1] مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٤٤٢.

[2] انظر مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٤٤٨.

[3] زيادة، نقولا. الجغرافيا والرحلات عند العرب. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢م، ص ١٦١.

[4] مؤنس، محمد. الجغرافيون والرحالة المسلمون، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٥م، ص ٣٠١.

[5] مؤنس، الجغرافيون، ص ٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الرابع: تدوين الرحلة

رافق ابن جبير في رحلته جده لأمه القاضي ابن عطية ، وأبو جعفر أحمد بن حسان بن أحمد بن الحسن القضاعي[1]، وهو رجل عالم أديب دارس محب للبحث والاكتشاف مثله[2].

وقد عمد إلى تسجيل مذكراته في أثناء رحلته، ثم جمعها ونظمها في كتاب، قال كراتشكوفسكي: "إن عنوانه غير معروف لنا بالضبط، ويوجد له عنوانان تغلب عليهما الصنعة، هما: "كتاب اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، و"تذكير بالأخبار عن اتفاقات الآثار"، ولكن كليهما منحول على ما يظهر، ويمكن القول إن العنوان ربما كان بكل بساطة "رحلة الكناني نسبة إلى القبيلة التي ينتسب إليها"[3].

ثم يكمل قائلا: "ورغما من ذيوع صيته، فإن الدوائر العلمية الأوروبية لم تعرف إلى الآن سوى مخطوطة وحيدة لرحلته موجودة بلندن، يرجع تاريخها إلى عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، وقد أصبحت الرحلة معروفة بفضل الطبعة الجزئية لدوزي وأماري، ولم تلبث أن أصبحت في متناول الأيدي بفضل الطبعة الكاملة التي نشرها المستشرق البريطاني رايت عام (١٨٥٢م)ثم بفضل الترجمة الإيطالية الجيدة عام (١٩٠٦م)"[4].

ولا أدري لماذا يؤكد كراتشكوفسكي أن العنوانين منحولان، فليست الصنعة غريبة على ابن جبير ولا بعيدة عنه، ومن عادته أن يميل إليها في مخاطباته، ولم يستطع إخفاءها في تدوين رحلته.

---

[1] أحمد، الرحلة، ص ٣٣٢.

[2] الغزو، يوسف. ابن جبير وأدب الرحلات. المجلة الثقافية، العدد ٣٧، ص ١٠٦.

[3] كراتشكوفسكي، تاريخ، ص ٢٩٩.

[4] كراتشكوفسكي، تاريخ، ص ٣٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما يدعو إلى الاستغراب أن المراكشي لم يعد ابن جبير المصنف الوحيد للرحلة، بل افترض وجود شخص آخر قام بترتيبها، وتنفيذها بناء على ما تلقاه منه. [1]

وربما كان السبب الذي دعاه إلى قول ذلك، هو كتابة ابن جبير رحلته في مذكرات؛ فافترض المراكشي أن المذكرات بحاجة إلى التنميق، والترتيب، وإعادة النظر. ولكن الناظر إلى الكتاب يجده مؤرخا بكل تفاصيله، مستندا إلى ضمير المتكلم في وصف الأحداث، مما يدلّ على أنها مذكرات واقعية لرحلة ابن جبير، بأسلوبه وحده.

وقد أعجب الإسباني "بالنثيا" بأسلوب ابن جبير في رحلته، فقال: "صاغ ابن جبير رحلته في أسلوب بارع وصور فيها بكلام سهل بسيط الأحاسيس التي اعتلجت في نفسه في المواضع التي زارها، أو عند مشاهدته الآثار التي رآها؛ وأسلوبه سلس جزل ينم على موهبة أدبية أصيلة، وعلى خلقه الحازم الوقور"[2].

---

[1] انظر المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٩٨/٢/٥.

[2] بالنثيا، آنخل جنثالث. تاريخ الفكر الأندلسي. نقله عن الإسبانية حسين مؤنس. من مختارات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، ص ٣١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني
تركيب الجملة عند ابن جبير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: مصطلح الجملة

إن مصطلح الجملة حديث النشأة، إذ لم يذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) هذا المصطلح، وإنما استخدم مصطلح الكلام بدلالات متعددة، غير دلالة الجملة بمعناها الاصطلاحي، كمقابلته الكلام بالشعر، وكاستخدامه له بمعنى اللغة[١]. أما بعد سيبويه فقد ظهر مصطلح الجملة مع مصطلح الكلام، واستخدما معا مترادفين للدلالة على شيء واحد بعينه، فابن جني (ت ٣٩٢هـ) يقول: "الكلام: كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[٢]. ثم في فترة متأخرة استُخدم مصطلح "الكلام" بوصفه أخص من الجملة، فالجملة كما يراها الرضي الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) "هي ما تضمنت الإسناد الأصلي "الفعل والفاعل" أو "المبتدأ والخبر"، سواء أكان هذا الإسناد مقصودا لذاته أم لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ.أما الكلام فهو ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس"[٣]. ويرى السيوطي (ت ٩١١هـ) الرأي نفسه إذ يقول: "ذهبت طائفة إلى أن الجملة والكلام مترادفان،..... والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها"[٤].

أما علماء العصر الحاضر فيرى بعضهم أن الكلام هو التطبيق الصوتي والمجهود العضوي الحركي الذي تنتج عنه أصوات لغوية معينة. أما الجملة فهي وحدة الكلام الصغرى أو

---

(١) انظر عبد اللطيف، محمد حماسة. بناء الجملة العربية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. الجزء الأول. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٢م، ص ١٧.

(٣) الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح الرضي على كافية ابن الحاجب. الجزء الأول. تحقيق عبد العال سالم مكرم، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م، ص ١٩.

(٤) السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. الجزء الأول. شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١م، ص ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هي الحد الأدنى من اللفظ المفيد [1].فالكلام تنفيذ فردي واستخدام شخصي لجهاز اللغة، وهو عمل فردي يشمل ما ينطقه أو ما يكتبه الفرد [2].

والجملة العربية بنية تقوم على وظيفتين، هما الدعامة الأصلية في الجملة، سماهما سيبويه المسند والمسند إليه، وعرّفهما بأنهما "ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا"[3]. والمسند إليه يسمى أيضا المحكوم عليه، أو المخبر عنه، أو المتحدث عنه أو المبني عليه. والمسند يسمى المحكوم به أو المخبر به، وهو ما يقوله المتكلم في شأن المسند إليه، "فالفائدة للسامع في الخبر؛ لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى، واستغنى للكلام"[4]. ويضيف بعضهم عنصرا ثالثا هو علاقة الإسناد أو الارتباط. "والإسناد: هو أن تخبر في الحال وفي الأصل بكلمة أو أكثر عن أخرى، على أن يكون المخبر عنه أهم ما يخبر عنه بذلك الخبر في الذكر وأخص"[5]. والإسناد يكون بين المبتدأ والخبر وبين الفعل والفاعل؛ لذا تم تصنيف أنواع الجمل في العربية بناء على فكرة الإسناد إلى نوعين رئيسين هما: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية.

وهذان النوعان هما أساس هذه الدراسة، باعتبارهما أساس تركيب الكلام. "ولقد أكد النحاة أن ما يميز الجملة الفعلية والاسمية ليس شكلهما الظاهري، بل بحسب الأصل الذي كانت

---

[1] انظر حسان، تمام. مناهج البحث في اللغة. ط٢. دار الثقافة: القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣٤.

[2] انظر حسان، مناهج، ص ٣٥.

[3] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. الجزء الأول. ط٣. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م. ص ٢٣.

[4] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب. الجزء الرابع. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت: عالم الكتب، ص ١٢٧.

[5] الإستراباذي، شرح الرضي، ١٧/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليه"[1]. وبذلك تكون الجملة الاسمية هي "المكونة من مبتدأ وخبر، أو مما كان أصله المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية هي المكونة من فعل وفاعل، أو مما كان أصله الفعل والفاعل"[2]. فلا نستطيع القول إن الجملة الفعلية هي المصدرة بفعل، وإن الجملة الاسمية هي المصدرة باسم كما قال بعض النحويين القدماء[3]. "ثمة العديد من الجمل التي يعدها النحاة فعلية ولم يتصدرها فعل، أو اسمية ولم يتصدرها اسم، وهي تلك التي يتصدرها الحرف عاملا كان- كما يقول النحاة- أو مهملا. ومن ناحية أخرى ثمة جملة يتصدرها اسم ومع ذلك يعدها النحويون جملا فعلية لا اسمية كالابتداء بالحال أو المفعول به أو النداء أو القسم"[4].

والآن سنورد مفهوم كل جملة على حدة، ثم نذكر الصيغ الخاصة بها عند ابن جبير.

المطلب الأول: تعريف الجملة الفعلية

تتكون الجملة الفعلية في صورتها البسيطة،من ركنين أساسيين: الأول: الفعل أو الحدث ،الثاني: الفاعل الذي يسند إليه الفعل لقيامه، أو اتصافه به، ولكنها تحتاج إلى ركن ثالث "المفعول به" إذا كان الفعل متعديا؛ أي لا يكتمل معناه إلا بوجود المفعول به.

أما أركان الإسناد في الجملة الفعلية فتنحصر في الاسم ، وهو ما دل على ذات أو معنى، والفعل وهو ما دل على حدث مرتبط بزمان. ولقد عرّف سيبويه الفعل بأنه "أمثلة أخذت

---

(1) رضوان، عبد الرحيم. بناء الجملة الفعلية في ضوء علم اللغة المعاصر. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٤، ص ٣٢.

(2) أبو المكارم، علي. الجملة الفعلية. القاهرة: مكتبة الشباب، ص ٣٧.

(3) انظر ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. الجزء الثاني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م، ص ٤٣٣.

وهمع الهوامع، ٣٧/١.

(4) أبو المكارم، الجملة الفعلية، ص ٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"[1]. فهو بذلك يشير إلى كون الفعل مشتقا من المصدر، كما يرى البصريون، ويبين أقسامه الزمانية. وقد اعتمد النحويون طرقا عدة في تعريف الفعل، منها التعريف بالمثال، وبالحد، وبالعلامة. وكلها تدور حول فكرة الحدث والزمن[2].

أما الفاعل فقد "يأتي بعد الفعل مباشرة أو منفصلا عنه، وتتفرع صور الفاعل في الأساليب؛ فيأتي صريحا أو مؤولا، ظاهرا أو مقدرا، وعلى المعرب ألا يتزحزح عن الفعل حتى يسنده إلى فاعله"[3]. "ويرتبط المفعول به مع فعله، عن طريق دلالة الفعل على المجاوزة ، وهي التعدية المدلول عليها بحالة النصب"[4].

وقسمت الجملة الفعلية كما وردت عند ابن جبير، وفقا لما يأتي:

أولا: الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل الماضي.

ثانيا: الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل المضارع.

وتناولت في كل جانب، البناء للمعلوم والبناء للمجهول، مقسمة إياه إلى مؤكد وغير مؤكد.

المطلب الثاني: تعريف الجملة الاسمية

الركنان الأساسيان في الجملة الاسمية هما المبتدأ والخبر، أو المسند إليه والمسند. "الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، وقد يكون نكرة إذا تخصص بالوصف، والأصل في الخبر أن يكون نكرة ، وقد يكون معرفة كقولك: الله ربنا ومحمد نبينا"[5].

---

[1] سيبويه، الكتاب، ١٢/١.

[2] انظر الفضلي، عبد الهادي. دراسات في الفعل. بيروت: دار العلم، ١٩٨٢م، ص ٧.

[3] الكوفي، نجاة عبد العظيم. بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص ٩٢.

[4] عبد اللطيف، بناء الجملة الفعلية، ص ١٤١.

[5] دراز، طنطاوي محمد. الابتداء ولواسخه. صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ١٩٩٥م، ص ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمبتدأ مقدم على الخبر؛ "لأنه محكوم عليه، ولا بد من وجوده قبل الحكم، فقُصد في اللفظ أيضا، أن يكون ذكره قبل ذكر الحكم عليه"[1]. ووصف سيبويه المبتدأ والخبر بالمسند والمسند إليه فقال: "هما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر"[2]. فالمبتدأ "هو الاسم أو ما في تقديره المجعول أول الكلام لفظا أو نية، على وصف المتقدم، والخبر هو الجزء المستفاد من الجملة الابتدائية"[3]، و"المبتدأ يُبتدأ فيه بالاسم المحدث قبل الحديث، وكذلك حكم كل مخبر، والفرق بينه وبين الفاعل أن الفاعل مبتدأ بالحديث قبله، أما هو فيأتي الحديث بعده"[4].

أما ابن جني فقد عرّف المبتدأ بقوله: "اعلم أن المبتدأ كل اسم ابتدأته وعريته من العوامل اللفظية وعرضته لها، وجعلته أولا لثانٍ يكون الثاني خبرا عن الأول ومسندا إليه"[5]."وحق المبتدأ أن يكون معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات الموصوفة خاصة"[6]، "ولا يكون نكرة إلا بشروط منها أن تكون موصوفة أو اسم استفهام أو اسم شرط أو كم الخبرية أوتتقدمها أداة نفي أو أداة استفهام"[7].

---

(1) الإستراباذي، شرح الرضي، ١/٢٢٣.

(2) سيبويه، الكتاب، ١/٢٣.

(3) فاخر، علي محمد. شرح المقرب. المرفوعات القسم الثاني. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٩٠م، ص ٦١٧.

(4) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل. الأصول في النحو. الجزء الأول. تحقيق عبد الحسين الفتيلي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ص ٥٨.

(5) ابن جني، أبو الفتح عثمان. اللمع في العربية. تحقيق فائز فارس. الأردن: دار الأمل ومكتبة الكندي، ١٩٨٨م، ص ٢٥.

(6) ابن السراج، الأصول، ١/٥٩.

(7) ابن عصفور، علي بن مؤمن. المقرب. الجزء الأول. تحقيق عبد الستار الجواري وعبد الجبوري. بغداد: مطبعة العاني، ص ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الخبر فهو عند سيبويه المبني على المبتدأ[1]، وعرّفه ابن جني بقوله: "هو كل ما أسندته إلى المبتدأ وحدثت به عنه، وذلك على ضربين: مفرد وجملة"[2]، وتنقسم الجملة قسمين: اسمية وفعلية، "ويشترط فيهما أن يشتملا على رابط يربطهما بالمبتدأ، إما ضمير يعود على المبتدأ أو تكرير المبتدأ بلفظه أو إشارة إليه"[3]، و الخبر شبه الجمله نوعان : شبه الجملة الظرفية و شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور. وقد عُرِّف الخبر بأنه "الاسم المرفوع المسند إلى المبتدأ"[4] الذي يقدم للسامع وصفا مفيدا للمخبر عنه.

وتفيد الجملة الاسمية معنى التوكيد لأن وجود الذات ثابت، والحدث متغير، ودلالة الخبر في الجملة قريبة من دلالة الوصف[5].

وقد قسمت الجملة الاسمية كما وردت عند ابن جبير ثلاثة أقسام هي:

١. الجملة الاسمية المبتدئة باسم ظاهر

٢. الجملة الاسمية المبتدئة بضمير

٣. الجملة الاسمية المبتدئة باسم إشارة

ثم عرضت جمل ابن جبير في رحلته وفقا لأنواع الخبرالثلاثة وهي: مفرد، وجملة ، وشبه جملة. ضمن كل قسم من الأقسام السابقة.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ٢/ ١٢٧.

[2] ابن جني، اللمع، ص ١١٠.

[3] ابن عصفور، المقرب، ١/ ٨٤.

[4] السيوطي، همع الهوامع، ٢/٥.

[5] الكوفي، بناء الجملة، ص ٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: الجملة الفعلية

المطلب الأول: الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي

أولا: المبنية للمعلوم

أ. غير المؤكدة

النمط الأول: فعل + فاعل

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر

مثال ذلك: أضاءت الشمس[1]، طاب الهواء[2]، عاد الأنس[3]، استبشر الناس[4]، وقع التفتيش[5]، اختلط بعضها ببعض[6]، تمادى عصوف الرياح[7]، اشتدت حلكة الظلمة[8]، عمقت الآفاق[9]، ظهر بعض النجوم[10]، أقشع الغيم[11]، بقي المسعى[12]، ذلت الأعناق[13].

---

(1) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي. رحلة ابن جبير وهي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الأثار الكريمة والمناسك. قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ٣٠.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

(12) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

(13) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خضعت الرقاب[1]، طاشت الألباب[2]، قام الخطيب[3]، تقدم القاضي[4]، بطل السعي[5]، فال الرأي[6]، ارتفع الشهيق والنشيج[7]، علا الضجيج[8]، طاشت ألبابهم[9]، غم هلاله[10]، استهل هلاله[11].

عند النظر في الأمثلة السابقة، نلاحظ أن ابن جبير استخدم هذه الصورة البسيطة المبتدئة بحدث متبوع بمحدث، عند وصفه للأحداث الطبيعية كما في: تمادى عصوف الرياح، اشتدت حلكة الظلمة، ظهر بعض النجوم....وغير ذلك.وفي الدلالة على الأحداث المألوفة التي هي من المنظور المعلوم كما في: تقدم القاضي، استبشر الناس، عاد الأنس...الخ.

في هذين النمطين لسنا بحاجة إلى تأكيد يثبت الحدث، أو يقويه ويؤكده؛ فالحدث أقوى من أن يؤكد في النمط الأول، وأبسط من أن يؤكد في النمط الثاني، "فالفعل عند جمهور النحويين يقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تكتفي الأفعال بمرفوعاتها في إفادة معنى تام يحسن سكوت المتكلم عليه، ولا يحتاج السامع بعده إلى إضافة، والمجموعة الثانية: لا تكتفي الأفعال

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٢.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٧.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٤، ٢٦٦.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤، ٥٦، ٦١، ٩٩، ٢٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمرفوعاتها، وإنما تحتاج معها إلى منصوب حتى تفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها"[1].

ويضع النحويون للمجموعة الأولى مصطلحات: "اللازم" أو "القاصر" أو "غير المتعدي" وهو عندهم: ما لا يفتقر وجوده إلى محل غير الفاعل [2].

ولقد وصف ابن السراج (ت٣٠٦هـ) الفعل اللازم بأنه "لا يلاقي شيئا ولا يؤثر فيه، يكون في الخلقة، أو حركة للجسم في ذاته وهيئة له، أو فعلا من أفعال النفس غير متشبث بشيء خارج عنها"[3]. وبناء على ذلك نجد أن ابن جبير اهتم ببيان الحركة الجسمية والهيئة لكل من: الخطيب أولا، والمسؤول ثانيا كقاضٍ أو حاكم، والشعب ثالثا، ففي الصورة الأولى يذكر المعنيين من الوصف ذكرا عاما، دون خوض في تفاصيل الأحداث؛ فالحدث هو الذي أهمه فقط بكونه حدثا بسيطا مألوفا، فلم يتبعه بوصف أو بيان هيئة أو مكان أو زمان، بل اكتفى بالمعنى والزمان المتضمنين للفعل الذي عرفه النحاة بأنه دال على معنى بمادته وعلى زمان بهيئته [4].

وكذلك الحال عند حديثه عن الظواهر الطبيعية، فالحدث هنا هو الذي يستوقفنا ويهمنا، لا المحدث، فضوء الشمس، واشتداد حلكة الظلمة، وظهور النجوم، واستهلال الهلال هو مراد الكاتب ومبتغاه؛ لذلك فإن من حق الحدث في هذا التركيب أن يتقدم على محدثه، بجعل هذا الضرب من الجمل جملا فعلية لا اسمية. والفاعل هنا متصل بالفعل عند وقوع الحدث ؛ لذلك اتصل بالفعل مباشرة، دون حشو بينهما، ودون إطالة بعدهما، وكانا كافيين وحدهما لتكوين جملة يحسن السكوت عليها؛ فتمت بهما الفائدة للمخاطب؛ "فالاسم الذي يرتفع بأنه فاعل هو مع الفعل

---

[1] أبو المكارم، الجملة الفعلية، ص ٥٣.

[2] انظر ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي النحوي. شرح المفصل. الجزء السابع. بيروت: عالم الكتب، ص٦٢.

[3] ابن السراج، الأصول، ١/ ١٦٩.

[4] انظر ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب.. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار الفكر، ١٩٠٠م، ص ١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جملة يستغنى عليها السكوت، وتمت بها الفائدة للمخاطب، ويتم الكلام به دون مفعول"[1]، والفاعل في عرف النحاة هو "ما نسب الفعل أو شبهه إليه مقدما عليه على جهة قيام الفعل للمعلوم به"[2]، "فيسند إليه فعل أو ما في تأويله مقدم عليه، أصلي المحل والصيغة"[3]. وفي الأمثلة السابقة فضل ابن جبير استخدام هذا الترتيب من الجمل، وفقا لأهمية الحدث وفائدته؛ وما اتصف به من ظاهرة طبيعية عامة تؤثر في كل الناس.

الصورة الثانية: فعل + فاعل + شبه جملة

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: صلى الأمير سيف، الإسلام مع الأمير مكثر في القبة العباسية[4]

٢. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: شرع الرجل في بنائه[5]، انجفل الجميع إليها[6]، احتفل الناس لمشاهدة هذا المنظر[7]، تمادى مقام سيف الإسلام في البيت الكريم[8].

---

[1] ابن السراج، الأصول، ١ /٧٤.

[2] ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان. أسرار النحو. تحقيق أحمد حسن حامد. عمان: دار الفكر ، ص ٩٥.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. الجزء الأول. ط ٦. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الندوة، ١٩٨٠م، ص ٣٣٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تأخر وصوله إلى هدء من الليل[1]، استبشرت الأنفس بالدنو منه[2]، ظهر الهلال أثناء فرج السحاب[3].

٣. فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر

مثال ذلك: ظهرت فيه البركة والسكينة[4]، لاح لنا بر الحجاز[5]،سكنت له أمواجه[6]،، فلاح للناظرين منها أجمل منظر[7].

٤. فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: ظهرت لنا جبال في البحر[8].

٥. فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر + نعت

مثال ذلك: انقطع عنا بر الجزيرة المذكورة[9]، حكى لنا أحد أشياخنا الموثوقين[10].

٦. فعل + شبه جملة + فاعل + تمييز

مثال ذلك: طارت لها القلوب اشتياقا[11]، ذابت لها الأنفس احتراقا[12].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٧.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٣.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٣.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٤.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٢.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧. فعل + شبه جملة + فاعل + نعت + شبه جملة

مثال ذلك: ظهر لأهل مكة أيضا احتفال عظيم في الخروج إلى العمرة[١].

٨. فعل + فاعل متصل + شبه جملة

مثال ذلك: أقاموا على الأزحام.... وداوموا على هذه الحالة[٢]،اجتمعن من كل أوب[٣]، تعلقنا بأستار الكعبة[٤]، سعينا بين الصفا والمروة[٥]، رحلنا من ذلك الموضع[٦]، أقمنا على تلك الحال[٧]، بتنا بالجبانة[٨]، أسرينا إلى الصباح[٩]، سرنا في الصحراء[١٠].

٩. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: بادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد[١١].

١٠. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + نعت

مثال ذلك: نزلنا بقرية تعرف بالقنطرة[١٢]، نزلنا على ماء بموضع يعرف

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٨.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بدنقاش[١]، صلينا في المسجد المبارك[٢]، بتنا بموضع يعرف بالتنانير[٣]، رحنا من ذلك الموضع المذكور[٤]، رحلنا من القرية المذكورة[٥]، نزلنا على ماء ينسب للعبدين[٦]، انتقبن بالنقب الملونة[٧].

٩. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة**

مثال ذلك: دعا للخليفة[٨]، صلى خلف المقام[٩]، أخذ في شأنه[١٠]، تمادى في إيراد سحر بيانه[١١]، ابتدأ بسورة القدر[١٢].

١٠. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + نعت**

مثال ذلك: فصدع بخطبة تحرك لها أكثر النفوس[١٣].

١١. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + شبه جملة**

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٣.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٧.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٤.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٤.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٢.

[١٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأمثلة: فأشار إليهما بكلتا إصبعيه[1]، خرج على باب الصفا إلى السعي[2].

عند النظر في استخدام شبه الجملة بعد الفعل والفاعل في الأمثلة السابقة، نلاحظ أن ابن جبير يستخدم شبه الجملة مرة بعد الفعل والفاعل مباشرة، ومرة يجعلها فاصلا بين الفعل والفاعل، ففي المرة الأولى نجد أنه أراد في استخدامها المعاني الآتية:

أولا: تفسير الحدث وبيان سببه، كقوله: احتفل الناس لمشاهدة هذا المنظر، استبشرت الأنفس بالدنو منه، وبادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد. فهو هنا يبين لنا سبب الاحتفال، وسبب استبشار الأنفس، وسبب المبادرة؛ لأن الحدث ليس مألوفا، وليس طبيعيا، بل هو رد فعل لموقف معين؛ فكان عليه أن يذكر هذا الموقف الذي جعل الحدث يتم؛ لذلك استخدم شبه الجملة.

ثانيا: بيان نوع الحدث وهيئته أو وصفه، كقوله: ، فصدع بخطبة تحرك لها أكثر النفوس، ظهر الهلال أثناء فرج السحاب، تمادى في إيراد سحر بيانه، انتقبن بالنقب الملونة، صلينا في المسجد المبارك، بتنا بموضع يعرف بـ...، نزلنا بقرية تعرف بـ...، وهكذا. فأهمته الخطب الدينية كثيرا، وبالغ بوصف تأثيرها في الناس في غير موضع[3]؛ إذ كانت المساجد وما يدور فيها محور اهتمامه في رحلته. ولكن ما أكثر الخطباء وما أقل المؤثرين منهم، هذا ما أراد ابن جبير وصفه عندما أتبع شبه الجملة، بوصف يبين نوع الحدث وصفاته،

أما ظهور الهلال فله أهمية خاصة في هذا السياق، إذ لم يرد فقط إخبارنا بظهور الهلال من حيث هو ظاهرة طبيعية عامة، إن الهلال هنا مرتبط بمناسك الحج، وكان ينتظره كل الناس بلهفة وشوق؛ لأنهم يعتقدون أن وقفة عرفات إذا لم تكن توافق يوم الجمعة ليست مقبولة، قال

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[3] سيأتي لاحقا ذكر ذلك.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن جبير: "فلما كانت ليلة الجمعة المذكورة ظهر الهلال أثناء فرَج السحاب وقد اكتسى نورا من الثلاثين ليلة، فزعقت العامة زعقات هائلة وتنادت بوقفة الجمعة"[1].

و اهتم ابن جبير أيضا بتسمية المواضع والأماكن التي يزورها، باستخدام هذا النمط، فهو يستخدم الحدث وضمير الجماعة وحرف الجر، والمواضع، ثم التعريف بها، وذلك من أجل تحري الصدق والدقة اللذين كانا مطلبه في رحلته.

ثالثا: بيان المكان أو الزمان كقوله: أسرينا إلى الصباح، رحلنا من ذلك الموضع، اجتمعن من كل أوب، خرج على باب الصفا للسعي، تأخر وصوله إلى هدء من الليل. فذكر هنا المكان أو الزمان الخاصين به، وبمن معه أثناء رحلته وتنقلاته المختلفة، وكذلك المكان أو الزمان الخاصين بالناس الذين قابلهم، وأراد وصف تحركاتهم.

أما المرة الثانية، وهي استخدام شبه الجملة فاصلا بين الفعل والفاعل، فهو نوع من التقديم والتأخير، ويرى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أن "التقديم والتأخير في الكلام البليغ إنما يكون لعلل بيانية يقتضيها"[2].

يقدم ابن جبير شبه الجملة المكونة من "حرف جر + هاء الغائب" و"حرف الجر + نا المتكلمين" لتأكيد تعلق الحدث بمن يتحدث عنه من جهة، وتعلق الحدث به وبمن معه من جماعة الرحالين من جهة ثانية؛ فهو يقول: ظهرت فيه البركة، سكنت له أمواجه، طارت لها القلوب اشتياقا. نلاحظ أن من يقع عليه الحدث أهم في نظر ابن جبير ممن قام بالحدث الحدث نفسه، فلم يقل: ظهرت البركة فيه وإنما: ظهرت فيه البركة. فلا بد من أن يكون هذا الذي هو أهم من

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٣.

[2] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا. القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٦١م، ص ٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البركة مثلا أعلى في نظر ابن جبير، كي يقدمه في كلامه، وعند النظر في سياق الكلام نجده يتحدث عن مجلس الشيخ الإمام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية، والمشار إليه في التقديم بالعلوم الأصولية- كما يصفه- فيقول: "فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولم تقصر عن إرسال عبرتها فيه النفس المستكينة، .... فكم ناصية جزّ، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبّق بالموعظة وحزّ، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة، وتستدام العصمة والنجاة"[1].

وهذا الوصف لا ينم إلا عن إعجاب شديد بشخصية القزويني، لذلك كان من حقه التقديم في المثال السابق، كما كان من حق نصائحه أن تتقدم على القلوب والنفوس في قوله: طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت لها الأنفس احتراقا، يقول ابن جبير: "ثم أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقا، وذابت لها الأنفس احتراقا"[2].

أما قوله: "سكنت له أمواجه"، فهو دليل على أن ابن جبير يخشى البحر كثيرا، وتكاد الرحلة تمتلئ بوصف الأعاصير والرياح، في أثناء الرحلة البحرية، ويصور في ذلك الخوف والرجاء والأمل، مما يلاقي هو وأصحابه، من صعوبات هذه الرحلة. فاستخدامه "له" هنا من باب تأكيد سكون البحر في نفسه، واطمئنانه هو وأصحابه من خطر كان يداهمهم، فيقول: "وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه ، تحركت الريح الشرقية نسيما فاترا عليلا، فاستبشرت

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النفوس بها رجاء في نمائها وقوتها، فكانت نفسا خافتا، ثم بعد ذلك غشي البحر ضباب رقيق سكنت له أمواجه، فعاد كأنه صرح ممرد من قوارير"[1].

وأما استخدامه لحرف الجر المتبوع بـ"نا الفاعلين" كقوله: ظهرت لنا جبال في البحر، انقطع عنا بر الجزيرة، لاح لنا بر الحجاز، فربما أراد به بيان أهمية تأثير الحدث على جماعته المنتظرة لهذا الحدث طويلا، فظهور الجبال والبر مبتغى كل مبحر، ولكن تأثيرها عليه أشد من كونها مسمى مستقلا بذاته.

الصورة الثالثة: فعل + فاعل + نعت

مثال ذلك: انفض ذلك الجمع العظيم[2]، نشأ نور أظلم له الأفق[3]، هبت ريح شديدة[4]، فصعد واعظ خراساني حسن الشارة مليح الإشارة[5]، وصل السرو اليمنيون[6].

عرّف النحاة النعت بأنه تابع مكمل متبوعه، ببيان صفة من صفاته أو صفات ما تعلق به [7]، فهو وصف" يتبع الاسم الموصوف تجلية له وتخصيصا ممن له مثل اسمه، بذكر معنى في الوصف، أو في شيء من سببه، ولا يكون الوصف إلا من فعل أو راجعا إلى معنى فعل"[8].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص١٢٨.

[7] انظر ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. الجزء الثاني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ص ١٧٨.

[8] ابن جني، اللمع، ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما استخدام النعت بعد الفعل والفاعل عند ابن جبير فقد كان قليلا، فلم تكن أفعاله اللازمة مع فاعليها بحاجة إلى تجلية أو توضيح، لأنها- كما سبق أن قلت- مالت إلى الأحداث المألوفة والظواهر الطبيعية، فمثلا في قوله: "انفض ذلك الجمع العظيم"، نجد انفضاض الجمع هو المراد بغض النظر عن كونه عظيما أم لا، ولكن جاء النعت هنا لبيان كثرة الناس، من أجل تأكيد تأثير الخطيب فيهم لذلك قال: "وانفض ذلك الجمع العظيم، وقد استظرف ذلك الخطيب واستبل"[1].

أما وصف النور والريح ، فهو من باب عمق التصوير والإحساس به، فالريح شديدة لذلك أثرت في السفينة، والنور قوي أثر في الأفق. أما الواعظ فأراد تزيين وصفه من خلال السجع والجناس في قوله: "الشارة، الإشارة" ليبدو مميزا في نظر غيره كما هو مميز في نظره.

الصورة الرابعة: فعل + فاعل + حال

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر + حال

مثال ذلك: خرج الخطيب لابسا ثياب السواد[2]، بدأ الكسوف والناس في صلاة الصبح[3]،

٢. فعل + فاعل ظاهر + أحوال متعددة

مثال ذلك: اجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين[4]، انصرف أهل التحصيل باكين على الدين، يائسين من فلاح الدنيا، متحققين أشراط الآخرة[5].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٣.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + حال

مثال ذلك: أقبل القاضي بين رايتيه السوداوين لابسا ثياب البياض[١].

٤. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + أحوال متعددة + شبه جملة

مثال ذلك: أقبل الناس بعضهم على بعض بالمصافحة والتسليم والتغافر والدعاء مسرورين جذلين فرحين بما آتاهم الله من فضله[٢].

٥. فعل + فاعل متصل + حال

مثال ذلك: أقمنا مريحين يوم الاثنين[٣]، نزلنا مرتقبين لانتشار الضوء[٤]، انصرفنا حامدين لله ﷻ[٥].

٦. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + حال

مثال ذلك: أخذنا في الانصراف مستبشرين[٦].

٧. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + حال + شبه جملة

مثال ذلك: فوقفوا تحت الميزاب المبارك متجردين من ثيابهم[٧]، رحنا منه محرمين بعمرة[٨]، فأقمنا بياض يوم الأربعاء المذكور مريحين بالقرين[٩].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٣.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨. **فعل + فاعل مستتر + حال + شبه جملة**

مثال ذلك: غاب مكسوفا عند طلوع الشمس[١].

٩. **فعل + فاعل مستتر + أحوال متعددة**

مثال ذلك: خرج ماشيا حافيا معتمرا[٢]، وقف داعيا مستقبل الكعبة[٣].

١٠. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + حال + شبه جملة**

مثال ذلك: فحسر عن ذراعيه مشيرا إليه[٤]، أقام بالناس منتظرا لها[٥]، خرج منها فارا أمام سيف الإسلام[٦].

١١. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + أحوال متعددة**

مثال ذلك: دخل على باب النبي ﷺ لابسا ثوب بياض متقلدا سيفه مختصرا متعمما بكرزية صوف بيضاء رقيقة[٧]

عرّف النحاة الحال بأنه "وصف، فضلة، منتصب، للدلالة على هيئة"[٨]، ولقد "شبهت الحال بالمفعول من حيث إنها فضلة مثله، جاءت بعد مضي الجملة، ولها بالظرف شبه خاص

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٤.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٤.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٨.

[٨] شرح ابن عقيل، ٥٦٨/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من حيث إنها مفعول فيها، ومجيئها لبيان هيئة الفاعل أو المفعول"[1]، وقد تكون وصفا لهيئة الفاعل أو المفعول به[2].

استخدم ابن جبير الحال ليبين هيئة كل من: الخطيب، والقاضي، والأمير، والناس، وحاله هو وأصحابه في الرحلة. وأكثر ما أهمه من هيئة الخطيب والقاضي هو اللباس الخاص بهما؛ فالخطيب يلبس الثياب السود، والقاضي يلبس الثياب البيض، لكن أهمية الخطيب في وجوده وحده، أما القاضي فالرايتان السودوان تقبلان معه؛ لذلك قدم شبه الجملة هنا على اللباس، لما تثيره الرايتان من وجود أهم وأعظم من اللباس، في نفوس الناس، فقال: "أقبل القاضي بين رايتيه السودواوين لابسا ثياب البياض"، و"أقبل الخطيب لابسا ثياب السواد".

ووصف الأمير مكثرا مبينا هيئة مميزة له في اللباس دقيقة الوصف، إذ قال: لابسا ثوب بياض، متقلدا سيفه، مختصرا معمما بكرزية صوف بيضاء رقيقة.

وأما الناس فقد اهتم ابن جبير بوصف هيئتهم في أثناء الخطب الدينية وبعدها، لبيان تأثيرها في نفوسهم، وكذلك في حالة الفرح والسرور بقدوم العيد وغفران الذنوب، ونلاحظ أنه يعدد الحال في بيان هيئات الناس يقول: اجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين، وأقبل الناس بعضهم على بعض بالمصافحة والتسليم والتغافر والدعاء مسرورين جذلين فرحين. ونلاحظ أنه في الجملة الثانية جعل شبه الجملة فاصلة بين الحال وصاحبه، فالمصافحة والتسليم والتغافر والدعاء أهم في نظره، من هيئة الناس، في أثناء ذلك؛ فعيد الفطر رحمة بالأمة، وفرحة بعد الصيام، والتعب، نعبر عنه بسلامنا وتغافرنا وتحابنا، وهذه الأحداث أجل وأسمى من هيئة من يقوم بها.

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. المفصل في علم العربية. تحقيق سعيد محمود عقل. بيروت: دار الجيل، ص ٨٧.

[2] انظر ابن جني، اللمع، ٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الهيئة الأخيرة التي أراد ابن جبير أن يبينها فهي هيئته ومن معه في الرحلة، فوصف لنا هذه الهيئة، عند الاطمئنان والراحة، بعد جلسة ذكر، فيقول: "فرأينا رجلا عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر، وكرم لقاء وبر، فآنسنا ودعا لنا، وودعناه وانصرفنا حامدين لله ﷻ على ما منّ به علينا من لقاء أوليائه الصالحين وعباده المقربين"[1].

وكذلك بيّن أحوالهم المختلفة من راحة واعتمار وانتظار وغير ذلك فيقول: "فأقمنا بياض يوم الأربعاء المذكور مريحين بالقرين. فلما حان العشي رحنا منه محرمين بعمرة، فأسرينا ليلتنا تلك، فكان وصولنا مع الفجر إلى قريب الحرم. فنزلنا مرتقبين لانتشار الضوء"[2].

النمط الثاني: فعل + فاعل + مفعول به

الصورة الأولى: فعل + فاعل + مفعول به

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر + مفعول به

مثال ذلك: لبس الناس أثواب عيدهم[3]، رام الجمالون حفرها[4].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به

مثال ذلك: دخلنا قبة زمزم[5].

---

(1) ابن جبير. الرحلة، ص ١٩٣.

(2) ابن جبير. الرحلة، ص ٦٥.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٦.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. **فعل + فاعل مستتر + مفعول به**

مثال ذلك: دخل قبة زمزم[١]، استفرغ الوسع[٢]، بذل المجهود[٣].

٤. **فعل + مفعول به متصل + فاعل ظاهر**

مثال ذلك: أوهته قلة العمارة[٤].

٥. **فعل + مفعول به متصل + فاعل ظاهر + مفعول به ثان**

مثال ذلك: زاده الله تعظيما وتكريما[٥].

قلنا إن ابن السراج وصف الفعل اللازم بأنه الفعل الذي لا يلاقي شيئا ولايؤثر فيه؛ وبناء على ذلك يكون الفعل المتعدي هو الذي يلاقي شيئا ويؤثر فيه، يقول: "كل حركة للجسم كانت ملاقية لغيرها، وما أشبه ذلك من أفعال النفس وأفعال الحواس من الخمس كلها متعدية ملاقية"[٦]. ووصف الزمخشري المفعول به بأنه الفارق بين المتعدي من الأفعال وغير المتعدي، وعرّفه قائلا: "هو الذي يقع عليه فعل الفاعل"[٧]، وهو "كل اسم تذكره ليزيد في الفائدة بعد أن يستغني الفعل بالاسم المرفوع الذي يكون ذلك الفعل حديثا عنه، فهو منصوب ونصبه لأن الكلام قد تم قبل مجيئه"[٨].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

[٦] ابن السراج، الأصول، ١/ ١٧٠.

[٧] الزمخشري، المفصل، ص ٤٥.

[٨] ابن السراج، الأصول، ١/ ٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المفعول به هو الركن الثالث في الجملة ذات الفعل المتعدي و"الرتبة الأصلية له إنما هي التأخير، كما كانت الرتبة الأصلية للفاعل إنما هي التقديم، لكنه يجوز أن يتقدم المفعول ويتأخر الفاعل، بشرط أن يكون في الكلام مبين له من لفظ أو معنى"[1].

من الملاحظ أن ابن جبير لم يكثر من هذا الترتيب في الكلام وحده، بل فضل إتباعه بشبه الجملة أو الحال أو النعت، فعندما وصف الأحداث المألوفة استخدم الفعل اللازم. أما ما شعر أنه بحاجة إلى توضيح ووصف وتعليل، فقد استخدمه وفق هذا النمط، ولكنه أتبعه بوصف إلا في الحالات النادرة التي لا تحتاج إلى توضيح، كقوله: دخلنا قبة زمزم، بذل المجهود، لبس الناس أثواب عيدهم، أوهته قلة العمارة.

الصورة الثانية: فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + مفعول به

مثال ذلك: وجد الحاج فيه مصنعا[2].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: مسحنا الخدود في هذه المساقط المكرمة[3].

٣. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة

مثال ذلك: دفعوها في البحر[4].

---

[1] فاخر، شرح المقرب، ١٣٧/١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. **فعل + فاعل متصل + شبه جملة + مفعول به + نعت**

مثال ذلك: قدموا من أنفسهم حاكما يمتثلون أمره[١].

٥. **فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة + شبه جملة**

مثال ذلك: ألفيناه في مسجد بالقاهرة[٢].

٦. **فعل + فاعل مستتر + مفعول به + شبه جملة**

مثال ذلك: ضرب أبنيته فيه[٣]، زاحمت الأمير مكثرا في الطواف[٤]، جعل مدينة الرسول ﷺ تحت سورين عتيقين[٥].

٧. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + شبه جملة+ مفعول به + نعت**

مثال ذلك: أحضر فيها من ثريات الشمع أربعة مختلفات الصنعة[٦].

استخدم ابن جبير شبه الجملة بعد الفعل والفاعل والمفعول به مباشرة، من أجل بيان المكان أو الزمان كقوله: ألفيناه في مسجد، ضرب أبنية فيه، مسحنا الخدود في هذه المساقط المكرمة، زاحمت الأمير مكثرا في الطواف.

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٣.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما استخدامه لها فاصلة بين الفعل والفاعل من جهة، والمفعول به من جهة أخرى، فكان من أجل التأكيد، يقول: قدموا من أنفسهم حاكما يمتثلون به ووجدوا من فضل السلطان أفضل معين، أحضر فيها من ثريات الشمع. فهو هنا يؤكد أن الحاكم منهم، وأنه قادر على استيعابهم وتفهم مشاكلهم وقضاياهم، وأن فضله هو المعين لهم في حياتهم. أما قوله: أحضر فيها من ثريات الشمع... فقد يتبادر إلى الذهن أن الثريات هي محور الحدث ومركزه المهم، فلماذا قدم عليها شبه الجملة إذن؟ عند العودة إلى سياق النص نجد أن شبه الجملة (فيها) مرتبط بزمن مهم، يقول ابن جبير: "ثم كانت ليلة خمس وعشرين، فكان المختتم فيها الإمام الحنفي، وقد أعد ابنا لذلك سنه نحو من سن الخطيب الأول المذكور، فكان احتفال الإمام الحنفي لابنه في هذه الليلة عظيما، أحضر فيها من ثريات الشمع... الخ"[1]، فالليلة المباركة هذه من الشهر المبارك حقها التقديم. وكذلك في قوله: وجد الحاج فيها مصنعا*، فالماء مبتغى المسافر وأمله، إذا شعر بالتعب والهلاك، لا سيما الحاج الذي يسير على أقدامه مدة طويلة، وعلى الرغم من ذلك فقد قدم شبه الجملة التي تشير إلى المنطقة التي كانوا فيها، وما هذا إلا لأن المكان مليء بالمياه في مختلف بقاعه، وليس مصنع الماء غريبا عليه، فقال عن هذه المنطقة (فَيْد): "المياه فيها بحمد الله موجودة في مصانع كثيرة"[2].

الصورة الثالثة: فعل + فاعل + مفعول به + حال

فروعها:

١. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + حال + شبه جملة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

* يقصد بالمصنع بئر الماء.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: ركبوها قاطعين بالحجاج[١]. فارقناه متوجهين لقصدنا[٢].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + حال + تتمة

مثال ذلك: أبصرناه خارجا أحد الأيام[٣].

٣. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة + أحوال متعددة

مثال ذلك: فعايناها على مقدار الميل سامية مشرفة مشرفة[٤].

٤. فعل + فاعل متصل + مفعول به + حال + شبه جملة

مثال ذلك: دخلوا البلد راكبين على الجمال[٥].

٥. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + شبه جملة + حال + تتمة

مثال ذلك: صرفت المركب عن طريقه راجعا وراءه[٦].

٦. فعل + فاعل مستتر + مفعول به متصل + حال + شبه جملة

مثال ذلك: فابتدأه ماشيا على قدميه[٧]..

٧. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + حال

مثال ذلك: أكمل المسعي راكبا[٨].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٩.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٨.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحال بعد الفعل والفاعل والمفعول به، جاءت لبيان هيئة كل من: المركب، والأمير، و الناس. فمعاناة المركب في أثناء الريح الشديدة معاناة صعبة، قد تجعله يرجع إلى الوراء بدلا من التقدم إلى الأمام. أما الأمير المقصود هنا فهو الأمير طغتكين بن أيوب، أخو صلاح الدين الملقب بسيف الإسلام. يقول ابن جبير: "وعندما أكمل سيف الإسلام طوافه، صلى خلف المقام ، ثم دخل قبة زمزم، فشرب من مائها، ثم خرج على باب الصفا إلى السعي، فابتدأه ماشيا على قدميه تواضعا وتذللا لمن يجب التواضع له.... فسعى على قدميه طريقين من الصفا إلى المروة، ومنها إلى الصفا، وهرول بين الميلين الأخضرين، ثم قيده الإعياء فركب وأكمل السعي راكبا"[1]. وقد أراد بذلك بيان تواضع سيف الإسلام وإيمانه وورعه؛ فهو معجب به ويأخيه، ويبين في رحلته صفاتهما الحسنة، وأخلاقهما النبيلة.

أما الحال التي تصف هيئات الناس المختلفين، فقد ذكرها عند حديثه عن قوم من النصارى، قد أساؤوا، وأحرقوا، وقتلوا. فقال: "إنهم ركبوا جمالهم قاطعين بالحجاج". وعند حديثه عن أسرى الروم بين هيئتهم، حين دخلوا البلاد فقال: "دخلوا البلاد راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنابها وحولهم الطبول والأبواق"[2].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الرابعة: فعل + فاعل + مفعول به+ نعت

فروعها:

١. فعل + فاعل متصل + مفعول به + نعت

مثال ذلك: التحفن اللحف الرائقة[١]، فارقنا البر المذكور[٢].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + مفعول به ثانٍ+ نعت

مثال ذلك: قلدوها القلائد المزوقة[٣].

٣. فعل + فاعل متصل + مفعول به+ شبه جملة + نعت

مثال ذلك: عاينا مجتمعا من الناس عظيما[٤].

٤. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به + نعت

مثال ذلك: أعد لها شمعا كثيرا[٥]، أنفق فيهما أموالا لا تحصى[٦]، وضع في وسط الحرم مما يلي باب بني شيبة المحراب المربع[٧].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به + نعت + شبه جملة + نعت

مثال ذلك: أعد له ثريا مصنوعة من الشمع مغصنة[١].

٦. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + نعت

مثال ذلك: جدد باب الكعبة المقدسة[٢].

٧. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + نعت + شبه جملة

مثال ذلك: جلل العتبة المباركة بلوح ذهبي[٣].

٨. فعل + فاعل مستتر + مفعول به متصل + مفعول به ثانٍ + نعت

مثال ذلك: غشاه فضة مذهبة[٤].

عند النظر في الأمثلة السابقة نجد أن ابن جبير اهتم بوصف ليالي رمضان، وما يجري فيها من تراويح وقراءة القرآن، وكان ثمة والد يحتفل بابنه الذي يقوم بختمة القرآن، يقول ابن جبير: "ثم بعد ذلك ليلة ثلاث وعشرين، وكان المختتم فيها أحد أبناء المكيين ذوي اليسار، غلاما لم يبلغ سنه الخمس عشرة سنة، فاحتفل أبوه لهذه الليلة احتفالا بديعا، وذلك أنه أعد له ثريا مصنوعة من الشمع مغصنة، قد انتظمت أنواع الفواكه الرطبة واليابسة، وأعد لها شمعا كثيرا، ووضع في وسط الحرم، مما يلي باب بني شيبة المحراب المربع من أعواد مشرجبة...." [٥] فهذه الاحتفالات عادة دائمة، كان الناس قديما يكثرون منها.

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستخدم النعت أيضا من باب الاحترام والتقدير كقوله: الكعبة المقدسة، العتبة المباركة، كما وصفه في تحديد الموصوف وتوضيحه كقوله: فضة مذهبة، قلائد مزوقة، لحف رائقة.

ب. المؤكدة

النمط الأول: قد + جملة فعلية

الصورة الأولى: قد + جملة فعلية

فروعها:

١. قد + فعل + فاعل ظاهر + مفعول به

مثال ذلك: قد قدمت كل جماعة إماما[١].

٢. قد + فعل + فاعل متصل + مفعول به

مثال ذلك: قد قاربوا سن الشباب[٢]، قد لبسن ثياب الحرير والذهب[٣].

٣. قد + فعل + مفعول به متصل + فاعل ظاهر

مثال ذلك: قد لفظتهم الصحراء[٤]، قد كساه الثلج[٥]، قد غمره ذلك الزحام[٦].

الصورة الثانية: قد + جملة فعلية + شبه جملة

فروعها:

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. قد + فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: قد ترتب العسكران بين يديه[١]، قد شاع الخبر بنزول سيف الإسلام الزاهر[٢].

٢. قد + فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر

مثال ذلك: قد أثر فيه القدم[٣]، قد أراق عن وجهه ماء الحياة[٤]، قد كشف عنا قناعه[٥]، قد ألقى على البسيطة شعاعه[٦]، قد حف به بعض خاصته[٧].

٣. قد + فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: قد امتلأت الجبال والطرق والثنيات بالنظارة من جيمع المجاورين[٨].

٤. قد + فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + مفعول به

مثال ذلك: قد انتظم كل طبق منها ثلاث سلاسل[٩].

٥. قد + فعل + فاعل متصل + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: قد أرسينا في واد بأسفلها[١٠].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٩.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٨.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦. **قد + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة**

مثال ذلك: قد وصلت إلى الروم[١]، قد جاء على غاية الحسن[٢].

٧. **قد + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة متضمنة للنعت + شبه جملة**

مثال ذلك: قد قامت على أعمدة سوار من الرخام ملونة[٣].

٨. **قد + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + شبه جملة متضمنة للنعت**

مثال ذلك: قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود منقوب[٤].

٩. **قد + فعل + فاعل مستتر + مفعول به + شبه جملة**

مثال ذلك: قد أغنت أهلها عن اتخاذ حمام[٥].

١٠. **قد + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به + شبه جملة**

مثال ذلك: قد أحدث في المكان مطاهر وسقاية للمعتمرين[٦].

الصورة الثالثة: قد + جملة فعلية + نعت

١. **قد + فعل + فاعل مستتر + مفعول به + نعت + نعت**

مثال ذلك: قد اتخذ دار كرامة واسعة الفناء فسيحة الأرجاء[٧].

٢. **قد + فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر + شبه جملة + نعت**

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأمثلة: قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير[1]، قد أحاط بها شباك من الخشب الغريب الصنعة[2].

٣. قد + فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + مفعول به + شبه جملة + نعت

مثال ذلك: قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة[3].

يبدو أن ابن جبير يحتاج أحيانا إظهار الكلام مؤكدا، معززا بوسائل الإقناع؛ لذا فقد استخدم أداة التوكيد والتحقيق "قد" في الجمل السابقة. فالتوكيد وسيلة يعتمد عليها المتكلم، في تعزيز فكرته في نفس السامع، ولكن النحاة لم يدرسوا كل وسائل التوكيد بابا مستقلا بذاته، إذ إنها متفرقة هنا وهناك، في كتب النحو والبلاغة.

أما "قد" فقد صنفها سيبويه ضمن الحروف التي لا يليها إلا الفعل، فقال: "فمن تلك الحروف قد، لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره، وهي جواب لقوله: أفعل؟"[4]. ويعد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) "منزلة "قد" من الفعل كمنزلة الألف واللام من الاسم؛ لأن دخولها على فعل متوقع أو مسؤول عنه، لأنه إذا قال: قد قام زيد، فإنما يقوله لمن يتوقع قيامه أو لمن سأل عنه فقال: هل قام زيد"[5].

فهي، إذاً، من الحروف التي تختص بتوكيد الجملة الفعليةإذا كان الفعل ماضيا، ولا يليها إلا الفعل المتصرف المثبت، وتكون مع الماضي حرف تحقيق أو على الأغلب للتحقيق والتقريب، لما فيه من معنى تأكيد الحصول وتقريب الماضي من الحال، ومع المضارع للتوقع

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

[4] سيبويه، الكتاب، ١١٤/٣.

[5] سيبويه، هامش الكتاب، ١١٥/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتقليل [1]. وهي من الحروف الهوامل: مختصة بالفعل ومعناها التوقع فمنه قول المؤذن (قد قامت الصلاة) [2]، "وتكون مع الفعل كالجزء من الكل فلا تنفصل عنه بشيء إلا بالقسم" [3].

استخدم ابن جبير "قد" مع الماضي بأنماط مختلفة، فمع الفعل اللازم كان يكثر من الفاعل الضمير المستتر كقوله: قد وصلت إلى الروم، قد قامت على أعمدة....، قد ارتج وغص بالنظارة، قد جاء على غاية الحسن. وأكثر من الفاعل الظاهر كقوله: قد ذهبت رسومهم، قد أفاض نوره. وكان ذلك أكثر من الفاعل الضمير المتصل فكان أقل وروداً؛ فهو لا يريد تأكيد أعماله الخاصة وتحركاته، ولا يؤكد أحداثا جماعية تجري بين الناس، بل يصف المناظر الجميلة التي تبهره، ويريد إشراك القارئ معه في هذا الانبهار، ويصف أعمال الأمير وما يقدمه للناس، ويصف المدن وتأثيرها في النفوس مؤكدا ذلك بـ" قد".

أما الفعل في قوله: "ونحن قد أرسينا في واد بأسفلها" فقد أكده بـ"قد"، لأن القرية أعجبته ووادياها بهره، فقال: "وهذه البلدة من الخصب وسعة الرزق على غاية، والجزيرة بأسرها من أعجب بلاد الله في الخصب وسعة الأرزاق، فأقمنا بها يوم الخميس الرابع عشر للشهر المذكور، ونحن قد أرسينا في واد بأسفلها، ويطلع فيه المد من البحر ثم ينحسر عنه" [4]، فطلوع المد في هذا الوادي وانحساره عنه، قد يمنع الناس من الإقامة فيه، وعلى الرغم من ذلك فقد أقام فيه ابن جبير؛ لذا أكد كلامه.

---

[1] انظر ابن هشام، مغني اللبيب، ١٩٣/١- ١٩٩.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٧/٨.

[3] ديب، إلياس. أساليب التأكيد في اللغة العربية. بيروت: دار الفكر اللبناني. ١٩٨٤م، ص ٢٦٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما استخدام "قد" مع الفعل المتعدي، فكان من أجل التركيز على اللباس المميز، وتأكيد الحدث المبالغ فيه، فيقول: قد لبسن أثياب الحرير، قد لبس أفخر ثيابه، قد هز المجلس طربا، قد أغنت أهلها عن اتخاذ حمام.

ولقد أكثر ابن جبير من استخدام "شبه الجملة" مع الفعل المؤكد بـ"قد" أكثر من النعت، في حين لم يستخدم معه الحال؛ فقد أراد تأكيد الأحداث التي تتصف بالديمومة والثبات، والحال متغير مؤقت؛ فاستخدم "شبه الجملة" بعد الفعل والفاعل مرة، وجعلها فاصلة بين الفعل والفاعل مرة ثانية، وبين الفعل والفاعل من جهة والمفعول به من جهة مرة ثالثة، وما أراد من تقديم شبه الجملة في هذا النمط إلا زيادة التأكيد. فيقول: قد أثر فيه القدم، وقد أراق عن وجهه ماء الحياة، قد بلغ من مبلغه، قد حف به بعض خاصته. فأكد التصاق الحدث بصاحبه بتقديم حرف الجر والضمير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الثاني: جملة فعلية + مصدر

الصورة الأولى: فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + مصدر

مثال ذلك: فدخلناه دخول وداع[1].

الصورة الثانية: فعل + فاعل مستتر + مصدر

مثال ذلك: فخطب خطبة سكون ووقار[2].

الصورة الثالثة: فعل + فاعل + مصدر + نعت

١. فعل + فاعل ظاهر + مصدر + نعت

مثال ذلك: فزعقت العامة زعقات هائلة[3].

٢. فعل + فاعل مستتر + مصدر + نعت

مثال ذلك: جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء[4]، فوقف وقفة دهش مذعور[5].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل + شبه جملة + مصدر

فروعها:

١. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + مصدر + شبه جملة

مثال ذلك: تساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح[6].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٣.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. **فعل + فاعل مستتر+ شبه جملة + شبه جملة + مصدر + نعت**

مثال ذلك: ضرب بنعلة سيفه فيها ضربة أسمع بها الحاضرين[١].

٣. **فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مصدر**

مثال ذلك: ضرب بالسيف ضربة[٢].

٤. **فعل + فاعل مستتر + مصدر + شبه جملة**

مثال ذلك: احتفل احتفال أهل البلاد للأعياد[٣].

المصدر هو الاسم الدال على مجرد الحدث[٤]، و"هو المعنى القائم بالغير سواء صدر عن ذلك الغير، كالضرب والمشي أو لا كالطول، ومعنى جريانه على الفعل، أن يكون له فعل ويكون المصدر بيانا لمدلول ذلك الفعل نحو: ضربت ضربا"[٥]. وقد يذكر المصدر مع فعله لأحد ثلاثة أشياء هي: توكيد الفعل، وبيان النوع، وعدد المرات[٦]. "ويجيء المصدر مرفوعا أو منصوبا على أحد وجهين، إما لبيان صفة المصدر الذي دل عليه.....وإما للتأكيد..... وإنما صار تأكيدا لأنه ليس فيه من الفائدة إلا معنى الفعل"[٧].

استخدم ابن جبير هذا النمط من التأكيد في تأكيد تأثير الخطيب في نفوس المستمعين، كقوله: فخطب خطبة بليغة، جلس جلسة خالف فيها جلسة الخطباء، ضرب بالسيف ضربة. واستخدمه أيضا في تأكيد الأحداث المختلفة كالاحتفالات والزعيق وغيرها.

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٧.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٧.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

(٤) ابن هشام، أوضح المسالك، ٢/٢٤٠.

(٥) ابن كمال باشا، أسرار النحو، ص ٢١٨.

(٦) ابن جني، اللمع، ص ٤٨.

(٧) سيبويه، هامش الكتاب، ١/٢٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الثالث: جملة فعلية + "كل + هاء"

الصورة الأولى: فعل + فاعل + "كل + هاء"

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: فتجللت صفحاته كلها حسنا[١].

٢. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + "كل+ هاء"

مثال ذلك: فاستدار بالمحراب كله[٢].

٣. فعل + فاعل مستتر + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: تفتحت كلها حوانيت[٣].

٤. قد + فعل + فاعل ظاهر + "كل + هاء"

مثال ذلك: قد جلي ذلك كله[٤].

٥. قد + فعل + فاعل مستتر + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: قد تفتحت كلها طيقانا[٥].

الصورة الثانية: فعل + فاعل + مفعول به + "كل + هاء"

١. قد + فعل + مفعول به + "كل + هاء" + فاعل + نعت + شبه جملة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: قد أحكمت إقامة ذلك كله أمراس وثيقة من الكتان[1].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + "كل+ هاء" + تمييز

مثال ذلك: أبصرناه كله سرجا ونيرانا[2].

٣. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + نعت + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: جلل دائره الأعلى كله شمعا[3].

٤. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + "كل + هاء" + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: سمر دائر المحراب كله بمسامير حديدة الأطراف[4].

٥. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: جلل ذلك كله سرجا ومشاعيل وشمعا[5].

٦. فعل + فاعل مستتر + مفعول به + "كل + هاء"

مثال ذلك: جدد أبواب الحرم كلها[6]، كما الآفاق كلها[7].

الصورة الثالثة: فعل + فاعل + ظرف زمان + "كل+ هاء"

فروعها:

١. فعل + فاعل ظاهر+ نعت + ظرف زمان + "كل+ هاء" + تمييز+ شبه جملة متضمنة للنعت

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص١٣٩.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص١٢٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: انقد المشعر الحرام تلك الليلة كلها مشاعيل من الشمع المسرح[1].

٢. فعل + فاعل ظاهر+ ظرف زمان +" كل + هاء" + شبه جملة متضمنة لـــ" كل + هاء"

مثال ذلك: اتصل صعود الناس ذلك اليوم كله والليلة كلها إلى يوم الجمعة كله[2].

٣. فعل + فاعل متصل + ظرف زمان + "كل+ هاء"

مثال ذلك: أسرينا الليل كله[3].

٤. فعل + فاعل متصل + شبه جملة + ظرف زمان + "كل+ هاء"

مثال ذلك: أقمنا على تلك الحال النهار كله[4].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل متصل + شبه جملة + "كل+ هاء" + شبه جملـــة + مـــصدر + نعت

مثال ذلك: سرنا في هذه كلها بريح الصواري سيرا سريعا[5].

درس النحاة التوكيد وعرفوه بأنه لفظ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الـــشك عن الحديث، أو المحدث عنه، فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس التأكيد اللفظي، والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث التأكيد بالمصدر، والذي يراد به إزالة الشك عن المحدث عنه التأكيد بالألفاظ التي يبوب لها في النحو وهي: "نفس، وعين، وكل، وأجمع، وأكتع..."[6].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٦.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[6] ابن عصفور، المقرب، ١/ ٢٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالتوكيد هو "لفظ يتبع الاسم المؤكد لرفع اللبس وإزالة الاتساع، وإنما تؤكد المعارف دون النكرات. ويجب في التأكيد كونه مضافا إلى ضمير عائد على المؤكد مطابق له"[1].

استخدم ابن جبير التوكيد المعنوي فقط بـ "كل" دون غيرها، من أجل إزالة الشك عن المحدث عنه وتقويته في النفس. أما ما أكده فهو ما يتعلق بالحرم، والمحراب، والزمان، وبعض الأماكن التي شاهد فيها عجبا.

فمثال ذلك قوله في وصف منبر مسجد في مدينة حلب: "فما أرى في بلد من البلاد منبرا على شكله وغرابة صنعته، واتصلت الصنعة الخشبية منه إلى المحراب، فتجللت صفحاته كلها حسنا على تلك الصفة الغريبة" [2]. فعني بوصف المساجد وإظهار إتقانها وجمالها مؤكدا ما يراه مميزا. وقال عند حديثه عن حوانيت حلب: "وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة، قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللتها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت، فجاء منظرها أجمل منظر"[3]. فهو يريد أن يؤكد أنها مليئة بالحوانيت الجميلة المميزة.

وبالنسبة لاستخدام "كل" مع الزمن فكان من باب إشراك القارئ معه في معاناته في أثناء رحلته، وتجواله من جهة، فيقول: أسرينا الليل كله، أقمنا على تلك الحال النهار كله؛ وتأكيد استمرارية الحدث ضمن فترة زمنية محددة من جهة أخرى، كما في: انقد المشعر الحرام تلك الليلة كلها، اتصل صعود الناس ذلك اليوم كله والليلة كلها إلى يوم الجمعة كله.

وقد يستخدم ابن جبير نوعين من التأكيد، لبيان شدة الحدث وتأثيره، كما في وصفه لمشهد مخاطرة بحرية في أثناء عاصفة قوية، كادت تقضي عليهم في قوله: "عصفت علينا ريح

---

[1] ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص ٤٣١.

[2] ابن جبير،الرحلة، ص١٩٧

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هال لها البحر، وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه شآبيب سهام. فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة...." [1]، وبعد وصف طويل لما حل بهم يقول: ومرنا في هذه الحال كلها بريح الصواري سيرا سريعا، فكأنه يريد إشعارنا بشدة الموقف وعظمته، بتوكيد جملته الأخيرة بالمصدر تارة وبـ "كل" تارة أخرى.

ثانيا: المبنية للمجهول

أ. غير المؤكدة

النمط الأول: فعل + نائب فاعل

الصورة الأولى: فعل + نائب فاعل ظاهر

مثال ذلك: كسف القمر[2]، أغمدت السيوف[3]، بسطت الحصر[4]، تضاءلت النفوس[5]، أوقد المشعل[6]، خلعت ملابس العزة[7]، أشعلت المشاعل[8]، كتبت أسماؤهم[9]، أسرجت

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٣.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٣.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصابيح[1]، خلي سبيله[2]، أوقد جميع ما ذكر[3].

الصورة الثانية: فعل + نائب فاعل متصل

الأمثلة: استحلفوا[4].

النمط الثاني: فعل + نائب فاعل + شبه جملة

الصورة الأولى: فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة

١. فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: أعيدت القبة عليه[5]، توج الحطيم بخشب وألواح[6]، نُصب المنبر قبالته[7]، أفرد البيت للناس خاصة[8]، أرخي الستر عليها[9]، أحضر الشمع في أنوار الصف[10]، استلت السيوف أمامه[11]، أفرد البيت للناس خاصة[12]، أعلن النائبون بالصياح[13]، أعيدت القبة عليه[14].

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٣.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

(12) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(13) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

(14) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: أُحدق الشمع في الأتوار به[١]، أوقدت الصوامع من الأربع جهات من الحرم[٢].

الصورة الثانية: فعل + نائب فاعل مستتر + شبه جملة

١. فعل + نائب فاعل مستتر + شبه جملة

مثال ذلك: وصلت بالحطيم[٣]، فسيق إلى عرفات[٤]، دفن في تلك الروضة[٥].

٢. فعل + نائب فاعل مستتر + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: وضع على عتبة باب البيت المكرم[٦]، نشر بإزاء المقام المطهر[٧].

الصورة الثالثة: فعل + شبه جملة + نائب فاعل

١. فعل + شبه جملة + نائب فاعل

مثال ذلك: طيف به طواف الإفاضة[٨]، أبيح له ذلك[٩]، أحدقت بالحرم المشاعيل[١٠]، استدل بها بعض الاستدلال[١١]، علقت عليه قناديل فضة[١٢].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٦.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الثالثة: فعل + شبه جملة + نائب فاعل + شبه جملة

مثال ذلك: رفعت له القبة عن المقام[1].

النمط الثالث: فعل + نائب فاعل + نعت

الصورة الأولى: فعل + نائب فاعل ظاهر + نعت

١. فعل + نائب فاعل + نعت

مثال ذلك: أوقد سطح المسجد الذي في أعلى جبل أبي قبيس[2].

٢. فعل + نائب فاعل + نعت + نعت

مثال ذلك: وضع المحراب العودي المشرجب[3]، أوقدت الثريا المغصنة ذات الفواكه[4].

الصورة الثانية: فعل + شبه جملة + نائب فاعل + نعت

مثال ذلك: وضع بمقربة من المحراب منبر مجلل[5]، فتح فيها موضع يلاحظ الروضة المقدسة[6]، وصفت فيها الزجاجات ذوات الأنابيب[7]، نُصب عن عين المقام ويساره شمع

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كثير[1]. وكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم[2]، وضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة السكن[3].

ب. المؤكدة

النمط الأول: قد + فعل + نائب فاعل

الصورة الأولى: قد + فعل + نائب فاعل ظاهر

١. قد + فعل + نائب فاعل ظاهر

مثال ذلك: قد استظرف ذلك الخطيب[4].

٢. قد + فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: قد شدت جوانبه بصفيحة فضة[5].

الصورة الثانية: قد + فعل + نائب فاعل مستتر

١. قد + فعل + نائب فاعل مستتر + شبه جملة

مثال ذلك: قد غُص بالزحام[6]، قد غُص بالمنتظرين[7]، قد غُص بالساعين والساعيات على

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٦.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هوادجهن[1]، قد بسط بالحصر[2]، قد أعيد إليه[3].

٢. قد + فعل + نائب فاعل مستتر +" أفعل التفضيل" مضافة إلى المصدر

مثال ذلك: قد نقشت أبدع نقش[4]، قد ألصق أبدع إلصاق[5].

الصورة الثالثة: قد + فعل + نائب فاعل متصل

١. قد + فعل + نائب فاعل متصل +" أفعل التفضيل" مضافة إلى المصدر

مثال ذلك: قد خُرّما أحسن تخريم[6].

٢. قد + فعل + نائب فاعل متصل + شبه جملة

مثال ذلك: قد ركزتا في أعلى المنبر[7]، قد ركزتا بجانبي المنبر الكريم[8].

النمط الثاني: قد + فعل + شبه جملة + نائب فاعل

الصورة الأولى: قد + فعل + شبه جملة + نائب فاعل

مثال ذلك: قد صورت فيها التماسيح[9].

الصورة الثانية: قد + فعل + شبه جملة + نائب فاعل + نعت

١. قد + فعل + شبه جملة + نائب فاعل + نعت

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٠.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٧.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: قد أقيمت فيه الصخور العظام[1]، قد نصبت فيه مصابيح يصلي الناس فيها[2]، قد وكل بها قومة يسكنون فيها ويحفظونها[3].

٢. قد + فعل + شبه جملة + نائب فاعل + نعت + نعت

مثال ذلك: قد بني عليه مسجد كبير مرتفع[4].

النمط الثالث: فعل + نائب فاعل + "كل + هاء"

الصورة الأولى: قد + فعل + نائب فاعل ظاهر + "كل + الهاء"

١. قد + فعل + نائب فاعل ظاهر + "كل + هاء" + تمييز

مثال ذلك: قد جللت قبتها كلها سبائك[5].

٢. قد + فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة + "كل + هاء"

مثال ذلك: قد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الأربعة كلها[6].

الصورة الثانية: فعل + نائب فاعل ظاهر + "كل + الهاء"

١. فعل + نائب فاعل ظاهر+ نعت + "كل + الهاء" + تمييز

مثال ذلك: ملئ المسجد الحرام كله سرجا[7].

٢. فعل + نائب فاعل ظاهر + "كل + الهاء" + شبه جملة متضمنة للنعت

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٤.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٨.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٢.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروفة بالفسيفساء[1].

الصورة الثالثة: فعل + شبه جملة + نائب فاعل + "كل + الهاء"

مثال ذلك: قضيت له المناسك كلها[2].

الصورة الرابعة: فعل + نائب فاعل + شبه جملة + "كل + الهاء"

مثال ذلك: أمعن الاحتفال في هذا كله[3].

الصورة الخامسة: فعل + نائب فاعل مستتر + "كل + الهاء" + تمييز

مثال ذلك: خرقت كلها ثقبا[4]، جللت كلها شمعا[5].

النمط الثالث: قد + فعل + نائب فاعل + مصدر

مثال ذلك: قد رُص بناؤه رصا[6].

النمط الرابع: فعل + شبه جملة متضمنة للنعت + مصدر

مثال ذلك: ألصقت بالعقد الوثيق إلصاقا[7].

يبدو مما سبق أن ابن جبير استخدم البناء للمجهول ضمن ثلاث صور هي:

أولا: الفعل المبني للمجهول + نائب الفاعل.

ثانيا: الفعل المبني للمجهول + نائب الفاعل + شبه الجملة.

ثالثا: الفعل المبني للمجهول + نائب الفاعل + نعت.

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٣.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٨.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسمّى النحاة نائب الفاعل بالمفعول الذي لم يسمّ فاعله[1]. "وارتفاع المفعول بالفعل كارتفاع الفاعل إذا كان الكلام لا يتم إلا به، ولا يستغنى دونه"[2]، "فالمفعول الذي لم يسم فاعله يجري مجرى الفاعل، في أنه يبنى على فعل صيغ له على طريقة فعل، كما بني الفاعل على فعل صيغ له على طريقة فعل، ويجعل الفعل حديثا عنه كما كان حديثا عن الفاعل في أنه يصح به وبفعله الفائدة ويحسن السكوت عليه كما يحسن السكوت على الفاعل"[3].

وعند العودة إلى الصور السابقة نجد أن ابن جبير استخدم نائب الفاعل عند حديثه عن الضوء وبعض الأمور المادية أو المعنوية المألوفة. فقال: أوقد المشعل، أشعلت المشاعل، أسرجت المصابيح،. وهنا لا يهمنا من قام بالحدث ألبتة، بل ما يهمنا هو الحدث نفسه، وعلاقته بمن وقع له. فالضوء مركز الاهتمام في هذه الجمل، بغض النظر عمن قام بالعملية. وغالبا ما تتم هذه الإضاءة في المساجد بعد ختمة القرآن، وما يقومون به من احتفالات خاصة، فاجتماع الناس يحتاج إلى إضاءة أقوى من المعتاد.

يقول ابن جبير: "ثم كانت ليلة سبع وعشرين.... ووقع النظر والاحتفال لهذه الليلة المباركة قبل ذلك بيومين أو ثلاثة، وأقيمت إزاء حطيم إمام الشافعية خشب عظام بائنة الارتفاع موصول بين كل ثلاث منها بأذرع من الأعواد الوثيقة، فاتصل منها صف كاد يمسك نصف الحرم عرضا ووُصلت بالحطيم المذكور، ثم عُرضت بينها ألواح طوال مُدت على الأذرع المذكورة، .... وأوقدت فيها المصابيح، فجاءت كأنها موائد ذوات رأس فحل القبة المذكورة،

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ٦٩/٧.

والإستربادي، شرح الرضي، ١٣٩/٥.

[2] ابن السراج، الأصول، ص ٧٦.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ٦٩/٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وصُففت طرة شباكها شمعا، وصُف المقام الكريم محراب من الأعواد المشرجبة المخرمة محفوفة الأعلى بمسامير حديدة الأطراف....»[1].

يظهر من هذا النص أن ابن جبير لم يكتف بالحديث عن الضوء بصيغة البناء للمجهول، بل فضل استخدام هذه الصيغة في ذكر أحداث الاحتفال كله، فلا يهمه من الذي مدّ على الأذرع، ومن الذي أقام الخشب، ومن الذي وصلها بالحطيم، بل الأحداث نفسها هي ما يريد إيصاله للناس، وتعريفهم به، عند وصف حيثيات الاحتفال السابقة.

ومثال استخدامه صيغة البناء للمجهول في الأمور المادية والمعنوية، وصفه لقدوم الأمير سيف الإسلام، ومن معه من أصحاب السيوف اللامعة إلى البيت الحرام، يقول: «فلحين دنو الأمير من البيت المعظم أُغمدت السيوف وتضاءلت النفوس وخُلعت ملابس العزة وذلت الأعناق.... مهابة وتعظيما لبيت ملك الملوك العزيز الجبار الواحد القهار»[2].

فالأحداث هنا عمت الناس كافة من هول الموقف، وليس بوسعه أن يردها إلى أصحابها، وأن يبين فاعليها. فما أراد إيضاحه أن النفوس تضاءلت والسيوف أغمدت وحسب، فلا يهمه أمر آخر، وهذا التضاؤل وهذا الإغماد هما مركز الكلام وجوهره، فكان حقهما التقديم. وجعل هذا الضرب من التركيب من باب الجملة الفعلية أولا، المبنية للمجهول ثانيا.

أما استخدامه شبه الجملة بعد البناء للمجهول، فكان من أجل بيان المكان أو الزمان كقوله: نصب المنبر قبالته، استلت السيوف أمامه، أعيدت القبة عليه، فسيق إلى عرفات، دفن في تلك الروضة. ومن أجل بيان الخصوصية كقوله: أفرد البيت للناس خاصة، وقوله: أحدقت الأشباه به. وقد قدمها أحيانا كما في قوله: أحدقت بالحرم المشاعيل، فأهمية الحرم أوجبت عليه

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك بالإضافة إلى خصوصية هذا المكان دون غيره من الأماكن، فأراد إلصاق الصفة بـالحرم وحده لذلك قدمه، وكقوله: علقت عليه قناديل فضة، وهذا من باب تقديم الأهم أيضا، وهو مكان تابوت الحسين بن علي عليه السلام في مصر، فهذا المكان أهم من القناديل الفضية بما يوحيه في نفسه ووجدانه.

وأما ما نعته في هذا النمط فهو المسجد، وما يوجد به من منابر وشمع ومواضع ومقامات مباركة، وكان يذكر الفعل ثم شبه الجملة الدالة عليه، ثم نائب الفاعل المنعوت، كقوله: وُضع بمقربة من المحراب منبر مجلل، بُني عليه مسجد رائق البناء، نُصب عن يمين المقام ويساره شمع كثير[1].

و أكد بعض الجمل المبنية للمجهول بـ"قد" وهي المتعلقة بالخطيب، وتأثيره في النفوس، وبالبناء المحكم الجميل، وبالمسجد وما يحتوي من حصر، ونقش، ومنابر، ولزدحام، وكذلك الحال استخدم "كل" إذ أكد بها جمال قبة المسجد، وجدره، وشمعه، وتزيينه، كما ظهر في الأمثلة السابقة.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني: الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع

١: المبنية للمعلوم

النمط الأول: فعل + فاعل

الصورة الأولى: فعل + فاعل متصل

مثال ذلك: فيتصافحون[١]، يطعمون ويُطعمون ويتنعمون وينعّمون[٢]، ويتقوتون ويدخرون[٣].

الصورة الثانية: فعل + فاعل مستتر

مثال ذلك: ينحر أو يذبح ويحلق[٤].

النمط الثاني: فعل + فاعل + شبه جملة

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة

١. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: يتزاحم الناس للصلاة[٥]، فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله[٦]، تصدع ألسنتهم بأدعيـــة[٧]، يصلي الناس فيها[٨]، تتهدل أغصانها عليه[٩]، يجري الماء فيه[١٠].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٦.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٧.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: يزدحم الناس في الصعود إليه[١]، فيبادر الناس لوضع رؤوسهم في ذلك الموضع[٢]، يتبرك الناس بالصلاة فيه[٣]، فيرتج المسجد لأصوات القراءة من كل ناحية[٤].

الصورة الثانية: فعل + فاعل متصل + شبه جملة

١. فعل + فاعل متصل + شبه جملة

مثال ذلك: يخرجون منها[٥]، يبيتون فيها[٦]يقومون دون تسليم[٧]، يسجدون دون ركوع[٨]، يصعدون في المراكب[٩].

٢. فعل + فاعل متصل + أشباه جمل

مثال ذلك: يستعدون للوصول إلى هذه الليلة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام[١٠].

٣ . شبه جملة + فعل + فاعل متصل

مثال ذلك: له يعبأون وله يحتفلون وله يعظمون[١١].

الصورة الثالثة: فعل + فاعل مستتر + شبه جملة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٦.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٠.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة

مثال ذلك: فيسكت خلال إكمال الآية[١]، يعود إلى خطبته[٢]، يصغر في خبرها[٣]، تضج بالدعاء[٤]، تشرف عليه[٥]، تتطلع بمرآى فتان[٦]، ينسرب في ظلالها[٧]، يأوي إليه[٨].

٢. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: تبتهل إلى الله بالثناء[٩]، يظهر في البحر مع الصحو[١٠]، يقوم به في جميع أحواله[١١].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل مستتر + شبه جملة+ شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: فيصعد به على بكرة معدة لذلك[١٢].

الصورة الرابعة: فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر

١. فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠٦.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٩.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٣.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٤.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: تتخلع إليه النفوس[١]، يطيف بالبلد سور[٢]، تتغلق عليها أبواب حديد[٣]، فينسدل عليه ستره[٤]، تطيف بها دكاكين وبيوت[٥]، تتصدع لها القلوب[٦]، يشرف عليها حصن[٧]، فتتسع في تدفقه أساليبه[٨]، تتناظر بشطيه دواليبه[٩].

٢. فعل + شبه جملة + فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: يطلع فيه المد من البحر[١٠].

النمط الثالث: فعل + فاعل + نعت

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر + نعت

مثال ذلك: تتفجر العيون الجوامد[١١]، تخشع القلوب القاسية[١٢].

الصورة الثانية: فعل + فاعل + نعت + شبه جملة

مثال ذلك: فيضيق الباب الكريم بهم[١٣].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٣.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[١٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الثالثة: فعل + فاعل متصل + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: ينادون بلسان واحد[١]، ينظرن بعيون دوامع[٢].

الصورة الرابعة: فعل + شبه جملة + فاعل + نعت

١. فعل + شبه جملة + فاعل + نعت

مثال ذلك: يمر بجانبها نهر كبير[٣]، تتفجر لها الأعين الجوامد[٤].

٢. فعل + شبه جملة + نعت + فاعل + نعت

مثال ذلك: تحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان[٥].

٣. فعل + أشباه جمل + فاعل + نعت

مثال ذلك: تحف بها من الشط إلى الشط سلاسل حديد عظام[٦].

النمط الرابع: فعل + فاعل + حال

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر + حال

١. فعل + فاعل ظاهر + حال

مثال ذلك: فيقف المسلم مستدبر القبلة[٧]، يقف الناس مستقبلين إياه[٨].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٤.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. فعل + فاعل ظاهر + حال + شبه جملة

مثال ذلك: فيدخل الناس كافة متبركين به[١]، فيصعد كل واحد منهم ساحبا أذياله من الكبر[٢].

٣. فعل + فاعل ظاهر + شبه جملة + أحوال متعددة

مثال ذلك: ينتثر انتظام الحاج في المشي فينبسط كل في طريقه متقدما ومتأخرا وبطيئا ومستعجلا، آمنا مطمئنا[٣].

٤. فعل + فاعل ظاهر + أحوال متعددة

مثال ذلك: يقبل الخطيب لابسا ثوب سواد أو متعمما بعمامة سوداء داخلا على باب النبي ﷺ[٤].

الصورة الثانية: فعل + فاعل + مستتر + شبه جملة + حال

مثال ذلك: ويأتي للخطبة لابسا السواد[٥].

"إن ما يميز الفعل المضارع افتتاحه بأحد الأحرف الأربعة: الهمزة والنون، والتاء، والياء،.... وهو صالح للحال والاستقبال خلافا لمن خصه بأحدهما"[٦]. "وعلامته أن يصلح لأن يلي "لم"[٧].

وللمضارع أربع حالات: الأولى: أن يترجح فيه الحال وذلك إذا كان مجردا؛ لأنه لما كان لكل من الماضي والمستقبل صيغة تخصه، ولم يكن للحال صيغة تخصه جُعلت دلالته على

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٢.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٦.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

[٦] السيوطي، همع الهوامع، ١٧/١.

[٧] ابن هشام، أوضح المسالك، ٢١/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحال راجحة عند تجرده من القرائن. والثانية: أن يتعين فيه الحال، وذلك إذا اقترن بـــ"الآن"، وما في معناه أو نفي بـــ"ليس" أو "ما" أو "إن"؛ لأنها موضوعة لنفي الحال، أو دخل عليـــه "لام الابتداء". والثالثة: أن يتعين فيه الاستقبال، وذلك إذا اقتـــرن بظـــرف مـــستقبل. والرابعـــة: أن ينصرف معناه إلى المضي وذلك إذا اقترن بـــ"لم" أو "لما" [1].

عند النظر في الأمثلة السابقة نجد أن ابن جبير لم يستخدم الفعل المضارع بكثرة، كمـــا استخدم الماضي؛ فهو يدوّن ما رأى وسمع على شكل مذكرات يومية؛ والمذكرات تكتب بصيغة الماضي لا الحاضر، ولكنه عندما يريد نقل الحدث مباشرة يذكره بصيغة المـــضارع المتبـــوع بسياق يوضحه، فوصف الفعل المضارع للحال أو الاستقبال يحتم عليه رسم صورة خاصة لمـــا يكتب، وكأنه يرى الأحداث فيكتبها بكل حيثياتها؛ ولذلك لم يستخدم جملة الفعل المضارع خاليـــة من الملحقات إلا في حالتين:

الحالة الأولى: عند وصفه لمناسك الحج، وهذه المناسك ليست بحاجة إلى توضيح وبيان هيئـــة، فيقول واصفا أعمال الحاج: "... ويرمي بها سبع حصيات، وذلك يوم النحر إثر طلوع الشمس، ثم ينحر أو يذبح ويحلق، والمحلق حولها، والمنحر في كل موضع من منـــى، لأن منـــى كلهـــا منحر"[2].

والحالة الثانية: عند حديثه عن أحداث عامة مألوفة ليست بحاجة إلـــى توضـــيح كالمـــصافحة والطعام.

أما استخدام شبه الجملة بعد الفعل والفاعل فكان من أجل بيان المعاني الآتية:

---

[1] انظر السيوطي، همع الهوامع، ١/ ١٨- ٢٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. بيان المكان أو الزمان: كقوله: يصلي الناس فيها، يجري الماء فيه، يأوي إليه، يخرجون منها، تتهدل أغصانها عليه، يصعدون في المراكب، فيسكت خلال إكمال الآية.

٢. بيان السبب: كقوله: يتزاحم الناس للصلاة، يتبرك الناس بالصلاة فيه، يستعدون للوصول إلى هذه الليلة المباركة.

٣. بيان النوع: كقوله: تضج بالدعاء، تصدع ألسنتهم بأدعية، تتطلع بمرأى فتان.

وأما استخدام النعت بعد الفعل والفاعل فكان قليلا، كقوله: تتفجر العيون الجوامد وتخشع القلوب القاسية بسبب الخطبة القوية المؤثرة، وما يتصف به الخطيب من براعة في إيصال المعلومة المؤثرة. واستخدم شبه الجملة فاصلة بين الفعل والفاعل المنعوت؛ وذلك لأهمية ما تعود عليه، فعند حديثه عن كسوة الأمير العراقي للكعبة قال: "فوضعت الكسوة في السطح المكرم أعلى الكعبة.... في أعلاها رسم أحمر واسع مكتوب في الصفح الموجه إلى المقام الكريم حيث الباب المكرم، .... وتحف بالرسم المذكور طرتان حمراوان بدوائر صغار بيض فيها رسم بخط رقيق، يتضمن آيات من القرآن وذكر للخليفة أيضا"[1]. فالرسم المذكور من الأهمية بمكان وحقه أن يقدم على الزينة التي تحف به؛ فوصف هذا الكسوة أنها "خضراء يانعة تقيد الأبصار حسنا"[2]؛ لذلك فقد قيدت بصره وقدم رسمها على ما أحاط بها.

وأما قوله: "تتصدع لها الأعين الجوامد" فشبه الجملة هنا مرتبطة بأدعية لقوم قال عنهم: "فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية". فأدعيتهم صادقة فطرية لا تكلف بها ولا رياء؛ فكان حقها التقديم عنده. وقدم شبه الجملة على الفاعل المنعوت أيضا عند حديثه عن قرية تعرف بزريران، فقد وصفها وصفا رائعا عندما قال: "وهذه القرية من أحسن قرى الأرض،

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأجملها منظرا، وأفسحها ساحة، وأوسعها اختطاطا، وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق نخيل. وكان بها سوق تقصر عنه أسواق المدن. وحسبك من شرف موضعها أن دجلة تسقي شرقيها، والفرات يسقي غربيها، وهي كالعروس بينهما"[1]. لذلك قال بعدها: "ويمر بجانبها القبلي نهر كبير متفرع من الفرات عليه جسر معقود على مراكب تحف بها من الشط إلى الشط سلاسل حديد عظام"[2]. فلشدة انبهاره بهذه القرية قدمها على النهر الكبير وعلى السلاسل العظام.

وقد استخدم الحال بعد الفعل والفاعل عند حديثه عن الخطيب، ثم الحجاج، ثم الناس. كان محور اهتماهه في الخطيب لباسه، فحرص على وصفه وبيانه مرارا في رحلته، كأن لبس السواد للخطيب يعطيه هيبة ووقارا في نفس من يراه، فتتملكه الرغبة في أن يسمع كلامه بإنصات واهتمام. أما الحجاج فبين هيئتهم الظاهرية في التقدم والتأخر، وهيئتهم النفسية في الأمن والاطمئنان، فهو حاج مثلهم وهيئته من هيئتهم. أما الناس فأراد تصويرهم عند تأثرهم الديني، واعتبارهم كما ظهر في الأمثلة، وهذا التأثر أكثر ما يلفت نظره من أحوالهم وهيئاتهم، وهذا ليس بغريب عن زاهد متعبد مثله!

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الخامس: فعل + فاعل + مفعول به

الصورة الأولى: فعل + فاعل متصل + مفعول به

مثال ذلك: يبتدرون القراءة[١]، يسرعون الخروج[٢]، يزدرون الغرباء[٣]، يتفقدون أحوالهم[٤]، يتهادون الدعاء[٥]، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام[٦]، يجلبون السمن[٧].

الصورة الثانية: فعل + فاعل مستتر + مفعول به

مثال ذلك: تركب البحر[٨]، يلطّف الوعظ[٩]، يذيب الأجسام ويشغل المعدة[١٠].

الصورة الثالثة: فعل + مفعول به + فاعل

فروعها:

١. فعل + مفعول به ظاهر + فاعل

مثال ذلك: تقع البركة أموالهم[١١]، يفتح الباب العامة[١٢].

٢. فعل + مفعول به متصل + فاعل

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٤.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٣.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٩.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: ترسلها الرياح[1]، تحفها البساتين والكروم وأنواع الأشجار[2].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل

مثال ذلك: يجاوبانه ويقاولانه[3].

النمط السادس: فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر + مفعول به + شبه جملة

مثال ذلك: فيدخل الناس أيديهم إليه[4].

الصورة الثانية: فعل + فاعل متصل + مفعول به + شبه جملة

مثال ذلك: يمسكون أنوار الشمع بأيديهم[5]، يرفعون أصواتهم بيارب[6]، يستخدمون أنفسهم في كل مهنة[7].

الصورة الخامسة: فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة

١. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة

مثال ذلك: يطارحنهم بالدعاء[8]،يبايعونهم به[9].

٢. فعل + فاعل متصل + مفعول به متصل + شبه جملة + شبه جملة

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٩.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٩، ١٢٠.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٢.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: يأمرونهم بالنظر في مصالحهم[1].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل متصل + شبه جملة + مفعول به

مثال ذلك: يظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء[2]، يستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء[3]، يرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه[4]، يسلكون بهم غير طريق الماء[5].

الصورة السادسة: فعل + فاعل مستتر+ شبه جملة + مفعول به

١. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به

مثال ذلك: يسمع بها الحاضرين[6]، يجلس فيه أحد سدنة البيت[7]، يرمي بها سبع حصيات[8]، تحدث في النفوس فتنة[9].

٢. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به + شبه جملة

مثال ذلك: يجمع فيها الدعاء للصحابة[10].

٣. فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + مفعول به + شبه جملة

مثال ذلك: فيربط فيها شبيه محمول من العود[11].

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٤.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٢.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط السابع: فعل + فاعل + مفعول به + نعت

الصورة الأولى: فعل + فاعل متصل + مفعول به + نعت

مثال ذلك: يقبلون البيت الكريم[1]، يرين البيت الكريم[2]، يلحظن الحجر المبارك[3].

الصورة الثانية: فعل + فاعل متصل + شبه جملة + مفعول به + نعت

مثال ذلك: يفتلون منه أمراسا يخيطون فيها المراكب[4].

الصورة الثالثة: فعل + مفعول به + نعت + فاعل + نعت

مثال ذلك: يكتنف البابين الكريمين عضادة غليظة[5].

عند النظر في الأمثلة السابقة نجد أن ابن جبير لم يستخدم الفعل والفاعل والمفعول به دون متممات، إلا في الفاعل الضمير المتصل والمستتر، ولقد كان فاعله الضمير يعود على جماعة الناس الذين يلقاهم أو الأماكن والأشياء التي يريد وصفها، ولم يتحدث عن نفسه أو مجموعة الرحالين الذين معه في صيغة المضارع؛ فلا يهم أن ينقل لنا أعماله لحظة بلحظة، بل الأهم أن يحدثناعما شاهد بعد انتهاء الحدث، وهذه الأفعال والمشاهدات ليس بالضرورة أن تتصف بالاستمرارية، فهي أفعال محدودة في وقت محدود تتبعها غيرها وغيرها، إلى أن ينتهي من مهمته ويعود إلى بلده. أما أفعال غيره من الناس الذين يلقاهم والأحداث الناتجة عن المشاهدات التي يراها فتتصف بالاستمرارية عندما تكون عادة كقوله: يزدرون الغرباء، يتهادون

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدعاء، يعلمون أبناء الفقراء؛ أو صفة دائمة يريد نقلها للناس كقوله في وصف مدينة عيذاب التي تجبر من يدخلها على العيش بشظف لسوء الحال وعدم توفر الأغذية الموافقة: "فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام وماء يشغل المعدة عن اشتهاء الطعام، فما ظلم من غني عن هذه البلدة بقوله:

ماء زعاق وجوٌ كله لهب

فالحلول بها من أعظم المكاره التي حف بها السبيل إلى البيت العتيق"[1].

و استخدم هذا النمط في بيان أحداث مألوفة واضحة، ليست بحاجة إلى مكملات كالتعليم، والدعاء، والركوب والخروج، وغيره. أما تقديم المفعول به على الفاعل- على الرغم من أن حقه التأخر- فكان عند حديثه عن البركة وأبواب الحرم، فالبركة هي التي تنمي المال وتزيده، لذلك فهي أهم منه، وأبواب الحرم لها مكانة عظيمة في نفسه، إجلالا للمكان المقدس. يقول عبد القاهر الجرجاني في شأن تقديم المفعول به على الفاعل: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[2]. فالتقديم هنا من باب الأهمية.

وأما استخدام شبه الجملة بعد الفعل والفاعل والمفعول به فكان في صورتين:

الصورة الأولى: استخدامها بعد الفعل والفاعل والمفعول به.

الصورة الثانية: استخدامها بعد الفعل والفاعل وتأخير المفعول به.

كان استخدامها بعد المفعول به لبيان المكان كقوله: يتولى التسحير في المنطقة، ترمي الماء في حوض رخام، فيدخل الناس أيديهم إليه؛ أو لبيان السبب كقوله: يرتمي الأبصار برونقه،

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص٥٩ .

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تخطف الأبصار بساطع شعاعها، فالرونق وساطع الشعاع هما سبب الحدث؛ أو بيان الهيئة أو الطريقة كقوله: يمسكون أنوار الشمع بأيديهم، يرفعون أصواتهم بيارب، يبسط خده بإزاء الشق.

وقدم ابن جبير شبه الجملة على المفعول به من أجل سببين:

الأول: تخصيص فئة معينة من الناس، كحديثه عن أهل مدينة السلام، وبيان صفاتهم السيئة إذ قال: "وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء ويذهب بنفسه عجبا وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون من سواهم الأحاديث والأنباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده، أن الوجود كله يصغر بالإضافة لبلده، فهم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلادا أو عبادا سواهم...."[1] فهؤلاء الناس لهم من الصفات ما يجلعه يخصصهم عن طريق تقديم شبه الجملة المتعلقة بهم على المفعول به.

والثاني: تخصيص مكان معين؛ كتخصيصه جمرة العقبة في منى، إذ يقول عنها: "لولا آيات الله البينات فيها لكانت كالجبال الرواس لما يجتمع فيها على تعاقب الدهور وتوالي الأزمنة، فيها سر كبير من أسراره الخفيات، لا إله سواه وعليها مسجد مبارك، وبها علم منصوب شبه أعلام الحرم التي ذكرناها، فيجعلها الرامي عن يمينه مستقبلا مكة، شرفها الله، ويرمي بها حصيات...."[2]، فأهميتها جعلته يقدم شبه الجملة على المفعول به. وقدم شبه الجملة أيضا لتخصيص الجوامع التي شاهدها في القاهرة فقد قال "إنها حفيلة البنيان أنيقة الصنعة، فيأخذ الخطيب فيها مأخذ سني يجمع فيها الدعاء للصحابة"[3].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما استخدام النعت بعد الفعل والفاعل والمفعول به فكان قليلا ومعتادا، كقوله: البيت الكريم، الحجر المبارك، محمول من العود بكرة معدة لذلك، و استخدم شبه الجملة فاصلة بين الفعل والفاعل من جهة، والمفعول به المنعوت من جهة ثانية، من أجل تحديد الشيء المقصود.

النمط الثامن: حرف + جملة فعلية

الصورة الأولى: لا + جملة فعلية

مثال ذلك: لا يلقون لسفرهم وإن بعدت شقته نصبا[1]، لا يجدون على طول الحل والترحال تعبا[2]، لا يجري الماء فيه إلا عند نزول ديم المطر الكثير[3]، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين إلا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة[4]، لا يلجنه ولا يستلمنه [5]، لا يؤكل فيه شيء إلا محلوب[6]، لا يستعمل فيها مسمار ألبتة[7]، لا يخلصون بينهن عند هبوطهم من البيت الكريم[8]، لا تخلو من القلاع السلطانية[9].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٦.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الثانية: لم + جملة فعلية

مثال ذلك: لم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم[1]، لم يبق بمكة صبي إلا وصحبه[2]، لم يبق منه إلا الأهل[3]، لم يقصر عن الاحتفال الأول[4]، لم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال[5]، لم يتخلص للطائفين بسببه طواف[6]، لم يعاينوا قط مثل هذا الهول[7]، لم نلق من رجال مصر سواه[8]، لم يسمع أعجب منه[9]، لم ير أعجب منه[10]، لم ير أبدع منها صنعة[11]، لم ير أحفل بناء منه[12].

الصورة الثالثة: قد + جملة فعلية

مثال ذلك: قد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكبا في زورق، وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية[13].

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٩.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٠.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٠.

(12) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٢.

(13) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استخدم ابن جبير الحروف "لا، لم، قد" قبل الفعل المضارع. فمواضع "لا" تختلف في الكلام، فتقع على الأسماء، وتقع على الأفعال، وعندما تقع على الأفعال تنفي الحدث الذي يليها كقولك: لا أفعل نفيا لقولك: لأفعلن، وتكون لطلب الترك وعندها تجزم الفعل المضارع[1].

أما استخدامه لها فكان من أجل أمرين:

الأول: بيان بعض خصائص المكان الذي يتحدث عنه باستخدام النفي، كحديثه عن الوادي المنسوب لإبراهيم عليه السلام ومجرى الماء فيه[2]، وكحديثه عن طريقة أهل عيذاب في صناعة المراكب حين لا يستعملون المسامير ويستبدلون بها أمراسا مصنوعة من قشر جوز النارجيل[3]، وكتأكيده وجود القلاع في مدينة منبج وما حولها[4].

والأمر الثاني: عند إطلاق أحكامه على الناس الذين يراهم، فقال عن حجّاب الأمير العراقي: "لهم قباب تظلهم على الإبل بديعة المنظر، عجيبة الشكل، فيقعد الراكب فيها مستريحا كأنه في مهاد لين فسيح.... فعندما يصلون إلى المرحلة التي يحطون بها يدخل بهما راكبين وينصب لهم كرسي ينزلون عليه، فينتقلون من ظل قبة المحمل إلى قبة المنزل، دون واسطة هواء ولا خطفة شمس"[5] مما جعله يطلق حكمه بالنفي القاطع أنهم مرتاحون في سفرهم فلا يجدون تعبا فيه.

---

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ ٢٦٥.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٧.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٥.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك عند حديثه عن طواف النساء فقال عنهن: "وبالجملة فهن مع الرجال مسكينات مغبونات، يرين البيت الكريم ولا يلجنه ويلحظن الحجر المبارك ولا يستلمنه"[1] فقد تعاطف معهن فأصدر حكمه في ضياع حقهن في الطواف.

أما "لم" فقد ذكر سيبويه أنها حرف جزم ونفي[2]، وعدها نظير "لن" في النفي،لكنه ذكر اختلافهما، فلم لنفي الماضي، ولن لنفي المستقبل[3].

وقال الأخفش (ت ٢١٥هـ): "إنما جزموا بلم لأنها نفي، فأشبهت (لا) في قولك: لا رجل في الدار، فحذفت بها الحركة كما حذفت التنوين في الأسماء وقال غيره: جزمت بها لأنها أشبهت (إن) التي للشرط لأنه ترد المستقبل على الماضي كما ترد (إن)"[4].

وأما استخدام ابن جبير لها فكان أيضا من أجل إطلاق أحكام تختص بالسياقات الآتية:

١. الطواف والعمرة: ذكر يوم طواف النساء قائلا: "فاجتمعن من كل أوب، وقد تقدم احتفالهن لذلك بأيام كاحتفالهن للمشاهد الكريمة، ولم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم. فلما وصل الشيبيون لفتح البيت الكريم على العادة، أسرعوا في الخروج منه وأخرجوا النساء عنه. وأفرج الناس لهن عن الطواف وعن الحجر لم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال.... وتسلل النساء بعضهن ببعض وتشابكن حتى تواقعن، فمن صائحة ومعولة ومكبرة ومهللة...."[5] فأصدر حكمين قاطعين، الأول:

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

[2] سيبويه، الكتاب، ٤٠٨/١.

[3] سيبويه، الكتاب، ٣٠٥/٢.

[4] ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن. الجزء الأول. تحقيق زهير غازي زاهد. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧م، ١٤٩/١، ١٥٠.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندما نفى احتمال وجود امرأة لم تحضر للطواف، والثاني: عندما نفى احتمال وجود رجل عند الطواف، فهو لذلك يدلل على كلامه وعلى حكميه عندما وصف كثرتهن التي أدت بهن إلى التشابك والتواقع، وكذلك وصف سرعة خروج الشيبيين عندما فتحوا البيت الكريم بيد أنه في نهاية حديثه عن يوم طواف النساء، يذكر أن حظهن قليل في ذلك عندما قال: "فحظهن من ذلك كله النظر والأسف المستطير المستشعر".

٢. أهوال البحر: قال بعد عاصفة قوية: "أجمع من حضر من رؤساء البحر من الروم وممن شاهد الأسفار والأهوال في البحر من المسلمين، أنهم لم يعاينوا قط مثل هذا الهول فيما سلف من أعمارهم، والخبر عن هذه الحال يصغر في خبرها"[١]. فحكمه هذا مدلل بالبراهين والأدلة من ذوي الخبرة والتجربة.

٣. عند حديثه عن شيء مقدس أو أمر لا مثيل له، كحديثه عن مشاهد الأئمة العلماء الزهاد[٢] وعند وصفه للبيت الحرام[٣]، وعند حديثه عن مكة[٤]. فإصدار أحكام العجب والتميز والتفرد حق لما ذكرناه.

وأما "قد" مع الفعل المضارع فإنها تفيد التشكيك والتقليل[٥] وتكون بمنزلة "ربما"[٦]، ولم يستخدمها إلا عند حديثه عن خليفة عباسي[٧]، كان يحب التخفي والظهور بين الناس لمعرفة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٠.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٢.

[٥] ابن هشام، مغني اللبيب، ١/١٩٤.

[٦] ابن السراج، الأصول، ٢/٢١٢.

[٧] هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله محمد الحسن بن المستنجد لله أبي المظفر يوسف ويتصل نسبه إلى أبي الفضل جعفر المقتدر بالله.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحوالهم، لذلك فظهوره بين الحين والآخر متخفيا ليس حدثا دائما، لأن أمره كشف وافتضح وبدأ الناس يعرفونه، فاستخدم "قد" التي تفيد التقليل في هذا الموضع.

ثانيا: المبني للمجهول

النمط الأول: فعل + نائب فاعل + شبه جملة

الصورة الأولى: فعل + نائب فاعل ظاهر + شبه جملة

مثال ذلك: يوضع الشمع بين أيدي الأئمة في محاريبهم[١]، تحار العيون في تفاوت ارتفاعها[٢].

الصورة الثانية: فعل + نائب فاعل متصل + شبه جملة

مثال ذلك: يُباعون في السوق[٣].

الصورة الثالثة: فعل + نائب فاعل مستتر + شبه جملة

مثال ذلك: تعرف بالجيزة[٤]، يعرف بموضع قبور الشهداء[٥]، تنسب إلى حمزة[٦]، يعرف بـــأبي الأهوال[٧]، ينسب لابن العجمي[٨]، قد تركب بعضها على بعض[٩].

الصورة الرابعة: فعل + شبه جملة + نائب فاعل

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٢.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٤.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٤.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: يحضر منه الماء[1]، يملأ منها المطاهر[2]، تضرب عند ركوبها[3].

الصورة الخامسة: شبه جملة + فعل + نائب فاعل

مثال ذلك: فيه تنفق أسواقهم وصنائعهم [4].

النمط الثاني: فعل + نائب فاعل + كل + مضاف إليه

مثال ذلك: تفتح الأبواب كل يوم [5].

استخدام صيغة البناء للمجهول مع الفعل المضارع كانت في ما يأتي:

١. وصف إنارة الأماكن المقدسة، كقوله عن البيت الحرام: "يطيف بهذه المواضع كلها دائر البيت العتيق وعلى بعد منه يسير، مشاعيل توقد في صحاف حديد خُشُب مركوزة، فيتقد الحرم الشريف كله نورا، ويوضع الشمع بين أيدي الأئمة في محاريبهم" [6]. فقد سبق أن قلت إن الضوء هو الحدث المهم المرجوّ فلا يهمنا من أحدثه.

٢. عند إطلاق حكم جماعي، كقوله في وصف بلاطات جامع في الكوفة: "وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا مشى عليها، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٩.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما أرى في الأرض مسجدا أطول أعمـدة منـه ولا أعلى سقفا" [1]، فشدة الطول والارتفاع جعلته يطلق حكمه الجماعي.

٣. عند انعدام أهمية المحدث، كحديثه عن فتح أبواب جامع حمص [2]، فلا يهمه من يفـتح هذه الأبواب، المهم أنها تفتح.

٤. عند توضيح المسميات كقوله تنسب إلى.... تعرف بـ..... .

ولقد قدّم شبه الجملة على نائب الفاعل، من أجل التخـصيص والتحديـد فـي بعـض المواضع، كما قدمها على الفعل ونائب الفاعل من أجل تأكيد الأهمية. قال عبد القاهر الجرجاني: "التقديم لا يكون إلا عندما يقصد المتكلم المدرك لأساليب هذه اللغة أن يؤكد موضع الاهتمـام و العناية، أو كما يقول سيبويه: والعرب ان أرادت العناية بشيء قدمته"[3].

ب. المؤكدة:

أولا: المبني للمعلوم

النمط الأول: جملة فعلية + مصدر

الصورة الأولى: فعل + فاعل + مصدر

مثال ذلك: تهز الأرض هزا [4]، يقطع الأنفاس تقطيعا [5]، فينتهبون الحاج انتهابا [6].

الصورة الثانية: فعل + فاعل + شبه جملة + مصدر

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٩.

[3] الجرجاني ، دلائل الأعجاز ، ص ٧٣

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٨.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. **فعل + فاعل + شبه جملة + مصدر**

مثال ذلك: تنسحب على الأرض انسحابا[١]، ينفضها بيده في الهواء نفضا[٢]، تزحفان بها زحفا[٣]،تميد بهم ميدا وتموج بجميعهم موجا[٤].

٢. **فعل + فاعل + شبه جملة + مصدر + تتمة**

مثال ذلك: تسيران بها سير النسيم سرعة ولينا[٥]، يضرب بنعل سيفه المنبر في أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين[٦]، يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة[٧].

٣. **فعل + فاعل + ظرف + مصدر**

مثال ذلك: يلتفتون يمينا وشمالا التفات المروع[٨].

النمط الثاني: جملة فعلية + "كل + هاء"

الصورة الأولى: فعل + فاعل ظاهر + "كل + هاء"

مثال ذلك: تنغلق الأبواب كلها[٩].

الصورة الثانية: فعل + فاعل ظاهر + نعت + "كل + هاء"

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٦.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: فيتقد الحرم الشريف كله نورا[1].

الصورة الثالثة: فعل + فاعل مستتر + تمييز+ "كل + هاء"

مثال ذلك: يتقد ذهبا كله[2].

الصورة الرابعة: فعل + فاعل مستتر + مفعول به + "كل + هاء" + شبه جملة

مثال ذلك: يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال[3].

الصورة الخامسة: فعل + شبه جملة + "كل + هاء" + فاعل + نعت

مثال ذلك: يطيف بالحرم كله شارع مبلط بالحجر المنحوت المفروش[4]، يطيف بهذه المواضع كلها دائر البيت العتيق[5].

استخدم ابن جبير المصدر من أجل التأكيد عامة، ومن أجل التأكيد المبين للنوع، فأكد عامة حدثا أعجبه، وأراد تبيين أثره، كوصفه بعض الاحتفالات أنها تهز الأرض هزا، وكثرة أعداد الناس التي أبهرته فجعلته يصف الأرض أنها تموج بهم موجا وتميد بهم ميدا، ووصف جبلا عاليا صعبا أتعبه في أثناء صعوده بأنه يقطع الأنفاس تقطيعا، وهودج الأميرة الذي أعجبه فوصفه أنه ينسحب على الأرض انسحابا.

وأكد من أجل بيان النوع طريقة تصرف جماعة من الناس في التفاتهم؛ وكان قد انتقدهم في كل أحوالهم، فأراد تأكيد الاستهزاء بهم عن طريق تصوير التفاتهم بالالتفات المروع؛ لكنه

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٣.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استدرك أن نياتهم صادقة ، وتصرفاتهم بديهية ، فوصف طريقة طوافهم حـول الكعبـة بـأنهم يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة.

ولم ينس الخطيب وبيان هيبته وطريقة صعوده المنبر، فكان يضرب بنعل سيفه في أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين، واهتم بوضع شبه جملة "في أول ارتقائه" لتأكيد قوة الحدث منذ اللحظة الأولى.

واستخدم التأكيد بـ"كل" عند حديثه عن الأماكن المقدسة؛ فأراد إثبات الإنـارة القويـة للحرم الشريف، ووصف جمال الشارع المبلط الذي يحيطه به كله، وبيان المواضع التي يطيف بها البيت العتيق، ووصف هيئة جامع دمشق المنقد ذهبا، وعند حديثه عن كثرة البـساتين فـي صقلية التي وصفها بأنها مراد عيش أخضر، تروق الأبصار بحسن منظرها، لذلك فكلها بساتين.

ثانيا: المبني للمجهول

النمط الأول: يقال + إن واسمها وخبرها

مثال ذلك: يقال إنه منشأ السفينة[1]، يقال إنه كان بيت ابنة نوح[2]، يقال إن قبره فيه[3]، يقال إنه كان متفرجا لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجته[4]، يقال إنه كان مخزنا لعدتهم الحربية[5]، يقال إنها أثر قدم موسى[6]، يقال إن عيسى عليه السلام ينزل فيها[7]، يقال إن إبراهيم عليه السلام كان يكسر عليهـا

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآلهة التي كان يسوقها أبوه للبيع[1]، يقال إنه روضة من رياض الجنة[2]، يقال إنه المسجد الذي بايعت فيه الجنة الرسول ﷺ[3]، يقال إنه الموضع الذي قعد فيه النبي ﷺ[4]، يقال إن البئر كانت في القديم فيها[5].

لقد استخدم نمطا معينا في صيغة البناء للمجهول مؤكدا وهو: يقال + "إن واسمها وخبرها"، واستخدم هذا النمط عند حديثه عن الأمور المتعلقة بالأنبياء والسابقين، فيخشى أن يؤكد الحدث في اللحظة نفسها يريد تأكيده، لذلك أسند المقولة إلى المجهول ليدلل على كثرة انتشارها بين الناس ثم أكدها بـ "إن".

فاستخدام "إن" لما تتيقنه ويستقر عندك[6]، وفائدتها التأكيد لمضمون الجملة وتنوب مناب تكرير الجملة مرتين[7]، فالحدث هنا مؤكد، ولكن مصدره معدوم نظرا لشيوعه وانتشاره بين الناس.

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٥.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٩.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٣.

(6) ابن السراج، الأصول، ٢٣/٢.

(7) ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٩/٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: الجملة الاسمية

المطلب الأول: الجملة الاسمية المبتدئة باسم ظاهر

أولا: غير المؤكدة

أ. عندما يكون خبرها مفردا

النمط الأول: مبتدأ + خبر

الصورة الأولى: مبتدأ + خبر مفرد

مثال ذلك: العمارة متصلة والقرى منظمة[1]، الخزي عظيم[2]، فمرآهما عجيب[3]، معاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة[4]، أبوابها أبواب حديد[5]، بناؤه طين[6]، سور القلعة وثيق الحصانة[7].

استخدم ابن جبير الجملة الاسمية ضمن ثلاثة أشكال؛ أولا: الابتداء باسم ظاهر، ثانيا: الابتداء بضمير، ثالثا: الابتداء باسم إشارة، ولقد بينت أنواع الخبر لكل شكل منها، وسأناقشها وفقا لترتيبها.

جاءت الجملة المبتدئة باسم ظاهر– عند ابن جبير– مؤكدة وغير مؤكدة. أما غير المؤكدة فاستخدمها بطرق متعددة منها: أن يكون المبتدأ والخبر اسمين ظاهرين

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٦.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٠.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

دون مكملات تتبعهما، وكانت هذه الصورة قليلة بالقياس إلى غيرها؛ لأن الوصف في الرحلات يحتاج إلى توضيح، وتصوير للأحداث المروية، بوساطة إضافة مكملات للجملة الاسمية، أو اللجوء إلى الخبر الجملة الفعلية، لاحتوائه على زمان؛ لذا استخدم ابن جبير هذه الصورة عند حديثه عن موصوف عام مألوف، لا يستدعي توضيحا، كإخباره عن العمارة أنها متصلة، وأن القرى منظمة، وأن البناء طين، وأن الأبواب حديد..... الخ.

فالمخبر عنه هنا لا يستدعي أكثر من وصف مفرد يبينه، ويعطيه معنى مفيدا.

الصورة الثانية: مبتدأ + أخبار متعددة

١. مبتدأ + أخبار متعددة

مثال ذلك: سككه ضيقة مظلمة[١]، والبلد كثير الخلق، واسع الرزق، ظاهر البركة، كثير المساجد، جم المرافق[٢]، سككها فسيحة متسعة[٣]، بلادهم- على ما ذكرنا- خصيبة متسعة كثيرة التين والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات[٤]، القوم عرب صرحاء فصحاء جفاة أصحاء[٥].

٢. مبتدأ + أخبار متعددة + شبه جملة

مثال ذلك: سورها متين حصين مبني بالحجارة المنحوتة[٦]، جبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم في وسط البسيط[٧].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٤.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعدد الخبر عند ابن جبير في بعض المواضع، من أجل رسم صورة للمخبر عنه أشمل وأعمق، فالسكك ضيقة ولكنها في الوقت نفسه مظلمة، والبلد كثير الخلق لكن ذلك لا يتنافى مع كونه واسع الرزق، كثير المساجد، جم المرافق، ظاهر البركة.

فعندما كان يشعر ابن جبير أنه مازال في نفسه شيء من الخبر، كان يتبعه بخبر ثانٍ أو ثالث أو رابع، حتى يستكمل رسم الصورة التي يريد.

النمط الثاني: جملة اسمية + شبه جملة

الصورة الأولى: مبتدأ + خبر + شبه جملة

١. مبتدأ + خبر+ شبه جملة

مثال ذلك: أسوار هذه المدينة غاية في العتاقة والوثاقة[١]، أهل الحرب مشتغلون بحربهم[٢]، الحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم[٣]، السيوف مسلولة أمامه[٤].

٢. مبتدأ + خبر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: المؤذنون قعود دونه في أدراج المنبر[٥]، الجرايات متصلة لقوامها في كل شهر[٦].

٣. مبتدأ + أيضا+ خبر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: وعرفات أيضا بسيط من الأرض مد البصر[٧].

٢. مبتدأ + خبر + شبه جملة متضمنة للنعت

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠١.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٨.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: أسفله مفروش برملة بيضاء وثيرة[1]، سقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون[2].

الصورة الثانية: مبتدأ + شبه جملة + خبر

مثال ذلك: المتناوبون لهذه النروايح المقامية خمسة أئمة[3]، العيون فيها كثيرة[4]، شجر المقل فيها كثير[5]،أمرها في الاحتفال عظيم[6]،، سيرتهم في التزام رتب الخدمة غريبة .

الصورة الثانية: مبتدأ + أشباه جمل + خبر

مثال ذلك: أول ما تلقى عن يسارك عند خروجك من الباب المذكور مشهد صفية عمة النبي[7]، القرى والعمائر من هذا الموضع إلى الموصل متصلة[8]،

الصورة الثالثة: مبتدأ + شبه جملة + خبر + شبه جملة

مثال ذلك: المياه فيها بحمد الله موجودة في مصانع كثيرة[9]، الغامر منها أكثر من العامر[10]، الكبير والصغير منهم داع له[11].

كان استخدام شبه الجملة بعد الجملة الاسمية من أجل بيان المعاني الآتية:

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٨، ١٨٤.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٨.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٤.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. تحديد المكان أو الزمان: كتحديد موضع مدينة أنها في وهدة من الأرض، كقوله: السيوف مسلوتة أمامه، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر، والمؤذنون قعود دونه في أدراج المنبر.

٢. بيان النوع أو الوسيلة: كقوله: الحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم، وأسفله مفروش برملة بيضاء وثيرة، وسقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم.

فتكون شبه الجملة متعلقة بالخبر، متصلة به، فالخبر هو الذي أهم ابن جبير وما تبعه من بيان للمكان، أو الزمان، أو النوع، أو الوسيلة، لاحق في الأهمية. واستخدم ابن جبير شبه الجملة بين المبتدأ والخبر من أجل أمرين:

١. تخصيص الجزء من الكل: فكان يريد تخصيص شيء معين، أو زمان معين، أو فئة من الناس معينة، أو عادة من عاداتهم. فيأتي بالمخبر عنه ثم يخصصه، فيكون حكم الخبر في هذه الحالة للمخبرعنه المخصص، حيث تتبع شبه الجملة هنا المبتدأ، وتتعلق به. فالشافعي أكثر الأئمة اجتهادا في التراويح خاصة، وأمر المدينة المقصودة عظيم في الاحتفال خاصة، وسيرة القوم المقصودين غريبة في التزام رتب الخدمة خاصة. وكي لا يغفل القارئ عن هذا التخصيص أراد ابن جبير تقديمه على الخبر.

٢. تخصيص الكل: كقوله: العيون فيها كثيرة، المياه فيها بحمد الله موجودة في مصانع كثيرة، شجر المقل فيها كثير، الغامر منها أكثر من العامر.

فشبه الجملة هنا بين المبتدأ والخبر، من أجل تخصيص المخبر عنه بالخبر دون غيره، وهذا التخصيص عام غير محدد.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الثالث: جملة اسمية + نعت

الصورة الأولى: مبتدأ + خبر + نعت

١. مبتدأ + خبر + نعت

مثال ذلك: أرضها أرض كريمة[١]، صفة لباسه بردة سوداء[٢]، منظرها منظر بديع الـشكل[٣]، منظرها منظر عجيب[٤].

٢. مبتدأ + خبر + نعت + نعت

مثال ذلك: أحد هذين المصنعين صهريج عظيم الدائرة كبيرها[٥].

الصورة الثالثة: مبتدأ + نعت + خبر + نعت

مثال ذلك: الدار المكرمة دار صغيرة[٦].

الصورة الرابعة: مبتدأ + نعت + خبر

مثال ذلك: المسجد المبارك مستطيل[٧].

الصورة الخامسة: مبتدأ + شبه جملة + خبر + نعت

مثال ذلك: البحر في أثناء ذلك رهو ساكن[٨]، مقامات هؤلاء الأعاجم في رقة الأنفس وتأثرهـا، وسرعة انفعالها وشدة مجاهداتها في العبادات، وطول مثابراتها على أفعال البر وظهور بركاتها

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٤.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٣.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٢.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٠.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقامات عجيبة[1].

استخدام ابن جبير للنعت بعد المبتدأ والخبر الظاهرين قليل كحاله في الجملة الفعلية، إذ نعت لباس الخطيب مبينا لونه- وقد أشرنا سابقا إلى اهتمامه بذلك- ونعت بعض المناظر بالعجب والغرابة. واستخدم شبه الجملة فاصلة بين المبتدأ والخبر المنعوت مرة ، من أجل توضيح النعت، وبيان جوانبه فكأنه يقول: مقامات هؤلاء الأعاجم مقامات عجيبة شريفة، في الجوانب الآتية: رقة الأنفس، وتأثرها، وسرعة انفعالها، وشدة مجاهداتها في العبادات، وطول مثابراتها على أفعال البر وظهور بركاتها.

ب. عندما يكون خبرها جملة فعلية

النمط الأول: مبتدأ + جملة فعلية ذات فعل مستتر

الصورة الأولى: مبتدأ + فعل + فاعل مستتر

١. مبتدأ + فعل + فاعل مستتر

مثال ذلك: دموعه تكف وصوته ترق وتضعف[2]، الطبول والدبادب تشيعه[3]، آياته لا تحصى[4].

٢. مبتدأ + فعل + فاعل مستتر + تتمة

مثال ذلك: حمام الحرم لا تحصى كثرة[5].

الصورة الثانية: مبتدأ + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٤.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٣.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. مبتدأ + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة

مثال ذلك: الرايات تخفق أمامه[١]، والسكينة تفيض عليه[٢]، المؤذن الزمزمي يغرد في سطح قبة زمزم[٣]، البيت الكريم يفتح كل يوم من هذا الشهر المبارك[٤]، الثمرات تجبى إليها من كل مكان[٥]، كل يتأنق ويحتفل بقدر استطاعته[٦]، أصوات الناس تعلو على صوته[٧]، الماء يجري في كل بيت منها[٨].

٢. مبتدأ + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: الزمزمي يصرخ في مرقبته على عادته[٩]، المؤذن الزمزمي يتولى التسحير في الصومعة التي في الركن الشرقي من المسجد[١٠].

الصورة الثالثة: مبتدأ + شبه جملة + فعل + فاعل مستتر

مثال ذلك: مآثر هذا السلطان ومقاصده في العدل ومقاماته في الذب عن حوزة الدين لا تحصى كثرة[١١]، الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع[١٢].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٨.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٦.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٦.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١١.

(٨) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٠.

(٩) ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

(١٠) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٥.

(١٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الثاني: مبتدأ + جملة فعلية ذات فعل متصل

الصورة الأولى: مبتدأ + فعل + فاعل متصل + شبه جملة

١.مبتدأ + فعل + فاعل متصل + شبه جملة

مثال ذلك: الصبيان يضجون بالتهليل والتكبير[١]، الناس يتزاحمون عليها[٢].

٢. مبتدأ + فعل + فاعل متصل + شبه جملة + مفعول به

مثال ذلك: سائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئا[٣].

٣. مبتدأ + فعل + فاعل متصل + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: الناس والنساء يزدحمون على قبة البئر المباركة[٤]، فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه[٥].

٤. مبتدأ + فعل + فاعل متصل + شبه جملة + حال

مثال ذلك: الناس يصلون فيه باكين داعين[٦].

٥. مبتدأ + فعل + فاعل متصل + مفعول به + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: ركابها يسابقون الخيل بها بين يدي الأمير[٧]، الخدام يرفعون أصواتهم بالدعاء لها[٨].

الصورة الثانية: مبتدأ + شبه جملة + فعل + فاعل متصل+ شبه جملة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: الناس من جهة أخرى يساجلنهم بالبكاء ويطارحنهم بالدعاء[1]، الفرسان منهم يخرجون بخيلهم ويلعبون بالأسلحة عليها[2].

الصورة الثانية: مبتدأ + شبه جملة + فعل + فاعل متصل+ شبه جملة + مفعول به + شبه جملة

مثال ذلك: السقاء فوق التنور يستقون ويفيضون على رؤوس الناس الماء بالدلاء قذفا[3].

يقول عبد القاهر الجرجاني عن الخبر الذي يكون جملة: "إذا عمدت إلى الذي أردت أن تتحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه، فقلت: زيد قد فعل، وأنا فعلت، وأنت فعلت اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل"[4].

فالمبتدأ الذي خبره حدث هو فاعل لهذا الحدث في الحقيقة، ووجوده أهم من الحدث لذلك قدم عليه. ولقد أكثر ابن جبير من هذا النمط ، عند حديثه عن الناس عامة، وقد خصص منهم من أهمّه كالزمزمي المؤذن، والصبيان عندما يهللون ويكبرون، والأئمة، و الخدام عندما يدعون، والسقاء، والفرسان، وعند حديثه عن البيت الكريم، والبحر والماء، وحمام الحرم، والطبول، ومآثر السلطان، والدموع.

فكانت الموضوعات السابقة تهمه أكثر من الأحداث التي تصدر عنها، لمكانتها الدينية أو النفسية عنده، ودليل ذلك أنه لم يخبر عن الناس عامة إلا الأحداث التي تتعلق بالازدحام، أو التأثر الديني والبكاء. وكذلك الفئة التي خصصها من الناس، فلم يخصهم إلا عند الأحداث المتصلة بالصلاة، والدعاء، والتهليل، والتكبير. أما المياه والبحار فغالبا ما أثارت اهتمامه،

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[4] الجرجاني، دلائل، ص٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. حرف جر + ضمير + مبتدأ + شبه جملة

مثال ذلك: لها مطلع على أدراج من عود في الجهة التي تقابل باب الصف[١]، له مكانة من السلطان ووجوه الدولة[٢]، فيه وهدة من الأرض[٣]، له القصور والقناطر على دجلة[٤].

٣. حرف جر + ضمير + + مبتدأ + نعت + نعت

مثال ذلك: لها قلعة سامية منيعة[٥]، لها مبنى شبه الحصن خرب[٦]، فيها قرى كثيرة معمورة[٧].

٤. حرف جر + ضمير + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: بها عين فوارة[٨]، فيه مصحف أحد الخلفاء الأربعة[٩]، لها جامع أكبر من الجامع الأسفل[١٠]، فيه خان كبير[١١]، فيه سقاية ماء رائعة الحسن ومطهرة لها عشرة أبواب[١٢]، فيه أثر

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٣.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٦.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٧.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٦.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٣.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٢.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٥.

صفحة 115 نقص من المصدر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بناء قديم[١]، لها قلعة حصينة[٢]،عليها سجد مبارك[٣]، بها علم منصوب[٤]، لها الأسواق الحفيلـــة والأرزاق الواسعة[٥]، لها قيم يلتزمها[٦]، لها مرافق كثيرة[٧]، لها الرايات والطبول[٨]، بها حصن عتيق البنيان[٩].

٥. حرف جر + ضمير + شبه جملة + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: لهم فيها مساجد أخرى[١٠]، لهم في فعل الجميل أخبار مأثورة[١١]، لهن في فعل الخير أمور عجيبة[١٢]، لهم أيضا في مراكبهم على الإبل قباب تظلهم[١٣].

٦. حرف جر+ ضمير+ مبتدأ + نعت + شبه جملة

مثال ذلك: فيها فنادق مبنية بالحجارة والطين[١٤]، بها جباب منقورة في الحجر[١٥]، له باب واحد

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣، ١٩٣، ١٩٤.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٨.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٨.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٨.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٣.

[١٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥١.

[١٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[١٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[١٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من جهة هو شبيه الحصن[1]، فيها قصر مشيد من قصور الأعراب[2]، فيها سر كبير من أسراره الخفيات[3]، لها قلعة كبيرة من قلاع الدنيا الشهيرة[4]، لها قلعة حصينة على الشط[5]، لـه بـاب وثيق من الحديد[6]، له باب واحد من جهة الغرب[7]، له قبة بيضاء سامية في الهواء[8].

الصورة الثانية: حرف جر + اسم ظاهر + مبتدأ

١. حرف جر + اسم ظاهر + مبتدأ

مثال ذلك: على باب إبراهيم صومعة[9]، في قبته شكل محـراب[10]، بإزائهـا دار عمـر بـن الخطاب[11].

٢. حرف جر+ اسم ظاهر + شبه جملة + مبتدأ

مثال ذلك: بمقربة منه مما يلي المدينة قبة حجر الزيت[12]، من مفاخر هذا السلطان المزلفة من الله تعالى وآثاره التي أبقاها ذكر جميلا للدين والدنيا إزالته رسم المكس[1]، في الصفيحة القبلية

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٥.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٣.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمام وجه النبي ﷺ مسمار فضة[٢].

٣. حرف جر + اسم ظاهر + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: في أسفل القصر بئر عذبة[٣]، للصوامع أيضا أشكال بديعة[٤]، بالصفراء حصن مشيد[٥]،عن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم[٦]، في الموضع بئر عذبة[٧].

٤. حرف جر + اسم ظاهر + مبتدأ + نعت + نعت

مثال ذلك: في صفحة الأعلى ثقب نافذ تخترقه الرياح[٨]، في القبلة باب صغير واحد مغلق[٩]، في صحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام قائمة[١٠]، على قبره مسجد صغير حسن البناء[١١]، لقبلي هذه المدينة قلعة حصينة منيعة[١٢]، بخارج هذه المدينة بسيط فسيح عريض[١٣]، في باب الكعبة المقدسة نقش بالذهب رائق الخط طويل الحروف غليظها[١٤]، بقبلة القرافة المذكورة بسيط

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٠.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٨.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

(٨) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

(٩) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

(١٠) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٨.

(١٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠١.

(١٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

(١٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

متسع يعرف بموضع قبور الشهداء[1]، في جوف البيت خامة طويلة مجوّفة شبه التي يسميها العامة البيلة[2]، في البسيط حصن آخر قد أثر فيه الخراب[3]، في القبلة باب صغير واحد مغلق[4]، في صفحه الأعلى ثقب نافذ تخترقه الرياح[5]. بمقربة من هذه القنطرة المحد ثة الأهرام القديمة المعجزة البناء، الغريبة المنظر، المربعة الشكل[6]،

٥. حرف جر + اسم ظاهر + فاصل + مبتدأ + نعت + نعت

مثال ذلك: على رأس رجل المنبر اليمنى حيث يضع الخطيب يده إذا خطب حلقة فضة مجوّفة تشبه حلقة الخياط التي يضعها في إصبعه[7]، على رأس المحراب، الذي في جدار القبة داخل المقصورة حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر[8].

٦. حرف جر + اسم ظاهر + شبه جملة + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: في الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان[9]، من أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغريبة الشأن وهياكلها الهائلة البينان المعجزة الصنعة والإتقان المعترف لوصفها بالتقصير لسان كل بيان الصعود إلى أعلى قبة الرصاص المذكورة في هذا التقييد[10]، في طرفها مما يلي

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٤.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٦.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٠.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٤.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٦.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البساتين وهذة من الأرض متصلة بالجبانة[1]، للحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم[2]،من المواضع التي اجتزنا عليها في الصعيد بعد جبل المقلة الذي ذكرنا أن نصف الطريق من مصر إلى قوص، حسبما تقدم ذكره، موضع يعرف بمنفلوط[3]، من المواضع التي اجتزنا عليها بعد إخميم المذكورة موضع يعرف بمنشأة السودان[4]، بإزاء المقصورة إلى جهة الشرق خزانان كبيرتان[5]، في جهة فوق الصحن قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت[6].

٧. حرف جر + اسم ظاهر + شبه جملة + شبه جملة + خبر + نعوت

مثال ذلك: بمقربة منه عن يمين المار في الطريق حجر كبير مسند إلى صفح الجبل[7]، بمقربة من هذا القصر بنحو الميل إلى جهة المدينة قصر آخر على صفته[8]، في القطعة المجاورة من الحجر مما يلي جانبه الذي يلي يمين المستلم له إذا وقف مستقبله نقطة بيضاء صغيرة مشرفة تلوح كأنها خال في تلك الصفحة المباركة[9].

٨.حرف جر+ اسم ظاهر+ مبتدأ + نعت + شبه جملة

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٣.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٩.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٣.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: للمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب[١]، على النهر جسر كبير معقود بصم الحجارة[٢]، في أعلاها رسم مائل إلى البياض[٣]، في الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود[٤].

الصورة الثالثة: حرف جر + اسم إشارة + مبتدأ

١. حرف جر + اسم إشارة + مبتدأ

مثال ذلك: على هذه القبور بناء[٥].

٢. حرف جر + اسم إشارة + نعت + مبتدأ

مثال ذلك: لهذا السرادق الذي هو كالسور المضروب أبواب[٦].

٣. حرف جر + اسم إشارة + نعت + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: بهذا الجامع المكرم آثار كريمة[٧].

٤. حرف جر + اسم إشارة + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: بهذه القرية سوق حفيلة ومسجد جامع كبير جديد[٨]، لهذا الملك القصور المشيدة والبساتين الأنيقة[٩].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٩.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. حرف جر + اسم إشارة + مبتدأ + نعت + نعت

مثال ذلك: لهذه المدينة أسواق حفيلة جامعة لمرافق المدينة والصناعات الـضرورية[١]. بهـذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة[٢].

٥. حرف جر + اسم إشارة + مبتدأ + نعت + شبه جملة

مثال ذلك: على هذا الهيكل سطح مفروش بألواح الحجارة العظيمة[٣]

النمط الثاني: مبتدأ + شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور

الصورة الأولى: مبتدأ + شبه جملة

مثال ذلك: الناس في عافية والدنيا لمن غلب[٤]،

الصورة الثانية: مبتدأ + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: أهل هذه البلدة على طريقة حسنة[٥]، الماء بهذا الموضوع في آبار غيـر عذبـة[٦]، المهبط إليه على أدراج كثيرة[٧].

النمط الثالث: شبه الجملة الظرفية + مبتدأ

الصورة الأولى: شبه الجملة + مبتدأ

مثال ذلك: عند نخيل القليب مسجد[٨].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٦.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٥١.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الثانية: شبه الجملة + مبتدأ + نعت

١. شبه الجملة + مبتدأ + نعوت

مثال ذلك: معه أخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه[١]، أمام الروضة المكرمة شباك جديد مفتوح إلى روضته[٢].

١. شبه الجملة + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: حولها ديار بادية[٣]، أسفلها خان جديد[٤]، أمامه مارستان حفيل[٥]، حول الشهداء تربة حمراء[٦]، أمام الروضة المكرمة شباك حديد مفتوح إلى روضته[٧]، داخلـه مـساكن وعلالـي مشرفة وبيوت منتظمة[٨]، أمام الروضة المقدسة أيضا صندوق كبير[٩].

الصورة الثالثة: مبتدأ +نعت+ شبه الجملة الظرفية

مثال ذلك: الفرقعة المتقدمة ذكرها أمامه[١٠].

عند النظر في الأمثلة السابقة نجد أن الخبر شبه الجملة كان وافر الحظ عند ابن جبيـر، وفضّله دون سواه لإمكان تحمله المعاني العديدة. فاستخدم شبه الجملة مقدمة على مبتـدأ نكـرة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٤.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٤.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تارة، وبعد المبتدأ المعرفة تارة أخرى، لكن الاستعمال الأول كان أكثر بكثير من الاستعمال الثاني؛ فغالبا ما يحدثنا ابن جبير عن نكرات يراها لأول وهلة، ليست مألوفة لديه. ومن الملاحظ أنه استخدم شبه الجملة المكونة من: "حرف جر + ضمير"، و"حرف جر+ اسم ظاهر"، و"حرف جر+ اسم إشارة"، وشبه الجملة الظرفية.

أما استخدام شبه الجملة المكونة من "حرف جر + ضمير" فكان من أجل التأكيد والتخصيص،"فإذا كان المبتدأ نكرة محضة ولا مسوغ للابتداء به، تقدم الخبر المختص جملة كان الخبر أم شبهها"[1]. وهو يستخدم في هذا النمط ضمير الهاء للغائب في حالة الجر؛ للدلالة على المكان المقصود أو الناس المقصودين. فبالنسبة للمكان، اهتم بذكر ما فيه من قلاع وعيون ماء وبناء، وأبواب، ومساجد، وكانت هذه الموضوعات هي التي تهمه في كل مكان يدخله. أما الناس فاهتم بذكر معاملاتهم، لا سيما الغرباء وتصرفاتهم وأخلاقهم.

واستخدم ابن جبير شبه الجملة المكونة من "حرف جر + اسم ظاهر" من أجل بيان ما يأتي:

١. وصف المكان بدقة، وذكر تفاصيل متعلقة بجهاته، وما يحيط به: كقوله: بمقربة من هذا القصر بنحو الميل إلى جهة المدينة، قصر آخر على صفته، وفي طرفها مما يلي البساتين وهدة من الأرض متصلة بالجبانة، في أسفل القصر بئر عذبة ..... الخ. وكثيرا ما كان يُتبع الخبر بنعت يوضحه، ويبين معالمه.فالبئر عذبة، والمسجد مشيد ،والشباك مفتوح .....الخ، وكلها نعوت واضحة تساعد في رسم صورة أعمق للمبتدأ ،الذي هو محور الجملة الاسمية، والشيء المراد الإخبار عنه، ففي هذه الصورة مثلا:" في + ظرف مكان"، "في أسفل + مكان" ، "بمقربة + مكان"... نتوقع منه مبتدأ منعوتا

[1] حسن، عباس. النحو الوافي. الجزء الأول. ط ٨. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦، ص ٥٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موضحا، ليستحق التقديم السابق، فتحديد جهة المكان الموصوف يعني أهميته له، وهذه الأهمية لا تتضح إلا عن طريق الوصف.

٢. تخصيص جزء من المكان الموصوف من باب التوسع، وزيادة الفائدة: كقوله: في القطعة الصحيحة من الحجر، مما يلي جانبه الذي يلي يمين المستلم له، إذا وقف مستقبله نقطة بيضاء صغيرة مشرفة تلوح كأنها خال، في جوف البيت حافة طويلة مجوّفة.....الخ، فهنا يفصل الموصوف، ويبين بعض أجزائه المهمة التي تشكل معه كلا لا يتجزأ بل تزيده جمالا وكمالا.

٣. ذكر المكان عامة دون تفصيل: كقوله: من المواضع التي اجتزنا عليها في الصعيد.... موضع يعرف بمنفلوط، من المواضع التي اجتزنا عليها بعد إخميم.... موضع يعرف بمنشأة السودان .....الخ ، فالمخبر عنه هنا ليس مميزا في نظره، ولا يستحق التفصيل ولا التوضيح، بل يكفيه ذكر اسمه، وبأنه مرّ به.

٤. وصف شيء أثر في نفسه كقوله: من أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغريبة الشأن.... الصعود إلى أعلى الجبال، وقوله: من مفاخر هذا السلطان المزلفة من الله تعالى وآثاره التي أبقاها ذكرا جميلا للدين والدينا إزالته رسم المكس، وقوله: للحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعم بها الفم، فهذه الأمور أثرت في نفسه وأشعرته بالعظمة أو بالارتياح فأراد توثيقها.

أما استخدام ابن جبير لشبه الجملة المكونة من حرف الجر واسم الإشارة، فكان من أجل تأكيد الخصوصية، وما أراد تأكيد خصوصيته للمكان الموصوف هو الأسواق والآثار والقصور، وكأن هذه الأمور أفضل ما في المكان الموصوف لذا قرر إفرادها وذكرها ذكرا خاصا بعد "حرف جر + هذا + موصوف".

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاءت شبه الجملة الظرفية لتحديد مكان للمخبر عنه، فاستخدم "ظرف المكان + ضمير الهاء" أو "المكان نفسه + المبتدأ منعوتا". ولم يذكر المبتدأ دون نعت إلا في حالة واحدة، عندما قال: "عند نخيل القليب مسجد"، فما يهمه هنا أن يذكر لنا وجود مسجد في هذا المكان بغض النظر عن مواصفاته. أما باقي الجمل فكان المبتدأ المؤخر فيها منعوتا. واهتم بذكر المارستانات، والبيوت ومتعلقاتها من أبواب وشبابيك، والشوارع.

و استخدم ابن جبير جملا مكونة من مبتدأ معرفة وخبرها شبه جملة، وكان هذا النوع من الجمل قليلا، فلم يخبر إلا عن الناس في أحوالهم العامة، ووجود الماء، وطريقة النزول إلى بناء قديم. فلا شيء مهم هنا ليقدم، والكلام لا يحدد موصوفا معينا.

ثانيا: المؤكدة

أ. عندما يكو خبرها مفردا

النمط الأول: المبتدأ مؤكدا + الخبر

الصورة الأولى: مبتدأ + "كل + هاء" + خبر

١. مبتدأ + "كل + هاء" + خبر

مثال ذلك: حمص كلها مارستان[١]، البلد كله سقايات[٢]، حسنه كله خارج لا داخل[٣]، حسنها كلها داخل لا خارج لها[٤]، سكانها كلها مسلمون[٥]،حيطانه كلها رخام[٦].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠١.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٤.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. مبتدأ + "كل + هاء" + خبر + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: سطحه كله مفروش بفصوص الرخام الملونة[١].

٣. مبتدأ +" كل + هاء "+ خبر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك : السواري كلها منقوشة من أسفلها إلى أعلاها[٢].

٤. مبتدأ + نعت + شبه جملة +" كل + هاء "+ خبر + شبه جملة

مثال ذلك: المرافق الصناعية وغيرها من المصالح الدينية والمنافع الحيوانية كلها موجودة بهذه المحلة[٣].

٣. مبتدأ +" كل + هاء" + خبر + نعت

مثال ذلك: جبالها كلها بساتين مثمرة[٤]، سورها الأعلى كله أبراج منتظمة[٥]، ماؤها كلها شريب لا يساع[٦]، الجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة[٧]، مكة شرفها الله كلهـــا مـــشهد كـــريم[٨]، الطريق كلها يمينا وشمالا قرى متصلة وخانات مشيدة[٩].

٤. مبتدأ + "كل + هاء" + خبر+ نعت + شبه جملة

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٠.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٧.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥١.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٦.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٩.

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

(٨) ابن جبير، الرحلة، ص ٩١.

(٩) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: المسجد كله ستور معلقة في جوانبه صغار وكبار[1]،وسطه كلـــه صـــحن مفـــروش بالرمل والحصى[2].

الصورة الثانية: مبتدأ + شبه جملة + "كل + هاء" + خبر

١. مبتدأ + شبه جملة +" كل + هاء" + خبر

مثال ذلك: البحر في أثناء ذلك كله هائل[3].

٢. مبتدأ + شبه جملة +" كل + هاء" + خبر + شبه جملة

مثال ذلك: : سائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض[4]، الخطيب في أثنـــاء هذ الحال كلها جالس على المنبر[5].

الصورة الثالثة: مبتدأ + "كل + هاء" + شبه جملة + خبر+ شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: ظاهر الكعبة كلها من الأربعة جوانب مكسو بستور من الحرير[6].

الصورة الرابعة: "كل + هاء" + خبر+ شبه جملة

مثال ذلك: كلها مسقف بالخشب[7].

النمط الثاني: مبتدأ + خبر + "كل + هاء"

١. مبتدأ + نعت + خبر +" كل +هاء"

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٧.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٠.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٤.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٩.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: جدرها الداخلة ذهب كلها[1].

٢. مبتدأ + نعت+ خبر + "كل +هاء" + تمييز

مثال ذلك: جدارها القبلي مفتح كله بيوتا وغرفا[2].

٣. مبتدأ + نعت + شبه جملة + خبر + "كل + هاء" + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: النصف الأعلى للجدار منزل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفيسفساء[3].

٤. مبتدأ + خبر + "كل + هاء" + نعت

مثال ذلك: دور الجدار رخام كله مجزّع بديع الإلصاق[4]، حيطانه رخام كلها مجزع[5].

يبدو أن ابن جبير يفضل استخدام هذا النمط من التأكيد، إذ ينقل لنا انفعاله وتأثره لما يرى، ومن الملاحظ أنه يؤكد في الجمل السابقة ما يأتي:

أولا: جمال المكان وحسنه: كالعناية بتأكيد وجود البساتين والحدائق، ووجود الزخرفة في المساجد والأماكن المشرفة، وبيان مكان الحسن وموقعه. فهو يصف الجمال، فتستولي عليه الصورة المنقولة، فيعمد إلى تأكيدها.

ثانيا: وجود الأشياء الضرورية بالبلد المقصود: كالمارستانات، والمرافق الصناعية، وتنظيم السور، والسقايات، والخانات.وكل ذلك ضروري في البلاد فاهتم بتأكيده.

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٠.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: تأكيد هيئة معينة في زمن محدد: كذكر هيئة الخطيب في أثناء حديثه، وهيئة البحر أثناء عاصفة هبت عليهم. فأكد الحدث هنا لأنه أثر في نفسه، فتأثير البحر والخطيب كبير في نفس ابن جبير.

ب. عندما يكون خبرها جملة فعلية

النمط الأول: مبتدأ + "كل + هاء" + جملة فعلية

مثال ذلك: مدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية[1].

النمط الثاني: مبتدأ + جملة فعلية مؤكدة

الصورة الأولى: مبتدأ + فعل + "كل + هاء" + تتمة

مثال ذلك: المركب يزهر كله أعلاه وأسفله سرجا متعددة[2].

الصورة الثانية: مبتدأ + فعل + شبه جملة+ ظرف زمان + "كل + هاء"

مثال ذلك: الطعام يصبر فيها الدهر كله[3].

النمط الثالث: مبتدأ + قد + جملة فعلية

الصورة الثانية : مبتدأ + قد + جملة فعلية فعلها مبني للمجهول

مثال ذلك: الإبل قد زينت تحتها بأنواع التزيين[4]، النيران قد أشعلت بحافتي الطريق كله[5]، مفتاح الكعبة قد أعيد إليه[6].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٤.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الأولى: مبتدأ + قد + جملة فعلية مبني للمعلوم

مثال ذلك: المسجد قد ارتج وغص بالنظارة والوافدين[1]، الهول قد عظم[2]، الأمير مكثر قد غمره ذلك الزحام[3]، نفوسهم قد استطارت خشوعا وأعينهم قد سالت دموعا[4]، الناس قد احتفلوا لعيدهم، والحرم قد غص بهم[5]،الانفعال قد أثر فيه[6].

الصورة الثالثة: مبتدأ + شبه جملة + قد + جملة فعلية فعلها مبني للمعلوم

مثال ذلك: الكل منهم قد لبس أفخر ثيابه[7]، والأصوات بالدعاء له ولأخيه صلاح الدين قد علت من الناس[8]، البحر بها قد جن واستشرى لجاجه[9].

أكد ابن جبير الجملة الفعلية المبتدئة بفعل مضارع بـ"كل" عند حديثه عن القلاع، والمركب، والطعام لكنه لم يكثر من استخدام هذا النمط من التأكيد في حالة كون الخبر جملة فعلية. أما التأكيد بـ"قد" فكان يستخدمه؛ لأن المحدث عنه أهم من الحدث المؤكد في هذا النمط، كحديثه عن الإبل التي زينت في العمرة الرجبية، فالبركة حلت عليها من المعتمرين؛ لذا كانت أهم من الحدث المؤكد المبني للمجهول، فليست الزينة بأهميتها، وليس محدث الزينة معروفا أو

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٢.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٤.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مهما عنده. وكذلك الحال في النيران فقد أشعلت احتفالا أيضا بالعمرة. والمسجد- طبعا- أهم من الوافدين إليه، ومفتاح الكعبة له من الهيبة في نفس ابن جبير ما يجعله محور الكلام وبدايته. وأما الأصوات التي تدعو لصلاح الدين وأخيه، فهي أهم من حدث الاعتلاء نفسه؛ فهي تدعو لشخصيتين أعجبتاه، فكان حقهما التقديم. ومهما اشتد الزحام وعظم، فلن يكون أشد من اعتزاز ابن جبير بالأمير مكثر، إذ كانت شخصيته تروقه وتعجبه، فوجب عليه جعله محور كلامه، وتأكيد الزحام الذي يغمره. والبحر من العظمة والهيبة في نفسه، عندما يثور ويضطرب. والناس يفرحون بعيدهم، والنفوس والأعين بدرجة من التأثر والانفعال.

إذاً فالمهم أولا ثم الحدث المعني به مؤكدا.

ج. عندما يكون خبرها شبه جملة

النمط الأول: المبتدأ +" كل + هاء "+ خبر شبه جملة.

مثال ذلك: سقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص[1]، طريقنا كله على ضياع متصلة وعمائر منتظمة[2]، تجارتهما كلها بهذا الساحل الإفرنجي[3]، مبانيها كلها بمنحوت الحجر المعروف بالكذان[4]، المسجد كله على تلك الصفة[5].

النمط الثاني: مبتدأ + شبه جملة مؤكدة

الصورة الأولى: مبتدأ + شبه جملة مؤكدة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: العمرة في هذا الشهر كله متصلا ليلا نهارا[1]، الجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة[2].

الصورة الثانية: شبه جملة مؤكدة + مبتدأ

١. شبه جملة مؤكدة + مبتدأ + نعت

مثال ذلك: لهم على ذلك كله مرتب معلوم في كل شهر[3]، في ديار مكة كلها سطوح مرتفعة[4]، لأهل هذه الجهات المشرقية كلها سيرة حسنة[5].

٢. شبه جملة مؤكدة + مبتدأ

مثال ذلك: في محلات الطريق كلها خانات[6].

نلاحظ أن ابن جبير يستخدم التأكيد عندما يكون الخبر شبه جملة لأمرين:

الأول: تأكيد أهمية المكان: كالحديث عن المسجد وملحقاته، والمباني المزوقة، والبساتين، والطرق، وديار مكة.

الثاني: تأكيد أهمية الزمان: كالحديث عن استمرارية العمرة في شهر رجب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٦.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٩.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

المطلب الثاني: الجملة الاسمية المبتدئة بضمير

أولا: غير المؤكدة

أ. عندما يكون الخبر مفردا

النمط الأول: مبتدأ + خبر

مثال ذلك: هي شبيهة الشقادف[1]، هو خرب[2]، هي حصينة[3]، هو كامل مرافق السكنى[4]، هي ليلة الموسم[5]، هو لابس ثياب سواده[6]، هو قشر جوز النارجيل[7]، هي حفيلة الصنعة[8]، هي عروس ليالي العمر وبكر بنيات الدهر[9]، هي جميلة المنظر[10]، هو أحسنها[11]، هو موضع استجابة الدعاء[12]، هو ناظر للشرق[13]، هو أولها[14]، هما باقيان[15]، هو علامة موضع

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٨.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٣.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٠.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[13] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[14] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[15] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقام[1]، هي علم لباب الصف[2]، هي كثيرة المدن والعمائر والضياع[3]، هو خارج البلد[4].

النمط الثاني: مبتدأ + خبر ÷ نعت

الصورة الأولى: مبتدأ + خبر + نعت

١. مبتدأ + خبر+ نعت أو نعوت

مثال ذلك: هي واد خصيب كثير النخل ذو عين فوّارة سيالة الماء[5]، هي موضع معمور[6]،هي قرية كبيرة[7]، هي مدينة السلطان الحفيلة المتسعة[8]، هو مسجد حفيل البنيان[9]، هم أهل جبال حصينة باليمن[10]، هم قبائل شتى[11]، هو كهل جميل الهيئة والشارة[12]،هو أحد الأشهر الحرم[13]، هي مدينة كبيرة[14]،هي قرية معمورة[15]، هي قرية حسنة كثيرة النخل[16]،هي مسافة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٤.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٦.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٦.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٨.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٦.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٥.

[13] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٣.

[14] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٥.

[15] ابن جبير، الرحلة، ص٥٣، ١٦٣.

[16] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قريبة يكون البحر فيها يمينا وجبل الطور المعظم يسارا[1]،هو موضع مبارك[2]، هو جبل عالٍ مستطيل[3]، هي بلدة كبيرة[4]، هو عتيق مجدد[5]، هو موضع معمور[6]، هو نهر كبير زخّار[7]، هو جامع كبير[8]، هو وادٍ خصيب[9]، هي مدينة كبيرة عتيقة البناء[10].

٢. مبتدأ + خبر + نعت + شبه جملة أو اشباه جمل

مثال ذلك: هي قرية كبيرة فيها حدائق من النخيل[11]،هي قرية فيها حدائق نخل[12]، هي مصانع مملوءة بماء المطر[13]،هو بلد مسور في البسيط من الأرض أفيح[14].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٩.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٧.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٨.

[13] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[14] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هو يوم مشهود بمكة[1]، هو مسجد مشهور معلوم بالبركة مقصود[2]، هي مدينة مسورة فيها جميع مرافق المدن[3]، هو حجر مغشّى بالفضة[4]، هي مصانع مملوءة بماء المطر[5]،

الصورة الثانية: مبتدأ + خبر + شبه جملة + نعت

١. مبتدأ + خبر + شبه جملة + نعت

مثال ذلك: هم نوع من السوداء ساكنون بالجبال[6]، هي ظاهرة في وسطه متنقبة[7]، هي وهدة من الأرض منفسحة[8]. هي مدينة على ساحل بحر جُدَّه غير مسورة[9].

٢. مبتدأ + خبر + شبه جملة + نعت + نعت

مثال ذلك: هي مدينة من مدن الصعيد كثيرة النخل مستحسنة المنظر[10]، هي مدينة من مدن الصعيد بيضاء أنيقة المنظر[11].

---

(١) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٢.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٨.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٣.

(٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٨.

(٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

(٧) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

(٨) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

(٩) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٧.

(١٠) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٣.

(١١) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة الثانية: مبتدأ + خبر + نعت جملة فعلية

مثال ذلك: هو حصن يتصل بالقاهرة[1]، هو خندق ينقر بالمعاول[2]، هي بلدة تليق بالخلافة[3].

النمط الثالث: مبتدأ + خبر + شبه جملة

الصورة الأولى: مبتدأ + خبر + شبه جملة

مثال ذلك: هو مبتنى على جانب الطريق[4]، هو بلد على شط النيل[5]، هو متصل بأعلى سطح البيت[6]،هي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات[7]، هي مطلة على قرى وعمائر متصلة[8]، هو موصوف بالدهاء والمكر[9]، هي معمورة بالأعراب[10].

الصورة الثانية: مبتدأ + خبر + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: هو جبل في بيداء من الأرض[11]، هي وهدة في بسيط من الأرض[12] ، هي بلدة في

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٨.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٨٩.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٧.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٨.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٦.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤١.

(10) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

(11) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

(12) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نهاية من الطيب[1]، هو جبل في بيداء من الأرض[2]، هو معمور بسكان من الأعراب[3]، هو وهدة في بسيط من الأرض[4]، هي منارة في بيداء من الأرض[5]. هو مفروش بالرخام المجزّع المقطّع[6].

الصورة الثالثة: مبتدأ + خبر + شبه جملة متضمنة للنعت

مثال ذلك: هي مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت[7].

النمط الرابع: مبتدأ + "أفعل التفضيل" خبرا

الصورة الأولى: مبتدأ + "أفعل التفضيل" خبرا

مثال ذلك: هو أكبر أعيادهم[8]، هو أعظم الأبواب[9].

الصورة الثانية: مبتدأ + "أفعل التفضيل" خبرا + تمييز

مثال ذلك: هي أكثر البلاد نعما[10]، هو أعظم الأئمة أبهة[11]، هي في هذا العالم أحفل جمعا وأكثر شمعا[1].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٧.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٠.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٣.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٩.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٦.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان ابن جبير يستخدم الجملة الاسمية المبتدئة بضمير، عند حديثه عن مكان معين أو أناس معينين، ثم يتبع الحديث باستخدام الضمير بدلا من المعني، ويخبر عنه بما يريد من أخبار وصفات، ولم يستخدم الخبر هنا إلا منعوتا. فجاء النعت مرة مفردا، ومرة جملة؛ فهو لم يذكر الضمير العائد، إلا لأنه أراد الاستفاضة بالكلام والوصف. ولن يتم ذلك إلا عن طريق نعت الخبر المفرد النكرة، "فأصل الصفة أن يقع للنكرة دون المعرفة، لأن المعرفة كان حقها أن تستغني بنفسها وأما النكرات فهي المستحقة للصفات لتقرب من المعارف، وتقع لها حينئذ الفائدة"[٢]. وكان يلجأ أيضا إلى استخدام شبه الجملة من أجل توضيح موصوفه، وذكر ما يخصه.

أما ما أراد ابن جبير استكمال وصفه، مستخدما الضمير فيندرج ضمن الآتي: وصف الخطيب لما له من أهمية خاصة عنده، ثم وصف المساجد باعتبارها مركزا دينيا، وخاصة لما يحدث بها من مجالس وعظ وخطب ، ثم ذكر المياه ومصادرها وهي مطلبه ومطلب من معه ، ثم وصف الجمال وبيان شدته، في كل مكان يزوره، ثم بيان صفات المكان أو صفات أهله.

واستخدم ابن جبير صيغة أفعل التفضيل في الخبر للمبالغة عندما قال: هو أكبر أعيادهم، هو أعظم الأئمة وهكذا، فكان يصدر حكمه في التفضيل بناء على وصف مقدم لما يعجبه.

ب. عندما يكون خبرها جملة فعلية

النمط الأول: هو + فعل + فاعل مستتر + شبه جملة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[٢] ابن السراج، الأصول، ٢٣/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: هو يصلي قبالة الركن اليماني[1]، هي تحف بالجوانب الأربعة[2]، هو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها[3].

النمط الثاني: هم + فعل مضارع + فاعل متصل + أشباه جمل

مثال ذلك: فهم يبادرون فيها إلى أعمال البر من العمرة[4].

النمط الثالث: هو + قد + فعل + فاعل + شبه جملة

مثال ذلك: هي قد تصوبت أسنتها على رؤوسهم[5].

النمط الرابع: هو + "كان...."

مثال ذلك: هو كان طريق عائشة إليها[6].

قال عبد القاهر الجرجاني: "تقديم الضمير على الفعل من باب ادعاء الانفراد بذلك والاستبدادية، وتزيل الاشتباه فيه ورد على من زعم أن الحدث كان من غير محدث أو من باب التحقق على السامع أن الحدث دأب وعادة للمحدث"[7].

ولقد أراد ابن جبير التحقق على السامع أن الحدث دأب وعادة للمحدث، فيقول: هم يبادرون إلى أعمال البر من العمرة، وهو يصلي قبالة الركن اليماني، وهذه عادات دائمة للمقصودين. أما عند إلصاق الحدث بالمحدث غير العاقل، فيرمي منه إلى تأكيد الحدث الناتج عن المحدث، كتصويب الحراب أسنتها على رؤوس المحتفلين بالعمرة الرجبية.

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٨١.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٠.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٣.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

(7) انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٨٥، ٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج. عندما يكون الخبر شبه جملة

النمط الأول: ضمير +خبر شبه جملة

الصورة الأولى: ضمير + خبر شبه جملة

مثال ذلك: هو في محرابه[١]، هي في نهاية الطول[٢]، هي في نهاية الوثاقة والحسن[٣]، هي بطول البابين[٤].

الصورة الثانية: ضمير + خبر شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: هو في بسطة من ملكه[٥]، هي بمرأى العين منها[٦]، هو في نهاية من الطيب واللذة[٧]، هم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد[٨]، هو في فتاء من سنه[٩]، هو من التواضع ولين الجانب وقرب المكان على وتيرة سعيدة[١٠]، هو في الجهة اليمنية من مكة[١١].

الصورة الثالثة: ضمير + خبر شبه جملة متضمن لـ" أفعل التفضيل"

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٥.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٢.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٤.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٥.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[٧] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٨.

[٨] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[٩] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

[١٠] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

[١١] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: هي من أعظم بلاد الدنيا[1]، هي من أبدع المناظر[2]، هي من أعظم حصون النصارى[3]، هي من أجمل القرى[4]، هو من أشهر جوامع الإسلام حسنا[5]، هي من أخصب بلاد الله وأكثرها رزقا[6]، هي من أحفل مراسي الدنيا[7].

النمط الثاني: ضمير +خبر شبه جملة + نعت

الصورة الأولى: ضمير + خبر شبه جملة متضمن للنعت

مثال ذلك: هو من حجر منحوت قطعا قطعا[8]،هو في تابوت فضة[9]، هي في دار خديجة أم المؤمنين[10]،هي في صحراء لا نبات فيها إلا مجلوب[11]، هو من فضة مذهبة[12]، هي على طول البيت متوسطة فيه[13]، هو من صفر مذهب[14]، هم على طريقة شريفة وسنة في المعاشرة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٢.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٣.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٧.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٢.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ٩١.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٧.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[13] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[14] ابن جبير، الرحلة، ص ٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غريبة[1]، هو من المساجد الشهيرة بركة وشرف بقعة[2]، هي من المواضيع التي يستجاب فيها الدعاء[3]، هم من بلد واحد[4]، هم في زحام لا يمكن فيه المحال[5]، هي لا محالة من جميلة البدع المحدثة[6]، هو في حرمه الكريم[7]،هي من المدن الشهيرة[8].

الصورة الثانية: ضمير + خبر شبه جملة متضمنة لنعوت

مثال ذلك: هو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان[9]، هي من القرى الفسيحة الأهلة[10]، هي على الجانب الشرقي المذكور[11].

نلاحظ مما سبق أن ابن جبير يستخدم الخبر شبه الجملة لغرضين:

١. بيان المكان: كقوله هو في محرابه، هي في دار خديجة، هو في حرمه الكريم، هي على قارعة الطريق مرتفعة.

٢. قوة الحدث عن طريق "أفعل التفضيل": كقوله: هي من أبدع المناظر هي من أجمل القرى، هي من أحفل مراسي الدينا، هي من أعظم بلاد الدنيا. فلو لم يكن الحدث قويا لما أثر في نفس ابن جبير جاعلا إياه مفضلا.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٥.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٤.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٣.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٦.

[11] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. بيان النوع: كقوله: «هو من فضة مذهبة، هو من حجر منحوت قطعا قطعا، هي من القرى الفسيحة الآهلة، هو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان، فجاء استخدام شبه الجملة هنا من أجل بيان نوع الموصوف وذكر ما يميزه عن غيره.

ثانيا: المؤكدة

أ. عندما يكون خبرها مفردا

النمط الأول: ضمير + "كل + هاء" + خبر+ شبه جملة

مثال ذلك: هي كلها مرقشة بأنواع الأصبغة[١]، هي كلها سواد في بياض[٢].

النمط الثاني: ضمير + الخبر+ " كل + هاء" + شبه جملة

مثال ذلك: هو مشرف كله بشرفات مبسوطة مركنة[٣]، هو مرصع كله بالعاج[٤].

النمط الثالث: ضمير + خبر + جملة فعلية متضمنة لـكل + هاء"

مثال ذلك: هو نهر يتفرع من دجلة يسقي تلك القرى كلها[٥].

استخدم ابن جبير التأكيد في حديثه عن وجود المياه، كما أكد مظاهر الجمال والتزيين، وهذا ما أهمه ولفت نظره كما ذكرنا سابقا.

المطلب الثالث: الجملة الاسمية المبتدئة باسم إشارة

أولا: غير مؤكدة

أ. عندما يكون الخبر مفردا

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٩.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الأول: هذا + "أفعل التفضيل" خبرا + شبه جملة

مثال ذلك: هذا أدل الدلائل على بركة البلد[1].

النمط الثاني هذا + بدل + خبر

الصورة الأولى: هذا + بدل + خبر

مثال ذلك: هذا الجبل صعب المرتقى جدا[2]،هذه المدينة حفيلة الأسواق[3].

الصورة الثانية: هذا + بدل + نعت + خبر

مثال ذلك : هذا المسجد المبارك متسع الساحة[4].

الصورة الثالثة: هذا + بدل + خبر + نعوت

مثال ذلك: هذا المقياس عمود رخام أبيض مثمن يحصر فيه الماء عند انسيابه إليه[5].

ب. عندما يكون خبرها جملة فعلية

مثال ذلك: هذه الفرقعة المذكورة لا تستعمل في هذا الشهر المبارك[6].

ج. عندما يكون خبرها شبه جملة

النمط الأول: هذا +خبر شبه جملة متضمنا للنعت

مثال ذلك: هذا من مفاخر هذا الجامع المكرم[7]، هذا من المفاخر الإسلامية[8].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٨.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٥.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٥.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١١.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النمط الثاني: هذا + بدل + شبه جملة + شبه جملة

مثال ذلك: هذه البلدة من الخصب وسعة الرزق على غاية[1].

النمط الثالث: هذا + شبه جملة متضمنة لـ"أفعل التفضيل"

الصورة الأولى: هذا + بدل + شبه جملة متضمنة لـ"أفعل التفضيل"

مثال ذلك: هذا الجبل من أصعب جبال الدنيا[2]، هذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها[3].

الصورة الثانية: هذا + فاصل + شبه جملة متضمنة لـ"أفعل التفضيل"

مثال ذلك: هذا أيضا من أغرب ما يحدّث به من مفاخر هذا البلد[4].

ثانيا: المؤكدة

النمط الأول: هذا +" كل + هاء" + خبر

الصورة الأولى: هذا + بدل + نعت + "كل + هاء" + شبه جملة خبر

مثال ذلك: هذه البلاد المشرقية كلها على هذا الرسم[5].

الصورة الثانية: هذا + "كل + هاء" + خبر + شبه جملة

مثال ذلك: هذا كله صنع من الله ﷻ[6].

النمط الثاني: هذا + بدل + ضمير الفصل + خبر

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مثال ذلك: هذا الموضع المبارك هو شرقي الكعبة[1]، هذا الشهر المبارك هو ثالث الأشهر الحرم[2]، هذا الموضع هو وسط أرض نجد[3]، هذا الموضع هو منزل الحاج ومحط رحالهم[4].

هذا النوع من الجمل قليل في رحلة ابن جبير، ويبدو استخدامه له من أجل بيان أهمية المخبر عنه وتميزه عن غيره، فهذا المسجد واسع بالقياس إلى غيره، وهذا الجبل صعب المرتقى جدا، وهذه المدينة مميزة بالأسواق والمرافق وكثرة الخلق، وهذه البلاطة منحوتة قطعة قطعة. ولذلك استخدم صيغة التفضيل في خبر "هذا" مسبوقة بحرف جر أحيانا؛ لأنه يقصد تميز الموصوف في هذه الصورة. ولقد أكد هذه الصورة باستخدام ضمير الفصل بين ركني الجملة الاسمية، عند حديثه عن مكان مقدس، وعند حديثه عن الشهر المبارك. ويعد ضمير الفصل من مؤكدات الجمل بشروطه المعروفة عند النحويين. قال الزمخشري: ويتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده، إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا، له في امتناع دخول حرف التصريف عليه كأفعل من كذا أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت، وليفيد ضربا من التوكيد، ويسميه البصريون فصلا، والكوفيون عمادا. وكثير من العرب من يجعلونه مبتدأ وما بعده مبنيا عليه [5].

وذكر ابن هشام لضمير الفصل شروطا، فقال: يشترط في ما قبله أمران: أحدهما: كونه مبتدأ في الحال أو في الأصل، والثاني: كونه معرفة ويشترط فيما بعده أمران: كونه خبرا لمبتدأ

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

[5] انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠٩/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الحال أو في الأصل، وكونه معرفة، ويشترط له في نفسه أمران أحدهما: أن يكون بـــصيغة المرفوع والثاني أن يطباق ما قبله [1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1] انظر ابن هشام، مغني اللبيب، ٤٣٩/٢.

الفصل الثالث

تراكيب متكررة عند ابن جبير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: جمل التعجب والمبالغة

أسلوب التعجب من أساليب العربية في التعبير، أما معناه في اللغة فهو من عجب منه عجبا: أنكره لقلة اعتياده إياه، وتعجب تعجبا: استعظم أمرا ظاهر المزية، وأعجبه الأمر: حمله على التعجب[1]. أما في الاصطلاح "فهو انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولم يعلم"[2]. وهذا الاستعظام "خروج المتعجب منه عن نظائره، أو قلة نظائره"[3].

واختلف النحويون في باب التعجب من حيث الإنشاء أو الخبر، فابن يعيش يرى أن التعجب من باب الخبر الذي يمكن وصفه بالصدق أو الكذب[4]، أما الإستراباذي فيرى أن التعجب ما وضع لإنشاء التعجب[5]، وقد قسّم عبد العزيز عتيق الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، وعد التعجب من الإنشاء غير الطلبي معرفا إياه بقوله: "هو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه في وصف من الأوصاف"[6].

ولا يهمنا إن كان التعجب قد وظفت له جمل خبرية أوإنشائية، فهو في الحالتين أفاد معنى التعجب، وأظهر موصوفا معجبا.

---

(1) اللسان، مادة عجب.

(2) الإستراباذي، شرح الرضى، ٢٤٣/٥.

(3) انظر ابن عصفور، المقرب، ٧١/١.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٩/٧.

(5) الإستراباذي، شرح الرضى، ٢٤٣/٥.

(6) عتيق، عبد العزيز. علم المعاني . بيروت: دار النهضة العربية،١٩٧٤م، ص ٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للتعجب صيغ قياسية وأخرى سماعية. أما القياسية فهي صيغتان هما: ما أفعل وأفعل بـ" وهما جامدتان لا تتحولان عن صيغة الإفراد، ولفعل التعجب شروط هي أن يكون معلوما مثبتا، ومتصرفا، ومما يتفاوت الناس فيه [1].

ويجوز زيادة "كان" بين "ما" والفعل الذي في موضع خبرها، إذا أردنا التعجب مما انقطع"[2].واختلف النحاة أيضا في اسمية "أفعل" التعجبية ، وناقش هذه المسألة الأنباري ت (٥٧٧ هـ) في كتابه الإنصاف، وأظهر براهين كل فريق وأدلته[3]."ولصيغة التعجب صدر الكلام، فلا يجب تقديم المعمول عليها، ولا يفصل بين فعلي التعجب ومعموليهما إلا بالظرف أو الجار والمجرور أو النداء"[4].

أما الصيغ غير القياسية فهي ضروب شتى منها قولنا: "لله دره، سبحان الله، وما رود فيه لفظ الجلالة وقصد فيه التعجب، ومنها صيغة الأمر كقولهم: أعجبوا لزيد فارسا، ومنها: صيغة النداء، كقولك: يا له من ظالم، أو صيغة الاستفهام كما ورد في التنزيل: ﴿القارعة ما القارعة﴾"[5]، وغير ذلك مما لا يستطاع حصره.

أما المبالغة فمعناها أن تبلغ في الأمر جهدك، ويقال: بالغ فلان في الأمر أي: لم يقصّر فيه[6]. وسأعرض في الصفحات الآتية المواضع التي تعجب فيها ابن جبير، وأظهر المبالغة في وصفه لها. فقد ملأ ابن جبير رحلته بالجمل الدالة على غرابة الموصوف، أو عظمته أو تفرده

---

[1] انظر ابن جني، اللمع، ص ١٣٨.

[2] ابن عصفور، المقرب، ٧٣/١.

[3] انظر الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ابن أبي سعيد. الإنصاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول. بيروت: المكتبة العصرية، ص١٢٦.

[4] مطرحي، محمود. في النحو وتطبيقاته. بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م، ص ٤٥١.

[5] هارون، عبد السلام محمد. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٩م.

[6] اللسان، مادة بلغ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بما أوتي من وصف؛ فأخذته حضارة الشرق ، لا سيما الأماكن المقدسة التي جاء من أجلها، فأراد تصوير انبهاره، ونقله إلى القارئ في رحلته المدونة. ويمكن تقسيم هذه الجمل إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأماكن المقدسة والمساجد

تفنن ابن جبير في وصف مراكز الجمال في الأماكن المقدسة والمساجد، مظهرا عجزه- غالبا- عن إعطاء الموصوف حقه، للدلالة على عظمته واعتلائه فوق كل وصف؛ فموصوفه فوق الوصف البشري المحدود وفوق مفردات اللغة ، لذلك يعجز اللسان ويحار من وصفه البيان. ولشدة تكرار هذه الجمل عند ابن جبير ، يحار القارئ، فهو يكرر التركيب نفسه ، إثر كل وصف مع الاختلاف- أحيانا- في بعض الألفاظ، وكأن جل ما رآه معجز معجب، ولا ننكر ذلك على مقدسات الشرق ومساجده، ولكن المبالغة في الوصف ظاهرة لكل متصفح لرحلة ابن جبير.

أما ما اهتم بوصفه من هذه المقدسات فينقسم إلى ما يأتي:

١. **القبور:** ذكر ابن جبير قبور آل البيت والصحابة والتابعين ، مظهرا مواطن الزينة والجمال حولها، مبينا أثرها النفسي والديني في النفوس. ومن القبور التي ذكرها قبر الحسين بن علي ﷺ في القاهرة فقال واصفا: "هو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض، قد بني عليه بنيان حفيل، يقصر عنه، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون، ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون. المدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد ، حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنها المرآه الهندية

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

الحديثة الصقل.... لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعا أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع"[1].

من الملاحظ أنه ابتدأ بوصف التابوت الفضي، ثم ما بني عليه وما اعتلاه من رخام غريب عجيب ، لا يعطيه الوصف حقه، ثم المسجد الفائق الوصف أيضا. ويبدو أنه يلجأ إلى مبالغة الحدث عن طريق تفضيله على غيره؛ فالإنسان يلجأ إلى أسلوب التفضيل عندما يجد الموصوف أمكن في الصفة من غيره . ولما كان ابن جبير رحالة، ومن شأن الرحالة أن يقف على كل غريب، كان من الطبيعي أن يلجأ إلى استخدام أسلوب التفضيل. "فإذا أردنا المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة معينة ، وزاد أحدهما على الآخر في هذه الصفة"[2]، فإنا نستعمل هذا الأسلوب.

وابن جبير لا يفضل بين شيئين حسب ، بل يفضل بين موصوفه وبين كل ما في الوجود ، فيفهم من وصفه أن هذا الموصوف الذي أثار عجبه لا مثيل له، فيبالغ في نقل صورته للقارئ، ولكنه يفاجئ قارئه عندما يعطي الحكم نفسه لأكثر من موصوف، بصور لغوية متنوعة، ومن ذلك وصفه لجبانة بمصر معروفة بالقرافة، إذ يقول: "وهي أيضا إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ، وذوي الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة"[3]. ثم يذكر أسماء أصحاب القبور، ثم يتابع: "وعلى كل واحد منها بناء حفيل. فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان"[4]. وعندما يذكر أسماء الشريفات صاحبات قبور النسوة ، يعود فيذكر

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

[2] نهر، هادي. التراكيب اللغوية في العربية، عمان: دار اليازوري، ٢٠٠٤م، ص ٨٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العبارة الأخيرة نفسها: "فهي بأسرها روضات....الخ"[1] ويتبع ذلك بقوله: "ومن العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة ، يأوي إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء"[2]، فلا نرى عجبا في بناء المساجد هنا، فهذا أمر طبيعي، ولكن ابن جبير يرى كل شيء عجبا.

ووصف أيضا مشهد الإمام الشافعي قائلا: "بُني بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلدة مثلها، ولا أوسع مساحة، ولا أحفل بناء.... والنفقة عليها لا تحصى"[3]، فيعود إلى تفضيل موصوفه مرة أخرى، مكررا حدثين مختلفين لإفادة المعنى نفسه، مستخدما في ذلك النفي، لإزالة الشك عن ذهن القارئ بوجود مثيل لموصوفه. أما جملة "لا تحصى" فهي كثيرة، وسأفصل القول فيها.

٢. البيت الحرام وما حوله: وصف ابن جبير البيت الحرام وما أحاط به من مقدسات وصفا بليغا عميقا ، دالا على تدين قوي في نفسه، وركز على ذكر مواطن الجمال والقداسة فيه، ومن ذلك وصفه لبلاطات الحرم فقال: "في الصفح المقابل للداخل فيه خمس رخامات منتصبات طولا.... وفي كل واحدة منها تجزيع بياض لم ير أحسن منظرا منه ، كأنه فيها تنقيط"[4]، وبعد وصف مطول يقول عنها: "كأنها أنابيب مخروطة يُحار الوهم فيها"[5]. فابن جبير لا يقيد نفسه بأساليب التفضيل القياسية ، بل يولد تراكيب جديدة تكشف عن قدرة اللغة، على التصرف بالدلالات،ومنها ذلك: "لم يُرَ أحسن منها"، فلهذه العبارة دلالات عميقة من شأنها أن تنقل الموصوف من عالم الواقع إلى عالم الخيال، وتجعل القارئ يجتهد في خياله كي يستطيع

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصوره، لذلك يحاول إكمال صورته المجزوءة بوصف ما حولها فيقول: "في أعلى بلاطات الحرم سطح يطيف بها كلها من الجوانب الأربعة، وهو مشرف كله بشرفات مبسوطة مركنة.... كأن الشرفات المذكورة بنيت شقة واحدة ثم أحدثت فيها هذه التقاطيع والتراكيب، فجاءت عجيبة الم.نظر والشكل"[1]، إذاً فالصورة مبهرة متسقة منظمة مما جعلها بنظره تستحق الوصف.

ووصف بلاطات الروضة النبوية- أيضا- قائلا: "شكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله"[2]، فإذا اجتهد القارئ أن يتخيل الصورة السابقة ، فمن الصعب جدا أن يتخيلها.

وذكر ابن جبير أبواب الحرم، واسم كل واحد منها، ثم أفرد منها بابا فأطال في وصفه، فقال: "على الباب قبة عظيمة بائنة العلو يقرب من الصومعة ارتفاعها، قد ضمن داخلها غرائب من الصنعة الجصية والتخاريج القرنصية يعجز عنها الوصف"[3]، فزخرفة قبته وجمالها أعجزت وصفه ، فولّد طاقات لغوية تعبيرية، تجاوزت المألوف من الكلام، وجعل القارئ يصل إلى ما يريد، من هالة إعجازية أحاطت بموصوفه.

ووصف أنوار الحرم قائلا: "فتلألأت الأنوار في ذلك الحرم الشريف الذي هو نور بذاته، فيا لك مرأى لا يتخيله المتخيل، ولا يتوهمه المتوهم"[4]، فمهما حاول الإنسان أن يتخيل وأن يتوهم جمالا، فلن يتخيل أجمل من هذا المرأى، فيلجأ إلى استخدام النداء من أجل التعجب وإظهار بداعة موصوفه ، راسما بذلك صورة تعجبية سماعية مألوفة، مضفيا صبغته الخاصة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندما قال: "لا يتخيله المتخيل، ولا يتوهمه المتوهم"، وكأن اللفظ التعجبي المألوف لم يكف موصوفه.

٣. **المساجد:** كانت المساجد بما تحويه من زخرفة وإتقان بناء محور اهتمام ابن جبير، وأكثر ما لفت نظره المسجد الأموي في دمشق، فاستفاض في وصفه وبالغ كثيرا في الحكم عليه، فقال أولا عنه: "وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه"[١]، فرغم أنه قرر ألا يستغرق في وصفه بسبب شهرته، وما يذاع عنه، إلا أنه يبدأ بتفصيل وصفه، فيقول متعجبا: "ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف"[٢]. ثم يتحدث عن أبوابه وجدرانه وزخرفته فيقول: "جدرانه فرغت أغصانا منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف"[٣]، ثم يقول: "وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وصفا، وأجملها بناء، ومن العجيب أنه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر للبلاط الشمالي مع أول البلاط الغربي"[٤]، فاتساع هذا الجامع وتداخل جهاته بعضها مع بعض مثير للعجب. ووصف زخرفته، فقال: "فزخرف بأبدع المحاريب الإسلامية حسنا وغرابة صنعة، فقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويرات مفتولات فتل الأسورة كأنها مخروطة لم يُرَ شيء أجمل منها"[٥].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٣.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٣.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثم يعود ابن جبير لإطلاق الأحكام، ويقول عنه مؤكدا حكمه: "عظيم لا يلحق أدنى وصفه، ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه"[1]، ثم يقول عن بابه: "وبابه عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا"[2]. أما جمال أنابيب الماء حوله فوصفها بقوله: "وحوله أنابيب صغار ترمي الماء إلى علو ، فيخرج منها كقضبان اللجين، فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية، ومنظرها أعجب وأبدع من أن يلحقه الوصف"[3]، فأعجزته بوصفها، فهي أبدع من أن توصف ، أما المرافق الكثيرة فيه فهي في نظره أكثر من أن توصف.

فاق هذا المسجد مفردات اللغة وفق رأي ابن جبير؛ مما جعله يفاضل بينه وبين أي موصوف آخر عندما قال عن سويرائه: "لم يُرَ أجمل منها" ثم يبالغ في تصويره مولدا تعابير لغوية تضفي على موصوفه قداسة وعظمة وتفردا، فلم يرد إدراجه ضمن الموصوفات المعجبة التي استخدم في إظهار إعجابها صيغ التفضيل المعروفة نحويا ، بل لجأ في وصفه إلى استخدام التفضيل الأسلوبي الذي لا يخضع لقواعد وشروط معينة، وكأنه يريد أن يربط صلة خفية بين موصوفه وبين اللغة التي يستحقها. فمن شأن هذا الموصوف أن يقال عنه: "عظيم لا يلحق أدنى وصفه، ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه". ومن شأن القارئ أن يستشف من هذا الوصف ما يريد من تعجب ومبالغة ومفاضلة. ثم يعود ويذكره مرة ثانية، بعدما ترك الحديث عنه بصفحات، فيقول عن قبته: "فأسرعنا الولوج في جوف القبة على أحد شراجيبها المفتحة في الرصاص، فأبصرنا مرأى تحار فيه العقول، وتقف دون إدراك هيبة وصفه الأفهام.... والحال فيها أعظم من أن يبلغ وصفها"[4]، ثم يقول: "وداخل هذه القبة خوانيم من الخشب منتظم بعضها

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٩.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ببعض قد اتصل اتصالا، وهي كلها مذهبة بأبدع صنعة من التذهيب، مزخرفة التلوين، عجيبة، بديعة القرنصة، يرتمي الأبصار شعاع ذهبها، وتتحير الألباب في كيفية عقدها ووضعها لإفراط سموها"[1]، ثم يصف هذه القبة بهذا الوصف: "أعظم ما شاهدناه من مناظر" فقال: "ومن أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغريبة الشأن، وهياكلها الهائلة البنيان، المعجزة الصنعة والإتقان، المعترف لوصفها بالتقصير لسان كل بيان: الصعود إلى أعلى قبة الرصاص المذكورة في هذا التقييد، القائمة وسط الجامع المكرم، والدخول في جوفها، وإحالة لحظ الاعتبار في بديع وصفها، مع القبة التي وسطها كأنها كرة مجوفة، داخلة وسط كرة أخرى أعظم منها"[2].

وإذا أراد التغني بشيء والافتخار به سجع كلامه، وكأنه يتلذذ به، فيلجأ إلى تجميل لغته بوساطة السجع، وهذا ليس بغريب عن كاتب ديواني مثله!

وبعد تفصيل الحديث عن صفات القبة والقباب المحيطة بها يقول متعجبا: "وقد قضينا عجبا عجابا من هذا المنظر العظيم شأنه، المعجز وصفه، المرتفع عن الإدراك وصفه، ويقال: إنه ما على ظهر المعمور أعجب منظرا ، ولا أبعد سموا ، ولا أغرب بنيانا، من هذه القبة ، إلا ما يحكى عن قبة بيت المقدس"[3]، فيعود لتكرار الأحداث المنفية ضمن صيغة التفضيل، ولا هدف من ذلك إلا إظهار الموصوف المعجب الذي تمكن من مشاهدته والوقوف عليه، في حين لم يقف عليه غيره ممن لم يرتحلوا مثله. وما يؤكد هذا تقديمه لهذا التفضيل بقوله: "قد قضينا عجبا عجابا من هذا المنظر العظيم شأنه، المعجز وصفه، المرتفع عن الإدراك وصفه "[4]، فوصوله إلى هذه الأماكن ووصفه لهذه الموصوفات ليس أمرا سهلا ، بل يستحق الذكر والتعجب.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ووصف ابن جبير جامعا على شط دجلة في مدينة الموصل بقوله: "ما أرى وضع جامع أحفل منه بناء، يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه"[1]، ولا ندري إن كان ابن جبير وصفه بهذا الوصف، لأنه رآه قبل جامع دمشق، أم لأنه اعتاد هذه اللغة؟!

ووصف جامعا في مدينة حران بقوله: "فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب أسواقه المتصلة به مرأى عجيبا قلما يوجد في المدن مثل انتظامه"[2]. وقال عن أبواب جامع حلب: "فيستوقف الأبصار حسن منظرها"[3]، ثم وصف منبره قائلا: "فما أرى في بلد من البلاد منبرا على شكله وغرابة صنعته"[4]، ثم يعطي حكمه النهائي قائلا: "فتجتلي العيون من أبدع منظر يكون في الدنيا، وحسن هنا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف"[5]. وقال عن جامع في مدينة حماة: "تتقيد الأبصار لديه"[6]. وقال عن جامع في الربوة المباركة في دمشق: "بها جامع لم يُرَ أحسن منه"[7]. ثم وصف مسجدا في قصر سعد في جزيرة صقلية بقوله: "في أعلاه مسجد، من أحسن الدنيا بهاء مستطيل ذو حنايا مستطيلة، مفروش بحصر نظيفة لم يُرَ أحسن منها صنعة"[8].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٥.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيحار القارئ في أي مسجد أعجبه، وأي موصوف أبهره، فهو ينقل الموصوف إلى صرحه العالي ، حتى يظن القارئ ألاّ موصوف مثله، ثم يسقطه فجأة ، عندما يأتي دور موصوف آخر ليحل محله.

٤. **مقدسات النصارى:** نشأ ابن جبير نشأة دينية سنية قوية، من شأنها أن تبعده عن أي اهتمام بشيء غير الإسلام والمسلمين. لذلك لم يصف الكنائس في رحلته كثيرا، ولم يهتم بها خوفا من إيقاع الفتنة في النفوس، فوصف كنيسة في دمشق قائلا: "تتضمن من التصاوير أمرا عجبا تبهت الأفكار، وتستوقف الأبصار، ومرآها عجيب"[١]. لكنه لم يفصل القول في وصفها، ثم قال عن كنيسة الأنطاكي بصقلية: "من أعجب ما شاهدناه بها من أمور الكفران كنيسة تعرف بكنيسة الأنطاكي، أبصرناها يوم الميلاد، وهو يوم عيد لهم عظيم، وقد احتفلوا لها رجالا ونساء، فأبصرنا من بيانها مرأى يعجز الوصف عنه، ويقع القطع بأنها أعجب مصانع الدنيا المزخرفة، جدرها الداخلة ذهب كلها، وفيها من ألواح الرخام الملون ما لم يُرَ مثله قط"، ثم يطلق حكمه المعتاد قائلا: "هي من أعجب ما يبصر من البنيان"[٢]، وبرغم ما وصفها به من جمال وتفرد، فإنه يذكر أن ما شاهده فيها كان من أعجب أمور الكفران، وكأنه يخشى أن تؤثر في النفوس، وتعلق بالأذهان.

وتحدث عن الربوة المباركة "مأوى المسيح" في دمشق، التي تمثل مكانة دينية للمسلمين والنصارى، فأراد تصوير جمالها فقال: "وهي من أبدع مناظر الدنيا حسنا وجمالا وإشراقا وإتقانا وبناء واحتفال تشييد وشرف وضع، فيها سقاية لم يُرَ أحسن منها"[٣]، ثم قال: "ولا إشراف

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كإشرافها حسنا وجمالا واتساع مسرح للأبصار، فتحار الأبصار في حسن اجتماعها وافتراقهـا واندفاع انصبابها، وموضع هذه الربوة ومجموع حسنها أعظم من أن يحيط به وصف ولصـف في غلو مدحه"[1].

قد يغفل القارئ الموصوفات السابقة ، ويشعر أن هذا الموصوف هو الذي تفوق في نظر ابن جبير، فأراد تصوير هذا التفوق بأساليب لغوية متنوعة. فهو ينفي احتمال وجود المثيل لهذا الموصوف في الحسن، والجمال، والاتساع . ورغم أنه لا يهتم كثيرا بتعليل أحكامه، إلا أنه يعلل حكمه هنا ، كي يستأنف الوصف والتعجب بقوله: "تحار الأبصار"، ثم يريد أن يريح نفسه مـن عناء الجهد في توليد التعابير المناسبة لهذا المشهد، ويريح القارئ من عناء التخيل، فيقرر أنـه أعظم من أن يحيط به وصف.

المطلب الثاني: المدن والقرى وما تحويه

وصف ابن جبير القرى والمدن التي زارها، وبين رأيه بكل مكان، وأظهر بعض مظاهر العجب والغرابة فيها، وسأذكرها وفقا لترتيبه لها في رحلته:

١. **الإسكندرية ومنارها:** ابتدأ وصفها بالإعجاب الشديد فقال: "فأول ذلك حسن وضـع البلد واتساع مبانيه، حتى إنا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه، ولا أعلى مبنـى ولا أعتـق ولا أحفل منه، وأسواقه في نهاية الاحتفال أيضا"[2]، فكرر صـيغ التفـضيل ، ليؤكـد تفـرد هـذا الموصوف، ثم قال "من العجب في وصفه أن بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها وأعتق وأمتن"[3]. ولم يذكر تفصيل ذلك، ثم استغرب تصرفات أهلها، فقال: "ومن الغريب أيضا في أحـوال هـذا

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قد وضعه الله ﷻ على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين وهداية للمسافرين.... ومبناه في غاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا، يزاحم الجو سموا وارتفاعا، يقصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف، الخبر عنه يضيق، والمشاهدة له تتسع"[1]، ثم قال مفصلا: "أما مدخله فمرأى هائل واتساع معارج ومداخل وكثرة مساكن، حتى ان المتصرف فيها والوالج في مسالكها ربما ضل، وبالجملة لا يحصلها القول.... وشاهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه وصف واصف"[2]، فبما أن القول لا يحصل هذا المنار والخبر يضيق عنه ، والطرف ينحسر دونه إذًا لا داعي لوصفه. هذه هي النتيجة التي يريد ابن جبير أن يصل إليها، فموصوفه- كالعادة- خارق للوصف ، يستحق مبالغته الأسلوبية السابقة والخروج عن المبالغة النحوية المألوفة.

٢. **مدينة إخميم وهيكلها:** لم يخص المدينة بالعجب بل الهيكل، فقال في وصفه: "من أعظم الهياكل المتحدث بغرائبها في الدنيا ، هيكل عظيم في شرقي المدينة المذكورة وتحت سورها"[3]. وبعد كلام مطول في وصفها يقول: "وداخل هذا الهيكل العظيم وخارجه وأعلاه وأسفله تصاوير، كلها مختلفات الأشكال والصنعة، منها تصاوير هائلة المنظر خارجة عن صور الآدميين يستشعر الناظر إليها رعبا، ويمتلىء[4]منها عبرة. قد عم هذا الهيكل العظيم الشأن كله هذا النقش البديع، ويتأتى في الرخو من الخشب، فيحسب الناظر استعظاما له أن عمر الزمان لو شغل بترقيشه وترصيعه وتزيينه لضاق عنه.... وعلى أعلى هذا الهيكل سطح مفروش بألواح الحجارة العظيمة على الصورة المذكورة، وهو في نهاية الارتفاع، فيحار الوهم فيها، ويضل

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٣.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ٣٥.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢، ٥٠/٥١.

(4) وردت في المصدر :" يمتلأ"

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢، ٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العقل في الفكرة في تطاليها وصنعها"[٥]. ثم يعطي حكمه النهائي المعتاد بقوله: "وبالجملة فشأن هذا الهيكل عظيم ، ومرآه إحدى عجائب الدنيا التي لا يبلغها الوصف ولا ينتهي إليها الحد"[١].

أخذ ابن جبير بجمال هذا الهيكل، فوصفه بأنه إحدى عجائب الدنيا، وقد وصفه مرتين في رحلته، مرة عند حديثه عن شواهد من الرحلة، ومرة عند حديثه عن مدينة إخميم المذكورة، فولّد له التعابير اللغوية التي من شانها أن تزيده عجبا وتفردا، واستخدم في ذلك أسلوب الشرط عندما قال: فيحسب الناظر استعظاما له أن عمر الزمان لو شغل بترقيشه وترصيعه وتزيينه لضاق عنه، فالأداة "لو" التي تفيد الامتناع للامتناع حسمت أمر هذا الموصوف، ونقلته إلى عالم الخيال لا الواقع، وهذا ما يريده ابن جبير.

٣. **حائط في مصر:** قال في شأن هذا الحائط: "ومما يجب ذكره على جهة التعجب، أن من حيز مصر في شط النيل الشرقي مياسرا للصاعد فيه حائطا قديم البنيان، منه ما قد تهدم ومنه ما بقي أثره.... وبالجملة فشأنه عجيب ولا يعلم سره إلا الله ﷻ"[٢].

فأي عجب في بناء متهدم الأجزاء؟! ومن الطبيعي أن تتهدم أجزاؤه ويبقى بعضها بعد طول سنين، ولكن عند تتبع كلامه في هذا الحائط نجد أنه لا يريد ذكره موصوفا معجبا مميزا كما يصف دائما، بل يريد ربطه بإشاعات حوله تربطه بالسحر، وما يتعلق به. فالعجب هنا هالة من الغرابة والاستفهام حول هذا الحائط.

٤. **مدينة عيذاب ومراسيها:** لم يتعجب من المدنية التي نعتها "بالجرداء القاحلة لا شيء يؤكل فيها"[٣]، بل تعجب من مراسيها ورؤساء هذه المراسي، فقال: "أبصرنا من صنعة هؤلاء

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢، ٥١.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٨.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرؤساء والنواتية في التعرف بالجلبة أثناءها أمرا ضخما، يدخلونها على مضايق ويصرّفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه"[1]، فتمرس هؤلاء بقيادة المراكب عجب ضاق عنه وصف ابن جبير، فأراد أن يريح نفسه من وصفه مستخدما تعجبا أسلوبيا ذا مفردات محددة ودلالات واسعة.

٥. **جدة:** ذهب إلى تأكيد كثرة الموصوف فيها ، فقال: "بها جباب منقورة في الحجر الصلد يتصل بعضها ببعض تفوت الإحصاء كثرة، وهي داخل البلد وخارجه"[2]، ثم أراد بيان اطلاعه على ذلك ورؤيته له لا السماع فقط، فقال: "وعاينا نحن جملة كثيرة لا يأخذها الإحصاء"[3]، فجملة "لا تحصى" وما شاكلها مبالغة أسلوبية يريد منها إعلاء شأن موصوفه وتكثيره في النفوس.

٦. **مكة:** وصف في مكة- متعجبا- أمرين، الأول: اجتماع الناس للعمرة الرجبية فقال: "اجتمع منهم عدد لا يحصى كثرة، يتعجب المعاين لهم ولفور عددهم، فلو أنهم من بلاد جمة لكانوا عجبا، فكيف وهم من بلد واحد، وهذا أدل الدلائل على بركة البلد، فكانوا يخرجون على ترتيب عجيب"[4]. ثم وصف هذا الترتيب من فرسان ومشاة وغيرهم، ثم عاد لوصف هذه العمرة الرجبية قائلا: "والعمرة الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية ؛ لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع بها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله ﷻ، فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهوي ذكره غرابة وعجبا، شاهدنا من ذلك أمرا

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٦١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٣.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعجز الوصف عنه"[1]. فلا أغرب ولا أعجب من العمرة في رجب؛ لذلك يفتخر بمرآه لها، هذا المرأى الذي فات الآخرين وظفر هو به. لكنه لم يذكر العمرة الرمضانية بهذا الوصف على فضلها؛ فهو لا يصف إلا ما يراه بعينيه ويتأكد منه. وأتاحت له الظروف وصف العمرة الرجبية لوجوده في مكة في ذلك الوقت. أما في شعبان ورمضان فكان في طريقه في السفينة إلى جزيرة صقلية. ولو أنه رأى العمرة في هذين الشهرين، فهل كان سيصفها الوصف نفسه الذي وصف به العمرة الرجبية أم لا؟ ولكننا نتوقع الإجابة بالإيجاب.

أما الأمر الثاني فهو طعام مكة وشرابها الذي لم يذق مثله، ولم يصف غيره من طعام وشراب في رحلته. فهو يتحدث عن هذا الموضوع ضمن عنوان: "ما خصّ الله تعال به مكة"، فيقول: "فيباع فيها في يوم واحد- ويعدد أصناف المبيعات- إلى ما لا ينحصر ولا يضبط، ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافعة، ولعم جميعها بالمنفعة التجارية"[2]، فسوق مكة قادر على توزيع ما يأتيه على البلاد كلها ، وهو يعجب من الأصناف التي تحويه، ولم يرها في حياته. ثم يصف ما أعجبه من طعامها قائلا: "وأكثر هذه البقول كالباذنجان والقثاء والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام، وذلك من عجيب ما شاهدناه مما يطول تعداده وذكره. ومن أعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب. ولكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة، وذلك لأن رائحته من أعطر الروائح وأطيبها، يدخل به الداخل عليك فتجد رائحته العبقة قد سبقت إليك، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه عن أكلك إياه، حتى إذا ذقته خيّل إليك أنه شيب بسكر مذاب أو بجنى النحل اللباب، ولعلّ متصفح هذه الأحرف يظن أن في الوصف بعض

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٣.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غلو، كلا لعمر الله! إنه لأكثر مما وصفت وفوق ما قلت"[1]، فلشدة إعجابه به وجد نفسه فجأة بين السجع والجناس في قوله: "رياه، إياه" و"مذاب، لباب" و"عليك، إليك"، فعندما يرقى موصوفه في نظره يقيده بالكلام المسجوع، ولا ينظر إليه أنه قيد بل هو تغنٍ وتباهٍ، فهذه اللغة هي لغة الخطابات المهمة والمراسلات الديوانية، لذا هو يرتقي بموصوفه بوساطة السجع، فالسجع والجناس يعطيان اللغة إيقاعا صوتيا يجعل الكلام مميزا، أي كأنه أحس أن التفضيل يقتضي أن يكون بأسلوب مفضل لديه وهو السجع، ثم أضاف إليه الجناس إعلاء من شأن الموصوف.

ثم يصف ابن جبير الحلوى واللحوم في مكة، فيقول: "أما الحلوى فيصنع منها أنواع غريبة من العسل والسكر المعقود وعلى صفات شتى.... قد صورت منها تصاوير إنسانية وفاكهية وجليت في منصات كأنها العرائش ونُضدت بسائر أنواعها المنضدة الملونة، فتلوح كأنها الأزاهر حسنا، فتقيد الأبصار وتستنزل الدرهم والدينار. أما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب، قد وقع القطع من كل من تطوّف على الآفاق وضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا. ومن أغرب ما ألفيناه، فاستمتعنا بأكله، وأجرينا الحديث باستطابته ولا سيما لكوننا لم نعهده، الرُطب، وهو عندهم بمنزلة التين الأخضر في شجره يجنى ويؤكل وهو في نهاية من الطيب واللذاذة"[2].

هذا الوصف المليء بالصور الفنية الحية، ينبئ عن إعجابه الشديد بما وجد من طعام مكة، وما جعله متفوقا على طعام أهل المغرب، فالحلوى تقيد الأبصار واللحم لم يؤكل مثله والرطب غريب ممتع، لكنه لم يذكر ذلك مباشرة، بل يفهم قصده من كلامه، وهذا يؤكد قولنا إنه لم يذكر طعاما مشرقيا ولا مغربيا غير هذه الأصناف المذكورة في مكة.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٧.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧. **قرية تعرف بزريران:** أعجب ابن جبير كثيرا بهذه القرية؛ فقال في وصفها: "هذه القرية من أحسن قرى الأرض وأجملها منظرا، وأفسحها ساحة، وأوسعها اختطاطا، وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق نخيل، وكان بها سوق تقصر عنه أسواق المدن"[١]، ثم يقول مسندا الحديث إليه وإلى جماعته: "فعاينا من طولها واتساعها مرأى عجيبا.... والمدخل إليها على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها"[٢]، وربما يشفع له وصفه لهذه القرية بقوله: من أحسن و.... و.... لكنه وصف السوق بقوله: تقصر عنه أسواق المدن بعدما قال عن سوق مكة إنه "يباع فيها ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافعة ولعم جميعها بالمنفعة التجارية"[٣] فيحار القارئ في أمره. أما حكمه النهائي في أن هذه القرية يقصر الوصف عنها، فيجعلنا في حيرة ثانية من أمره، فكم من الموصوفات يقصر عنها وصفه!

٨. **بغداد:** وصف ابن جبير الجانبين الشرقي والغربي من بغداد، فقال يصف الجانب الشرقي وكثرة الخلق والمرافق فيه،: "تشمل من الخلق على بشر لا يحصيهم إلا الله تعالى الذي أحصى كل شيء عددا"[٤]، وقال: "أما حماماتها فلا تحصى عددا، وأما المساجد بالشرقية و الغربية فلا يأخذها التقدير، فضلا عن الإحصاء، والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة إلا وهي يقصر البديع عنها"[٥].

ولم يجذب نظره من عجبها وجمالها إلا مدارسها. أما المساجد والمرافق الأخرى، فاكتفى بذكر الكثرة فيها، فقال عنها في بداية كلامه: "هذه المدينة العتيقة، وإن لم تزل حاضرة

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٨.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٩.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٨.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الإمامية القرشية الهاشمية، قد ذهب أكثر رسمها ولم يبقَ منها إلا شهير اسمها، وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل أنحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس، والأثر الطامس، أو تمثال الخيال الشاخص"[1]، فكلامه كله مسجوع في وصفها وليس السجع هنا من باب الإعجاب، بل من باب الازدراء، فالسجع وسيلة إلى الوصول إلى قمة الوصف أو انحطاط الوصف عنده، وهاتان الحالتان تضطرانه إلى الخروج من الكلام المرسل إلى السجع المقيد.

أما البشر فهم كثر فوق الإحصاء البشري، كما ذكر أهل مكة بذلك[2]، ولكن أهل مكة كانوا مثار إعجابه عندما وصف تجمعهم وتنظيمهم في العمرة، ومبيعاتهم التي لا تحصى، وصدقهم، وأمانتهم لما ذاع صيت بيعهم وشرائهم، أما أهل بغداد فيتضح أنهم لم يعجبوه، ويبدو ذلك عند حديثه عن مدينة تكريت، إذ قال: "أهلها أحسن أخلاقا وقسطا في الموازين من أهل بغداد"[3]، فلم تعجبه معاملات أهل بغداد، ولا بيعهم ولا شراؤهم. يقول المنجد: "كان ابن جبير أكثر إطنابا في ذكر بغداد ممن سبقه"[4].

٩. مدينة تكريت: وصف ابن جبير موقعا فيها يعرف بالقيّارة فيه عيون، وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحالب الدقيق أسود تقذفه إلى جوانبها فيرسب قارا، ثم قال إثر ذلك الوصف: "فشاهدنا عجبا كنا نسمع به فنستغرب سماعه"[5]، ولكنه لم يبالغ هنا في وصفه.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٨.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[4] المنجد، صلاح الدين. المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى. بيروت: دار الكتاب، ص ١١٦.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠. **مدينة رأس العين:** تحدث ابن جبير عن عيون هذه المدينة، ثم خص عينا من عيونها بالوصف قائلا: "إنها عجب من عجائب مخلوقات الله ﷻ"[١]، ثم وصف فيها مدرسة بإزائها دولاب يلقي الماء إلى بسائين مرتفعة من مصب النهر فقال: "ما أرى كان في موضوعات الدنيا مثل موضوع هذه المدرسة"[٢]، ثم قال في نهاية كلامه عنها: "وشأن هذا الموضع كله عجيب جدا"[٣]، فهل يعقل ألا يوجد مدرسة في الدنيا كلها مثلها أم أن رحالتنا اعتاد المبالغة؟! نعم إنه كذلك، فهو يفضل رسم صورة ضخمة لموصوفه الذي ينقل تفاصيله إلى الناس.

١١. **مدينة حرّان:** أعجبه في هذه المدينة أهلها وأسواقها، فقال: "وشأن أهل هذه الجهات في هذا السبيل عجيب. أما عبادهم وزهّادهم والسائحون في الجبال منهم فأكثر من أن يقيّدهم الإحصاء، ولهذه البلدة المذكورة أسواق حفيلة الانتظام عجيبة الترتيب مسقفة كلها بالخشب"[٤]، والظاهر أن حب أهلها للخير، وكثرة عبادها وزهادها وتنظيم أسواقها وترتيبها مثير للعجب، لكن وصف ابن جبير هنا معتدل لا مبالغة فيه على الرغم من اهتمامه بالأخلاق والدين. ويبدو أن سبب ذلك أن المدينة نفسها لم تعجبه منذ البداية، فقال في وصفها: "بلد لا حسن لديه، ولا ظل يتوسط برديه، قد اشتق من اسمه هواؤه، فلا يألف البرد ماؤه، ولا تزال تتقد بلفح الهجير ساحاته وأرجاؤه، ولا تجد منه مقيلا، ولا تتنفس منه إلا نفسا ثقيلا، قد نبذ بالعراء ووضع في وسط الصحراء فعدم رونق الحضارة، وتعدت أعطافه من ملابس النضارة"[٥].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٠.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٠.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٢.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٢. **مدينة حلب:** أعجبته قلعة في حلب، فقال في شأنها: "وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن أعظم من أن ينتهي إلى وصفه"[١]، وأعجبته أسواقها فقال عنها: "فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا وتستوفز المستوفز تعجبا"[٢] وأعجبته مدرسة فيها فقال عنها: "من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة"[٣].

وهذه الأمور هي غالبا ما تثير اهتمامه في المدن التي يزورها، بالإضافة إلى المساجد والبساتين وعيون الماء.

١٣. **دمشق:** ذكر ابن جبير سابقا أن مكة والقاهرة فيهما من الخلائق ما لا يحصى عددا، أما عند حديثه عن دمشق فيعطي حكمه النهائي بقوله: "أكثر بلاد الدنيا خلقا"[٤]. يبدو أنه دهش بعدد الخلائق فيها أكثر من مكة والقاهرة لذلك أطلق حكمه. وذكر فيها مدرسة عدها من أحسن مناظر الدنيا، فصوّر انصباب الماء فيها قائلا: "فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر"[٥]، ثم ذكر موضعا فيها يعرف بالقصر، فقال في وصفه: "من أعظم ما شاهدناه لهم موضع يعرف بالقصر، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء في أعلاه مساكن لم يُرَ أجمل إشراقا منها"[٦].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٦.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٧.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٠.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢١.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعجبته هذه المدينة بجمالها ومياهها ، وممّا أعجبه أيضا فيها توفير مخصصات فيها للغرباء فقال: "أما عن مرافق الغرباء فيها، فهي أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولا سيما لحفاظ كتاب الله ﷻ والمنتمين لطلب العلم فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جدا"[1].

ثم يقول: "وشأن هذه البلدة في ذلك أعجب من أن يستوفي الحديث عنه"[2]، ثم يعود لإطلاق الأحكام قائلا: "ليس في هذه البلاد كلها بلدة أحسن منها للغريب"[3]، ولا نستغرب من ابن جبير اهتمامه بهذا الأمر، فهو غريب تستوقفه معاملة الغرباء وتقديم العون لهم. وبرغم هذا الوصف المميز لدمشق، فإنه ينكر على أهلها طريقتهم في سلام بعضهم على بعض، بل يصور هذه الطريقة تصويرا شنيعا، غير ملتفت إلى ما قدموه له ولغيره من الغرباء من تسهيلات، فيقول: "وصفة سلامهم إيماء للركوع أو السجود، فترى الأعناق تتلاعب بين خفض ورفع وبسط وقبض، وربما طالت بهم الحالة في ذلك، فواحد ينحط وآخر يقوم، وعمائمهم تهوي بينهم هويا. فيا عجبا لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ربات الحجال"[4]... ثم يقول بعد استكمال صورة الاستهزاء: "لهم في الشأن طرائق عجيبة في الباطل، فيا للعجب منهم. ومن عجيب حال الصغير عندهم والكبير، بجميع هذه الجهات كلها أنهم يمشون وأيديهم إلى الخلف قابضين بالواحدة على الأخرى، ويركعون للسلام على تلك الحالة المشبهة بأحوال العناة مهانة واستكانة.... وهم يعتقدون تلك الهيئة لهم تمييزا لهم من ذوي الخصوصية وتشريفا، ويزعمون أنهم يجدون بها نشاطا في الأعضاء، وراحة من الإعياء، والمحتشم منهم من يسحب ذيله على الأرض شبرا أو

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يضع خلفه اليد الواحدة على الأخرى، فقد اتخذوا هذه المشية بينهم سننا، وكل منهم قد زين لـه سوء عمله فرآه حسنا، أستغفر الله منهم"[1].

فربما تحامل عليهم قليلا في هذا الوصف السابق، ولم يقصد بالعجب وجود موصوف معجز، بل أراد به وصف سلوك غريب لم يألفه.

١٤. **مدينة عكة:** دعا عليها بقوله: "دمّرها الله"[2]، وقال في شأنها ساجعا: "هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام.... مجتمع السفن والرفاق، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها تغص بالزحام، وتضيق فيها موطئ الأقدام، تستعر كفرا وطغيانا، وتفور خنازير وصلبانا، زفرة، قذرة، مملوءة كلها رجسا وعذرة"[3].

لقد آلمه ما آل إليه حال المدينة، إذ وقعت بيد الإفرنج فتفجر ألمه سجعا، لعل هذا السجع يخفف عنه وطأة التأثر والحزن. وبما أن السجع الأسلوب المفضل لديه، فمن شأن هذا الأسلوب أن يهوّن عليه حينا، وأن يشاركه عجبه حينا آخر.

١٥. **مدينة صور:** دعا عليها بقوله "دمرها الله"[4] بسبب سقوطها بيد الفرنجة، ولكنه يقارن بينها وبين مدنية عكة فيقول: "هي أنظف من عكة سككا وشوارع، وأهلها ألين في الكفر طبائع، وأجدى إلى بر غرباء المسلمين شمائل ومنازع، فخلائقهم أسجح، ومنازلهم أوسع وأفسح، وأحوال المسلمين بها أهون وأسكن، وعكة أكبر وأطغى وأكفر"[5]، فكلما تأثر سجع بكلامه، وما

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أثاره هنا أن هذه المدينة تعامل الغرباء معاملة أحسن من سابقتها، نظرا لتحلي أهلها بـالأخلاق، برغم كفرهم فهم يعاملون الناس عامة معاملة أحسن من أهل عكة.

ثم يذكر ما أعجبه في هذه المدينة قائلا: "وأما حصانتها ومناعتها فأعجب ما يحدث به، وذلك أنها راجعة إلى بابين"[1]. ثم يفصل شأن هذه الحصانة ليعطي حكمه النهائي قائلا: "فـشأن هذه الميناء شأن عجيب في حسن الوضع، ولعكة مثلها في الوضع والصفة ، لكنهـا لا تحمـل السفن الكبار حمل تلك. وإنما ترسو خارجها والمراكب الصغار تدخل إليها. فالـصورية أكمـل وأجمل وأحفل"[2]. لكنه هذه المرة يذكر سبب العجب عندما يقارن بينها وبين عكة، فهما كالشيء الواحد؛ لذلك يعود ويذكرهما معا ضمن عنوان "عكة وصور"، ويبين وضعهما الجغرافـي، ثـم يذكر منظرا أعجبه في عكة قائلا: "ولعكة في الشرق منها، مع آخر البلد، واد يسيل ماء.... لـم يُرَ أجمل منه منظرا"[3] فعاد مرة أخرى لإصدار الأحكام، دون تعليل أو برهان مستخدما أساليب التعجب السماعية.

١٦. **مدينة مسيتة من جزيرة صقلية:** استمر ابن جبير في أجواء السجع ، بسبب تأثره واستيائه من طغيان الكفر وانتشاره فيقول: "هذه المدينة موسم تجار الكفار، ومقصد جواري من جميع الأقطار، كثيرة الأرفاق برخاء الأسعار، مظلمة الآفاق بالكفر لا يقر فيها مـسلم قـرار، مشحونة بعبدة الصلبان، تغص بقاطنيها، وتكاد تضيق ذرعا بساكنيها، مملوءة نتنـا ورجـسا، موحشة لا توجد لغريب أنسا، أسواقها نافقة حفلة، وأرزاقها واسعة بإرغاد العيش كفيلة، لا تزال بها ليلك ونهارك في أمان، وإن كنت غريب الوجه واليد واللسان.... ومرساها أعجب مراسـي

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٦.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البلاد البحرية ، لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسه وتنصب منها إلى البر خشبة يتصرف عليها، فالحمال يصعد بحمله إليها ولا يحتاج لزوارق في وسقها ولا تفريغها.... وذلك لإفراط عمق البحر فيها"[1]، فهذا العمق متصل من كل الجهات مما يجعل المراكب تدنو من البر دون زوارق، وقد أعجبه ذلك في هذه المدينة، فعبرعنه بجمل تعجبية أسلوبية معللا رأيه.

١٧. **صقلية:** ذكر ابن جبير مواطن وأشياء كثيرة أعجبته في هذه الجزيرة، منها قلعة لم يُرَ أمنع منها[2]، فالجزيرة بأسرها من أعجب بلاد الله في الخصب وسعة الرزق[3]، لذلك قال: "أبصرنا فيها محارث ومزارع لم نر مثل تربتها طيبا وكرما واتساعا"[4]، وتحدث عن قصر مسمى بقصر سعد فيها فقال: "أبصرنا فيما أبصرنا مجلسا في ساحة فسيحة قد أحدق بها بستان، وانتظمت جوانبها بلاطات، والمجلس قد أخذ استطالة تلك الساحة كلها. فعجبنا من طوله وإشراف منظره، فأعلمنا أنه موضع غذاء الملك مع أصحابه، وتلك البلاطات والمراتب حيث تقعد حكامه"[5]، وذكر أيضا مكانا فيها يُعرف بالقصر القديم قائلا: "بهذا القصر ديار كأنها القصور المشيدة لها مناظر في الجو مطلة تحار الأبصار في حسنها"[6].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٥.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"وأما الجبل الشامخ الذي في الجزيرة، المعروف بجبل النار فشأنه عجيب، وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين كالسيل العرم، فلا تمر بشيء إلا أحرقته حتى تنتهي إلى البحر فتركب بثبجه على صفحة حتى تغوص فيه"[1].

فنلاحظ تنوع الجمل التعجبية في كلامه كالتفضيل المنفي لإفادة القطع في الحدث في قوله: "لم يُر أمنع منها"، مستخدما الحدث المبني للمجهول لتأكيد قوله، فليس هو فقط الذي لم ير أمنع منها ، بل أسند الحدث لكل مشاهد لها، دون تقييده بزمن معين، فحدثه يشمل الماضي والمضارع في آن واحد، وكذلك الحال في قوله: "لم نر مثل ترتيبها"، لكنه هنا يحصر الفئة المطلقة للحكم، من خلال صياغة الفعل المبني للمعلوم، فهو وجماعته الذين رأوا وحكموا، وكأن المناعة أخذت لبه أكثرمن طيب التربة. ثم يبالغ في وصفه، من خلال قوله: "تحار الأبصار في حسنها"، محملا هذه الجملة من دلالات المبالغة الأسلوبية ما تحتمل، وما لا تحتمل.

المطلب الثالث: شخصيات مهمة

ذكر ابن جبير بعض الشخصيات التي تركت بصمات في ذلك الوقت، ومن هذه الشخصيات:

١. جمال الدين أبو الفضائل بن علي الجوزي ت(٥٩٧هـ): قال في شأنه ساجعا مشبها: "آية الزمان، وقرة عين الإيمان رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام جماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة"[2]، ثم يقول: "ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر، ويبتدئ القراء بالقرآن، وعددهم ينيف

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٣.

[2] ابن جبير ، الرحلة، ص ١٧٢/٢٤.

ذكر ابن جبير الكلام نفسه مرتين في رحلته

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على العشرين قارئا"[1]، ثم يفصل في طريقة قراءتهم ويقول: "فإذا فرغوا، أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته، عجلا مبتدرا، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دررا، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرأ، وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدما ولا مؤخرا، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية على الترتيب، لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا. أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟ إن هذا لهو الفضل المبين فحدث ولا حرج عن البحر. وهيهات ليس الخبر عنه كالخُبر!...."[2].

فقوله: "آية الزمان" صورة من صور التفضيل الأسلوبي ، وكذلك الحال في "قرة عين الإيمان"، و"رئيس الحنبلية"، فهذا الموصوف المبهر جعله يبتكر الصور الفنية الموحية بالتفضيل ودلالته، لكنه ليس تفضيلا مألوفا، بل تفضيلا خاصا بالموصوف معدا له منشأ من أجله، فهو فارس في ميدانه، صاحب الدرر في بلاغته وألفاظه كما قال في وصفه؛ لذلك فضل استخدام أسلوب الشرط في بيان تفرد هذا الموصوف، وتحليه بما لا يقدر عليه غيره، من خلال الأداة "لو".

٢. **صلاح الدين الأيوبي ت(٥٨٩ هـ)** : أعجب ابن جبير كثيرا بشخصية صلاح الدين، فقال: "ومآثر هذا السلطان ومقاصده في العدل ومقاماته في الذب عن حوزة الدين لا تحصى كثرة"[3]، إذاً، فلا داعي لتفصيل مآثر هذا الموصوف وصفاته، فلن يبلغ الإنسان حصرها. ثم تحدث عن مناقبه وصفاته، ومن ذلك حديثه عن معركة له ضمن عنوان "من

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعجب الأحاديث"، فقال: "ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج وسبيهم يدخل إلى بلاد المسلمين، شاهدنا من ذلك عند خروجنا أمرا عجيبا، وذلك أن صلاح الدين عند منازلته حصن الكرك، قصد إليه الإفرنج في جميعهم، وقد تألبوا من كل أوب ورأموا أن يسبقوه إلى موضع الماء وقطعوا عنه الميرة من بلاد المسلمين. فضمد لهم وأقلع عن الحصن بجملته، وسبقهم إلى موضع الماء، فحادوا عن طريقه وسلكوا طريقا وعرا ذهب فيه أكثر دوابهم، وتوجهوا إلى حصن الكرك المذكور، وقد سد عليهم بنيات الطرق القاصدة إلى بلادهم، ولم يبق لهم إلا طريق عن الحصن يأخذ على الصحراء، ويبعد مداه عليهم بتحليق يعترض فيه"[1]. ثم بين كيف دهم صلاح الدين مدينة نابلس، وهجمها بعسكره، فاستولى عليها، وسبى كل من فيها"[2]. ثم قال: "وامتلأت أيدي المسلمين سبيا لا يحصى عدده من الإفرنج، ومن فرقة اليهود تعرف بالسمرة منسوبة إلى السامري. وانبسط فيه القتل الذريع، وحصل المسلمون منها على غنائم يضيق الحصر عنها"[3]. فاستخدم في بيان كثرة الأسرى من الروم تفضيلا أسلوبيا عندما قال: "لا يحصى عدده" من أجل تصوير هيبة الموصوف، وقوته، وقدرته على الأسر، وليس أي أسر، بل عدد لا يحصى. أما الغنائم فيضيق الحصر عنها، وهذا تعبير لجأ إليه، لمبالغة الحدث وبيان كثرته أيضا.

وقال عنه في موضع آخر، عند بنائه للقناطر بغربي مصر إعدادا لأي حادثة تطرأ من الأعداء: "له في ذلك تدبير عجيب من تدابير الملوك الحَزَمة"[4].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعاد مرة أخرى إلى التفضيل الأسلوبي، فهو يستخدمه كلما شعر أن موصوفه مبهر معجب، فيلجأ إلى تكثير الحدث، لتقرير هذا الإعجاب في نفس القارئ.

٣. **جمال الدين الأصبهاني (ت ٥٥٩هـ)**: أعجب ابن جبير بجمال الدين الأصبهاني وزير صاحب الموصل، وذكر له المفاخر والمناقب، "فقد جعل مدينة الرسول ﷺ تحت سورين عتيقين أنفق فيهما أموالا لا تحصى كثرة، ومن أعجب ما وفقه الله تعالى إليه أنه جدد أبواب الحرم كلها"[1]، ثم تحدث واصفا هذا التجديد بما فيه من جمال وبهاء، وفي نهاية حديثه عن هذا الرجل يقول: "ولهذا الرجل، رحمه الله، من الآثار السنية والمفاخر العلية التي لم يسبقه إليها الأكابر الأجواد وسراة الأمجاد فيما سلف من الزمان ما يفوت الإحصاء ويستغرق الثناء ويستصحب طول الأيام من الألسنة الدعاء...."[2]، وكعادته عندما يعجب بموصوف، يذكر له صفة أو صفتين، ثم يبين أن صفاته تفوق الإحصاء، أو أنه يعجز الوصف، ويمضي في ذكر موصوف آخر، ويستخدم لوصف إعجابه أساليبه التفضيلية الخاصة كقوله: "لا تحصى كثرة" في بيان الأموال التي أنفقها موصوفه، في سبل الخير والإصلاح، وقوله: "المفاخر العلية التي لم يسبقه إليها الأكابر الأجواد وسراة الأمجاد"، فهذه مبالغة تتضمن أسلوبا تفضيليا، يهدف منه إلى تضخيم صورة موصوفه.

٤. **الإمام صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهاني (ت ٥٨٠هـ)**: وصف ابن جبير هذا الإمام، وبيّن تأثير كلماته المعبرة في الوعظ، لدرجة تذهل العقول فقال عند سماعه: "وأمر هذا الرجل صدر الدين عجيب في قعدته، وأبهته، وملوكيته، وفخامة آلته، وبهاء حالته، وظاهر مكنته، ووفور عدته، وكثرة عبيده وخدمته، واحتفال حاشيته وغاشيته فهو من ذلك على حال

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقصر عنها الملوك، وله مضرب كالتاج العظيم في الهواء، مفتح على أبواب على هيئة غريبة الوضع، بديعة الصنعة والشكل، تطل على المحلة من بعد، فتبصره ساميا في الهواء. وشأن هذا الرجل العظيم لا يستوعبه الوصف؛ شاهدنا مجلسه فرأينا رجلا يذوب طلاقة وبشرا، ويخف للزائر كرامة وبرا، على عظيم حرمته وفخامة بنيته، وهو أعطى البسطتين علما وحسبا، استجزناه فأجازنا نثرا ونظما، وهو أعظم من شاهدنا بهذه الجهات»[1].

فأي وصف هذا؟ إنه حقا وصف ملوك تعتلي فوق الوصف، إذ جمع هذا الموصوف بين الدين والدنيا لدرجة بهرت ابن جبير، فجعلته يبالغ في أسلوبه مفضلا موصوفه، فيضفي عليه العظمة- وهو الزاهد الورع- فلم يدر ابن جبير إن كان موصوفه واعظا أم ملكا، فأسلوب هذا الرجل المؤثر في النفوس شفع له ما وصف به من مظاهر ملوكية دنيوية، وكأن ابن جبير يجيز له ما وصف.

٥. الخاتونان بنت الأمير مسعود، وأم عز الدين صاحب الموصل: لم يذكر ابن جبير النساء كثيرا في رحلته إلا نادرا، فتحدث عنهن جماعة في موقف الطواف، ووصفهن جماعة في طقوس نصرانية، أما ذكره للخاتونين المذكورتين فمن باب التخصيص والتفرد للإعجاب بشخصيتهما فقال عن الأولى: "ومن عجيب ما شاهدناه من الأمور البديعة الداخلة مدخل السمعة والشهرة، أن إحدى الخواتين المذكورات، وهي بنت الأمير مسعود وصلت على مسجد الرسول ﷺ، راكبة في قبتها، وحولها قباب كرائمها وخدمها، والقراء أمامها، والفتيان يطوفون حولها، ويدفعون الناس عنها...."[2]، ثم يصف دخولها للمسجد المكرم والروضة المكرمة، وإحضارها المتاع للتصدق. وذكرها مرة أخرى عند حديثه عن مجلس الإمام صدر الدين المذكور فقال:

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"وعند وصول صدر الدين المذكور أزيل الستر عنها، وبقيت بين خدمها وكرائمها متلفعة في ردائها، فعاينا من أمرها في الشهرة الملوكية عجبا"[1].

أما الخاتون الثانية فيقول عنها: "ومن أحفل المشاهد الدنيوية المريبة بروز شاهدناه يوم الأربعاء ، ثاني يوم وصولنا الموصل للخاتونين: أم عز الدين صاحب الموصل، وبنت الأمير مسعود المتقدم ذكرها، فخرج الناس على بكرة أبيهم ركبانا ومشاة، وخرج النساء كذلك، وأكثرهن راكبات، وقد اجتمع منهن عسكر جرار، وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته"[2]، ثم وصفها عندما جاءت فقال: " قد جللت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة أهلة ودنانير سعة الأكف وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات، فلا تكاد تبين من القبة موضعا، ومطيتاها تزحفان بها زحفا، وضجة ذلك الحي يسد المسامع، ومطاياها مجللة الأعناق بالذهب، ومراكب جواريها كذلك؛ مجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره وكان مشهدا أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار، وكل ملك يفنى إلا ملك الواحد القهار لا شريك له"[3].

ومع أن ابن جبير يذكر تعلقها الدنيوي الظاهر، وما أحاط بها من زخرف زائل، فإنه معجب بشخصها؛ فهي صاحبة عبادات وأفعال حسنة، يقول: "وأخبرنا غير واحد ممن يعرف حال خاتون هذه، أنها موصوفة بالعبادة والخير، مؤثرة لأفعال البر، فمنها أنها أنفقت في طريقها هذا إلى الحجاز في صدقات ونفقات في السبيل، مالا عظيما، وهي تحب الصالحين والصالحات، تزورهم متذكرة رغبة في دعائهم، شأنها عجب كله على شبابها وانغماسها في نعم الملك"[4]. فيرى فيها جانبا دينيا حسنا، برغم ما أحاط بها من نعيم الملك وزينته الذي بالغ في وصفه عندما

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال واصفا تزيين قبتها بالذهب: "لا يحصى تقديره"، لكنه يشير إلى العجب من شأنها من الانغماس في هذا النعيم برغم تصدقها وعباداتها.

٦. **فتيان الملك غلمام في صقلية:** ما أعجبه في هؤلاء الفتيان أنهم مسلمون، على رغم نصرانية ملكهم، ومتمسكون بدينهم، على رغم ما أحاط بهم من تنصّر، فيقول: "ومن عجيب شأن هؤلاء الفتيان أنهم يحضرون عند مولاهم ، فيحين وقت الصلاة فيخرجون من مجلسه فيقضون صلاتهم"[1].

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: جمل الدعاء والثناء على الله

الدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ، يقال: دعاه دعاء ودعوى. ويأتي الدعاء على ثلاثة أضرب، أولا: للتوحيد والثناء على الله ﷻ نحو: ربنا لك الحمد، ثانيا: لطلب الرحمة والعفو وما يقرب منه، نحو: اللهم اغفر لنا، ثالثا: مسألة الحظ من الدنيا، نحو: اللهم ارزقني مالا وولدا[1].

والدعاء في لغة العرب من الأساليب الإنشائية الطلبية، ويجري مجرى الأمر والنهي، وليس له صيغ قياسية عند النحاة، إنما ألفاظ سماعية ذكرت للدعاء كقولهم: غفر الله لزيد، رحم الله فلانا... إلى غير ذلك[2].

أما بالنسبة للجمل الدعائية وجمل الثناء على الله عند ابن جبير فهي كثيرة نتيجة تأثير نشأته الدينية في أسلوبه الكتابي لا سيما في رحلته؛ فكثيرا ما يستخدم الجمل الدالة على الحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى والدعاء، ولا تكاد صفحة تخلو من هذه الجمل، وسأبين الآن المواضع التي استخدم فيها هذا النمط من الجمل.

المطلب الأول: بعد وصف مبهر

يمكن تقسيم الوصف المبهر إلى قسمين: الأول: موصوف عام، والثاني موصوف ديني.

فمن الأول ما يأتي:

---

[1] اللسان، مادة دعا.

والصحاح، مادة دعا.

[2] المبرد، المقتضب، ١٣٢/٢.

وابن السراج، الأصول، ١٧٠/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ. **الهيكل في معبد إخميم:** وصف ابن جبير هذا الهيكل ثم قال بعد الوصف متعجبا: "فسبحان الموجب للعجائب لا إله سواه"[1]، وكرر الجملة نفسها بعد الوصف نفسه عند حديثه عن مصر وما تحوي من عجائب[2].

ثم ذكر في نهاية وصفه: "والله المحيط بكل شيء علما، لا إله سواه"[3]، بعدما أعلن عجزه عن وصف هذا الهيكل، فعلم البشر محدود ناقص أما علم الله فمحيط بكل شيء، وهو الذي أبدع كل شيء خلقه، لا إله سواه. ويبدو أن ابن جبير لجأ إلى تسبيح الله بعد الوصف ليظهر تعجبه من الموصوف الذي جعله يشعر بعظمة الخالق، وكذلك الحال في جملته الخبرية: "والله المحيط بكل شيء علما". فحمد الله وبيان قدرته في نهاية الوصف ، جاء من أجل إكمال صورة الموصوف التعجبية والمبالغة في تفضيله.

ب. **أحفل مراسي الدنيا (عيذاب):** بعدما وصف طريقة صنعهم للمراكب دون استخدام المسامير قال مسبحا: "فسبحان مسخرها على تلك الحال والمسلم فيها لا إله سواه"[4]، فقدرته سبحانه على تسليم راكبيها من الغرق برغم هيئتها الغريبة تستحق الحمد، الذي يظهر تعجب ابن جبير منها، ورغبته في نقل هذا التعجب إلى القارئ.

ج. **مشاهد دار الخيزران التي كان منها منشأ الإسلام:** قال بعدما وصفها: "تفعنا الله ببركة هذه المشاهد المكرمة والآثار المعظمة، وأماتنا على محبة الذي شرفت بهم ونسبت إليهم، صلوات الله عليهم أجمعين"[5]، فاختص هذا المكان بالدعاء نظرا لأهمية المكان الدينية، فهو ليس

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٥١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مبهرا بوصفه الظاهري ، بل بتأثيره النفسي، والنفوس عندما تتأثر تميل إلى الدعاء والتوجه إلى الله تعالى.

د. **بغداد:** تعجب من جمال دار الخلافة فيها فقال بعدما وصفها: "فسبحان خالق ما يشاء، لا إله سواه"[1]، وترّحم على منشئ المدارس فيها قائلا: "فرحم الله واضعها الأول ورحم الله من تبع ذلك السنن الصالح"[2]، لكنه حزين متحسر على هذه المدينة بسبب الخراب الذي استولى على أكثرها لذلك قال معزيا نفسه: "والله وارث الأرض ومن عليها لا إله غيره"[3].

هـ. **جبل النار في صقلية:** عده من العجائب التي تستحق أن يقال في شأنها: "فسبحان المبدع في عجائب مخلوقاته، لا إله سواه"[4].

و. **حلب:** أثارت حلب عواطف ابن جبير ، فتذكر الأمراء الحمدانيين والشعراء والملوك الذين حكموها، فبدأ كلامه المسجوع بقوله: "بلدة قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطا بها من الملوك كثير، ومحلها من التقديس أثير، فكم هاجت من كفاح، وسلّت عليها بيض الصفاح.... فيا عجبا للبلاد تبقى وتذهب أملاكها، ويهلكون ولا يقضى هلاكها، تخطب بعدهم فلا يتعذر ملاكها، وترام فيتيسر بأهون شيء إدراكها. هذه حلب، كم أدخلت من ملوكها في خبر كان، ونسخت ظرف الزمان بالمكان، أنّث اسمها فحلت بزينة الغوان، ودانت بالغدر فيمن خان، وتجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان، هيهات! هيهات! سيهرم شبابها، ويعدم خطابها

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويسرع فيما بعد حين خرابها وتتطرق جنبات الحوادث إليها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا إله سواه، سبحانه جلت قدرته"[1].

ويبدو أنه مال إلى استخدام التعجب الأسلوبي في قوله: "يا عجبا" ليظهر تأثره بالموصوف، وانفعاله بما وصفها به، علاوة على إكثاره من السجع الذي لا ينم إلا عن انفعال وتأثر شديدين.

أما الثاني فمنه ما يأتي:

أ. الكعبة وما يحيط بها: وصف ابن جبير الكعبة وصفا عجيبا ، ثم قال: "فسبحان من خلق لها الشرف يوم القيامة لا إله سواه"[2]، وقال في موضع آخر عند حديثه عن البيت العتيق: "فسبحان من أورثه التشريف والتكريم"[3]، ثم أكمل وصفه وعاود فقال: "فسبحان من كرمه وعظمه وخلد له التشريف على يوم القيامة"[4]. فالقصد من التسبيح إبراز خصائص ما يصفه، هذا من أساليب الوصف في اللغة، وكأنه يجمل خصائص موصوفه كاملة في التسبيح الذي يغنيه عن تعدادها وتفصيلها.

وسبح أيضا بعد حديثه عن ماء زمزم قائلا: "فسبحان من خص به من البركة ، ووضع فيه من المنفعة"[5].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٦.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال بعد حديثه عن صحة إثبات الأسماء لأبواب الحرم التي اعتنى بوصفها: "والله المستعان لا رب سواه"[1]؛ فالله الذي يعين على حفظ هذه المسميات الكريمة.

وقال بعد حديثه عن موضع وقوف النبي ﷺ: "الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ،حتى الجمادات من مخلوقاته، لا إله سواه"[2]، فهذا الموضع له فضل وقيمة برغم أنه جماد لا حراك فيه، فالتخصيص الذي استخدمه ابن جبير في تسبيحه من أساليب الوصف في اللغة، جاء به من أجل بيان تفرد موصوفه وتميزه عن غيره.

ب. غار حراء: تذكر ابن جبير نزول الوحي، وما عاناه الرسول الكريم ﷺ في بداية نشر الدعوة الإسلامية، فقال بعد وصف غار حراء داعيا للأمة كلها، أن ترزق شفاعة رسولها الحبيب: "رزقنا شفاعته، وحشرنا في زمرته، وأماتنا على سنته ومحبته، بمنه وكرمه، لا رب سواه"[3]، فللموصوف قيمة دينية نفيسة تجعل القلوب تحن وتتأثر التأثر الذي يخف حدته بالدعاء واللجوء إلى الله بالتوحيد.

ج. مسجد دمشق: كان لمسجد دمشق تفرد في الوصف عجيب عند ابن جبير، ملأ به الصفحات الكثيرة ، ثم قرر أنه لن يفيه حقه، فذكر الصفة بما يعجز عنه الوصف مبالغة تتضمن تفضيلا؛ لذلك فضل الدعاء له فقال: "والله يعمره بشهادة الإسلام وكلمته بمنه"[4]، ثم قال عنه: "والله يبقيه دار إسلام بقدرته". وعندما وصف الحجارة الكبيرة في أعلى قبته قال مسبحا:

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"فسبحان من ألهم عباده إلى هذه الصنائع العجيبة"[1]، وتسبيحه يهدف بـه أيـضا إلـى إبـراز خصائص الموصوف المميزة الفائقة.

المطلب الثاني: مناسك الحج

لم ينس ابن جبير هدفه الأساسي من رحلته الذي جاء من أجله؛ لذلك وصـف مناسـك الحج مبينا وموضحا ومفسرا مواقف كثيرة، وأكثر من الحمد والدعاء في ذلك، فقال: "الحمـد لله الذي كرمنا بالوفادة عليه وجعلنا ممن انتهت الدعوة الإبراهيميـة إليـه، وهـو حـسبنا ونعـم الوكيل"[2]، ثم خلال الوصف عاد وبين النعم التي أعطانا إياها الله عندما هيأ لنا الحج إلى بيتـه الكريم فقال داعيا: "فأوزعنا الله شكر هذه المنة، وعرفنا قدر ما خصنا به من نعمة، وختم لنـا بالقبول، وأجرانا على كريم عوائده من الصنع الجميل ولطف التيسير بعزتـه وقدرتـه لا إلـه سواه"[3].

ودعا أيضا بعدما وصف عرفات مبينا فضلها فقال: "عظم الله حرمته، ورزقنا الرحمـة فيه بكرمه وفضله"[4]؛ فوقفة عرفة- التي تعد أهم مناسك الحج- تستحق هذه الخصوصية؛ لذلك يقول مرة أخرى بشأنها: "عرفنا الله بها القبول والرحمة"[5]؛ فقد تكون سبيلا لقبول العبـد عنـد ربه، ورحمته إن صدق النية وتوجه إلى الله بقلب خالص.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٦.

[3] ابن جبير. الرحلة، ص ٦٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٤.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعندما تحدث عن طواف الناس وصلاتهم عامة تعاطف مع دعائهم ورجائهم فقال: "إنه سميع الدعاء، كفيل بالرجاء، سبحانه لا إله سواه"[1]. ولكنه عندما تحدث عن طواف النساء ودعائهن قال: "والله ينفعهن في ذلك بحسن النية والاعتقاد بمنه وكرمه"[2]. ثم بعدما استكمل كلامه على وصف طوافهن قال: "وهو المجازي على الضمائر، وخفيات السرائر، لا إله سواه"[3]. فيبدو أن ابن جبير يرى عالم المرأة عالما غريبا لا يحبذ الخوض فيه؛ ودليل ذلك قوله إن الله هو المجازي على الضمائر، وخفيات السرائر، فضمائرهن وسرائرهن عالم مكتوم لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا نلمح من كلامه إن كان متيقنا من صدق هذه الضمائر أم لا، فبرغم أنه دعا الله أن ينفعهن بحسن النية إلا أنه استدرك قائلا إن الله هو العالم الوحيد بضمائرهن وخفيات أسرارهن، وهو المجازي بناء عليها. وعند حديثه عن يوم طوافهن، أظهرهن مسكينات قليلات الحظ أمام الرجال عند الطواف، ثم صورهن بصورة مبطنة عندما وصف ازدحامهن وعويلهن وصراخهن، وكأنه غير راضٍ عن هذه التصرفات، لكنه لم يصرّح بذلك. وكذلك الحال عند حديثه عن طواف الأعاجم العراقيين والخراسانيين وسواهم، فيقول في هذا الشأن: "وربما زاحمهم في تلك الحال بعض نسائهم، فيخرجن وقد نضجت جلودهن طبخا في مضيق ذلك المعترك الذي حمي بأنفاس الشوق وطيشه، والله ينفع الجميع بمعتقده وحسن مقصده بعزته"[4]، فجملة الدعاء- هنا- دلالة على عدم رضاه عن هذا الازدحام الذي قد يشوبه شيء من الطيش؛ لذلك دعا الله أن ينفعهم جميعا ويحسن مقصدهم؛ فوجود المرأة بينهم سبب هذا الدعاء.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٤.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال بعد حديثه عن مناسك الحج: "والله يهب القبول لعبـاده"[1]، مـستذكرا أن قبـول العبادات هبة من الله تعالى، يجب علينا شكره عليها؛ لذلك قال بعد الانتهاء من الحـديث عـن المناسك: "والحمد لله على ما من به"[2]، فاستكمال مناسك الحج والانتهاء منها حدث مهم يتحـتم على فاعله أن يحمد الله عليه.

وقال عند حديثه عن كثرة الناس عند البيت: "ولله القدرة المعجـزة لا إلـه سـواه"[3]، فاجتماع هذا العدد الهائل من الناس قدرة عجيبة لأداء شيء أعجب.

وتذكر ابن جبير نفسه– أخيرا– فقد أدى فريضته التي يأمل أن تكفر له الذنوب وتمحي عنه المعاصي، فقال داعيا: "نظم الله الشمل، تمم عليها الفضل، والحمد لله على ما أولاه وأسداه، وأعاده من جميل صنعه وأبداه، فهو أهل الحمد والشكر ومستحقه لا إله سواه"[4].

وعندما ينتهي من فريضته ، يقرب وقت وداع هذه الأماكن المقدسة التي علقـت فـي نفسه؛ لذلك قال مسبقا عندما تذكر ذلك: "لا جعله الله آخر وداع، وقضى لنا إليها بالعودة وتيسر سبل الاستطاعة بعزته وقدرته"[5]، ثم قال: "ولله ﷻ لا يجعله آخر العهد ببيته الكريم، ويرزقنـا العودة إليه على خير وعافية بمنه ولطيف صنعه"[6]، فهو يأمل أن يعود مرة أخرى إلـى هـذه الأماكن المقدسة، ويحمد الله على نعمته عليه بأن سهّل له الوصول والحج وإتمام المناسك كاملة

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دون معوقات؛ لذلك يعود داعيا: "عرّفنا الله الخير والخيرة بمنه، والله كفيل بالسلامة والعصمة بمنه، والله لا يجعله آخر العهد بحرمه الكريم بمنه"[1].

ولم ينس ابن جبير أن يدعو للأموات من الحجيج بالمغفرة والرحمة[2].

المطلب الثالث: أعمال وتصرفات أعجبته

أ. أعمال صلاح الدين: ذكر ابن جبير بعض الأعمال المهمة لصلاح الدين التي نفع بها الدين والأمة، فمنها إزالته مَكْسٍ كانت على الحجاج، فعدّ ذلك عدلا ما بعده عدل؛ لذلك قال داعيا له بالجزاء الحسن عند الله تعالى: "والله من وراء مجازاة المحسنين، وهو جلت قدرته، لا يضيع أجر من أحسن عملا"[3]، وقال- داعيا أيضا- عند بناء صلاح الدين للقناطر استعدادا للحوادث الطارئة: "والله يدفع عن حوزة المسلمين كل متوقع محذور بمنه". فجملته الدعائية إجلال لعمل صلاح الدين وخوف على المسلمين، فهذا الرجل استحق أن يقول في شأنه: "والله يمتع ببقائه الإسلام والمسلمين بمنه"[4].

ب. اعتناء الأمير مكثر بالحجاج: اهتم ابن جبير بشأن الحجاج ، وما يحاطون به من اهتمام ورعاية، وعندما وجد أمير مكة (الأمير مكثر) مهتما بهم دعا له قائلا: "والله ﷻ كفيل بجزاء المحسنين، إنه ولي ذلك لا رب سواه"[5]. فإحسانه شابه إحسان صلاح الدين السابق، فاستحق الجملة الخبرية الدالة على الرجاء.

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٤.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ٤٦.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج. تجديد جمال الدين الأصبهاني لأبواب الكعبة: قال ابن جبير مبينا أجر ما عمل الموصوف المذكور "والله لا يضيع أجر المحسنين.... وهو ولي التيسير"[1]، ثم قال في نهاية حديثه عنه: "والله الكفيل بجزاء المحسنين من عباده، فهو أكرم الكرماء وأكفل الكفلاء"[2]. فتجديده لأبواب الكعبة يستحق تصنيفه ضمن فئة المحسنين، الذي أعجبوا ابن جبير، ثم قال الدعاء نفسه: "والله ﷻ الكفيل بجزاءالمحسنين"[3]، عند حديثه عمن يرسلون ماء السبيل للحجاج فرحا بعملهم وإحسانهم . كلها جمل إخبارية تدل على الرجاء، استخدمها ابن جبير للدلالة على تميز موصوفه بالإحسان.

د. بركة رجل أعجمي متدين: ذكر ابن جبير هذا الرجل ، وما أوتي من فضل ودعاء وتأثير في قلوب الناس، دون ذكر اسمه، ثم قال في نهاية حديثه عنه: "والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"[4]، نظرا لإعجابه بالموصوف وما تميز به.

هـ. دعاء الناس: أعجبه دعاء الناس عند نزول المطر رغبة في محو الذنوب فقال: "ورحمته سبحانه تسع عباده المذنبين إنه غفور رحيم"[5]، ثم قال: "فله الحمد وله الشكر على ما أنعم به علينا"[6]، قاصدا بذلك إجابة دعوات المسيئين منا إذا تابوا، واستغفروا، ثم قال خاتما كلامه: "والله ينفعنا بدعاء المخلصين من عباده ولا تجعلنا ممن شقي بدعائه، إنه منعم كبير"[7]،

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠١.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٢.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٦.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٤.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٥.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٥.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص ٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيلتفت بالضمائر من الغائب إلى المخاطب إلى الغائب دون توطئة أو تمهيد، فقد أخذ عليه حسين نصار مأخذ اختلال الضمائر- أحيانا- فلا تسير وفقا للقواعد العربية الفصيحة"[1].

و. **الاهتمام بالغرباء:** أكبر ابن جبير موقف نور الدين زنكي عندما خصص للغرباء أوقافا كثيرة، فدعا له قائلا: "نفعه الله بما أسلف من الخير، وهيأ ديارا موقوفة لقراء كتاب الله ﷻ يسكنونها" وأعجبه إئتمان الغرباء في دمشق فقال حامدا ربه: "وله الحمد والشكر على ما يولي عباده"[2]، فالإكثار من الجمل الدعائية من من الأغراضا التي تخرج إليها الجملة الإخبارية العربية، وقد أكثر ابن جبير من هذا النمط نظرا لتدينه أولا، وتقديره العمل الخيّر ثانيا، فاهتم بذكر الأعمال التي شاهدها، ووصفها في رحلته، مبينا أثرها على الناس كافة، حامدا داعيا إثر كل موقف.

ز. **عمل أهل جدة:** قال عن أهل جدة: "وأكثر سكان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أشراف علويون.... وهم من شظف العيش بحال يتصدع له الجماد إشفاقا، ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن: من إكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه. وربما تناول ذلك نساءهم* الشريفات بأنفسهن، فسبحان المقرر لما يشاء"[3]، فقد يظن ظان أن هذه الأعمال لم تعجبه، لكنه يتبع كلامه مبينا أنهم ليسوا أصحاب دنيا بل أصحاب آخرة، معللا سبب ارتضائه لهم هذه الأعمال بارتضاء الآخرة لهم فيقول: "ولا شك أنهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة ولم يرتضِ لهم الدنيا. جعلنا الله ممن يدين بحب أهل البيت أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، خاتما كلامه بالدعاء والاقتباس المؤكد

---

[1] ابن جبير، مقدمة الرحلة.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

* هكذا وردت، والصواب تناولت نساؤهم.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن أهل البيت لم يكونوا في يوم ما في موقف ذل، فعملهم الموصوف كرامة وعز لهم لا إهانة، فالدنيا الزائلة ليست لهم بل لهم النعيم الدائم.

المطلب الرابع: أعمال وتصرفات لم تعجبه

أ. أمور تتعلق بالحجاج وبيت الله الحرام: بيّن ابن جبير أن صلاح الدين ألغى ضريبة كانت تفرض على الحجاج، وبرغم ذكره أن الأمير مكثر عامل الحجاج معاملة حسنة إلا أنه ينتقد أخذه للطعام والشراب من الحجاج بدلا من الضريبة السابقة بناء على أمر صلاح الدين، ولم يعب ذلك على صلاح الدين لأنه مثل أعلى- برأيه- لا تشوبه الشوائب، أما الأمير مكثر فبالغ في مطالبته بهذا الحق المزعوم، فيقول عنه مستهجنا: "كأن حرم الله ميراث بيده محلل له اكتراؤه من الحاج فسبحان مغير السنن ومبدلها"[1]، ثم يصف حال الحاج من ضعف وقلة حيلة ويأمل أن تتغير الأحوال، وتزول هذه البدع قائلا: "إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير"[2]. فقدرة الله فوق كل أمر، وإن كان من ذوي السلطة.

واستاء ابن جبير من فساد سدنة البيت الحرام، فقال شاكيا ذلك إلى الله وحده لهول ما عاين: "وإلى الله المشتكى من فساد ظهر حتى في أشرف بقاع الأرض، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[3]. ودعا عندما قبض على مسيء من سدنة البيت قائلا: "أعاذنا الله من سوء القضاء، ونفوذ سهام الدعاء بمنه"[4].

ب. تصرفات قبائل يمنية تعرف بالسرو: وصف ابن جبير طواف هذه القبائل بطريقة مضحكة عندما قال: "وإذا فتح الباب الكريم فهم الداخلون بسلام، فتراهم في محاولة دخولهم

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٣

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتسللون كأنهم بعض ببعض مرتبطون، يتصل منهم على هذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من ذلك. والسلاسل منهم يتبع بعضهم بعضا، وربما انفصمت بواحد منهم، يميل عن المطلع المبارك إلى البيت الكريم. فيقع الكل لوقوعه، فيشاهد الناظر لذلك مرأى يؤدي إلى الضحك"[1]، ثم تحدث عن صلاتهم "فهم يسجدون دون ركوع وينقرون بالسجود نقرا،.... ويلتفتون يمينا وشمالا.... وربما تكلموا في أثناء ذلك.... الخ"[2].

لذلك في نهاية حديثه عنهم يدعو لهم قائلا: "والله يصلح أحوالهم، وأحوال جميع عباده بمنه"[3]، فأحوالهم من الهوان بحال يستدعي هذا الدعاء، فهو يرجو بدعائه تحسن الأحوال.

ج. النعيم الدنيوي الذي أحاط بالأمير طغتكين بن أيوب الأنصاري (ت ٥٩٣هـ) وغيره من الأمراء: أعجب ابن جبير بطغتكين أخي صلاح الدين الملقب بـ"سيف الإسلام"، ولكن هالة الإمارة المحيطة به من خدم وحجاب وسيوف لم تعجبه، ويبدو هذا عند حديثه عن قدومه من أجل الحج، إذ قال: "وقد شاع الخبر بنزول سيف الإسلام الزاهر، مضرب أبنيته فيه، ومقدمته من العسكر قد وصلت إلى الحرم، وزاحمت الأمير مكثرا في الطواف. فبينما الناس ينظرون إليهم.... فما راعهم إلا الأمير سيف الدين داخلا من باب بني شيبة ولمعان السيوف أمامه يكاد يحول بين الأبصار وبينه، والقاضي عن يمينه وزعيم الشيبيين عن يساره، والمسجد قد ارتج وغصّ بالنظارة والوافدين، والأصوات بالدعاء له ولأخيه صلاح الدين قد علت من الناس حتى صحت الأسماع، وأذهلت الأذهان.... فلحين دنو الأمير من البيت المعظم أغمدت السيوف، وتضاءلت النفوس، وخلعت ملابس العزة، وذلت الأعناق، وخضعت الرقاب، وطاشت الألباب

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مهابة وتعظيما لبيت ملك الملوك العزيز الجبار الواحد القهار، مؤتي الملك من يشاء، ونازع الملك ممن يشاء سبحانه، جلت قدرته وعز سلطانه"[1]. توحي خاتمة كلامه بعدم إعجابه بما أحاط بهذا الأمير في هذا المقام من عسكر وسيوف؛ فهنا عزيز جبار قهار واحد لا غير، أعطى الملك وقادر على نزع الملك ممن يشاء. لا ملوك بشر ولا عساكر تقف أمام المشهد العظيم الذي تخضع له الرقاب وتذل له الأعناق، وتجعلها غير مدركة لسيوف العسكر ولمعانها. وحتى لو أغمدت فلا مكان لها هنا.

وما يؤكد استياءه من هذا الحال وصفه لهيبة الأمير عندما ذهب إلى المسجد الحرام، فيقول: "ثم عاد الأمير إلى المسجد الحرام على حالته من الإرهاب والهيبة وهو يتهاوى بين بروق خواطف السيوف المصلتة...."[2]، ثم يصف ازدحام الناس وتراكمهم من أجل رؤيته مبينا أن هذا اليوم "من الأيام الهائلة العجيبة المشهد الغريبة الشأن في مكة"[3] ثم يختم كلامه بتسبيح الله مذكرا الناس جميعا أن الله هو الملك الذي لا ينقضي ملكه ولا يبيد سلطانه، لا إله سواه[4].

فوصفَ هيبة الأمير أنها مرهبة، بتأثير السيوف المصلتة المخلة بهيبة هذا المكان الذي من شأنه أن ينسي الإنسان دنياه، وينقله إلى أجواء الملك الكبرى، فلا ملوك ولا درجات بشرية، ولا هيبة لملك سواه. فالسيوف تعيد الإنسان إلى الدنيا وتربطه بملوكها وعزها ونعمها، والمقام لا يتطلب ذلك.

أكد ابن جبير هذا الرأي في موضع آخر عندما تحدث عن قدوم الأمير العراقي وغيره من الأمراء إلى البيت الحرام فقال: "فلما أن حان الوقت أشار الإمام المالكي بيديه ونزل من

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

[4] انظر ابن جبير، الرحلة، ص ١١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موقفه فدفع الناس بالتفرد دفعا ارتجت له الأرض ووجفت الجبال، فيا له موقفا ما أهون مـرآه، وأرجى في النفوس عقباه! جعلنا الله ممن خصه برضاه، وتغمده بنعماه، إنه منعم كريم، حنـان منان»[1].

فقد تؤثر هيبة الأمراء في النفوس؛ لذلك دعا الله أن يخصه بالرضا ويتغمده بالنعمة فهو المنعم الكريم الحنان المنان.

د. **الفتن التي تؤثر في الدين والناس:** تحدث ابن جبيرعن مشكلة حصلت بين سـودان أهل مكة والأتراك العراقيين سلت فيها السيوف، ورميت السهام، وانتهبت البضائع، ثم قال بعـد وصفها: "فوقى الله شر تلك الفتنة بتسكينها سريعا. وكانت عين الكمال في تلك الوقفة الهنيئـة، وكمل للناس حجهم، والحمد لله رب العالمين»[2].

وعندما تحدث عن رجل ملحد فاسق قال: "والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء بقدرته، نعوذ به سبحانه من الفتنة في الدين، ونسأله العصمة من ضلال الملحـدين، لا رب غيـره ولا معبود سواه»[3]. فجمله الدعائية تريح نفسه إثر كل موقف استاء منه بلجوئه إلى الله وتقربه منه.

وكان ابن جبير مسلما سنيا لا يحب إلا التعامل مع المسلمين، فقال متخوفا عندما ركـب مع تجار نصارى في السفينة: "عرّفنا الله في ذلك معهود خيرته وتكفلنا بكلاءته وعصمته بعزته وقدرته، إنه سبحانه الحنان المنان، وليّ الطول والإحسان لا رب غيره»[4]، ومع أنـه مغربـي الأصل إلا أنه ذم المغربي الذي تنصّر ودعا بعد حديثه عنه: "نـسأل الله ﷻ أن يثبتنـا بـالقول

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٨.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٩.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثابت في الدنيا والأخرة ولا يعدل بنا عن الملة الحنفية وأن يتوفانا مسلمين، بفضله ورحمته"[1].

وكذلك الحال عندما تحدث عن فقيه تحول إلى قسيس فقال مستاء: "نعوذ بالله من عواقب الشقاوة وخواتم الضلالة"[2].

وبرغم أن النصارى في طريقه لصقلية كانوا يحسنون المعاملة إلا أنه خشي أن توقع هذه المعاملة الحسنة الفتنة في قلوب المسلمين، فقال: "فرأينا من سياستهم ولين مقصدهم مع المسلمين ما يوقع الفتنة في نفوس أهل الجهل، عصم الله جميع أمة محمد ﷺ من الفتنة بهم بعزته ومنه"[3].

المطلب الخامس: مجالس الوعظ والخطب

بُهر ابن جبير بمجالس الوعظ والخطب مما جعله يصوّر الخطيب بصورة أعظم في النفوس من صور الملوك والأمراء، فالخطيب حكيم صاحب فضل على الناس أجمع، خصه الله بذلك دون غيره، فقال مرتين بعد مجلسي وعظ أثرا في نفسه متعجبا من قدرة الخطيب البالغة على التأثير في النفوس: "الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"[4]، وقال في موضع آخر داعيا استمرارية تأثير الخطب الدينية: "والله ﷻ يبسطها من كلمة، ويعليها من دعوة، إنه على ما يشاء قدير"[5].

ويؤكد في وصفه لمجالس الوعظ أن هذه القدرة على التوصيل والتأثير نعمة من الله لا يهبها لكل الناس، فهذه النعمة تستحق الحمد؛ لذلك قال بعد وصفها: "إنه المنعم الكريم لا رب

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٢.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٥، ١٧٣.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سواه ولا معبود إلا إياه"[1]، وقال أيضا في موضع آخر: "والله يؤتي الحكمة من يشاء، لا إله سواه"[2].

وقال أيضا: "الحمد لله على ما منّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ويضيق الوجود عن مثله"[3]، قاصدا الإمام صدر الدين الأصبهاني في ذلك، فقال عنه: "فسبحان من خلقه عبرة لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه"[4]. ودعا الله أن تنتفع الأمة بدعاء الأئمة أجمعين فقال: "والله ينفع المسلمين ببركاتهم وصوالح دعواتهم بمنه وكرمه"[5]، فجمل الدعاء السابقة دالة على ارتياحه ورضاه بما يرى ويسمع ولا يجد الإنسان في نفسه عند الراحة والرضا غير الحمد والدعاء. ولم يغفل ابن جبير احتفالات ختمة القرآن في ليالي رمضان التي وصفها- في رحلته- وصفا بارعا دقيقا؛ لما تدخله في النفس من راحة واطمئنان وهدوء بعد الذكر والقرآن، فقال بعد وصفها: "وعند الله تعالى في ذلك الجزاء والثواب، إنه سبحانه الكريم الوهاب"[6]، فكرمّ من رب العالمين أن يتقبل منا ويجازينا.

المطلب السادس: عيون الماء

تعجب ابن جبير من قدرة الله تعالى على تفجير عيون الماء في الأرض، فقال عن عين ماء في طريقه من المدينة إلى العراق تسمى بوادي العروس: "فتزوّد الناس منها الماء، يحفرون عليه في الأرض بئرا فينبع منها ماء عذب معين يروي الأمة التي لا يحصى لها عدد من هذه

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٤٣.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٣.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٥.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٢.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحلة مع جمالها التي تتيف على عددها، ولله القدرة سبحانه"[1]، فنلاحظ اختلاف الضمير من المؤنث إلى المذكر، فربما قصد بالأول (منها) العين وبالثاني (عليه) الوادي.

ثم قال بعد ذلك واصفا نزول المطر وامتلاء العيون وجريان السيول: "فأنزل الله من سحب رحمته ما أعاد الغيطان غدرانا، وأجرى المسول سيولا، وصيّر الوهاد مملوءة عهادا. فكنا بنصر مذانب الماء سائحة على وجه الأرض فضلا من الله ونعمة، ولطفا من الله بعباده ورحمة، والحمد لله على ذلك"[2]، فالترحال بلا ماء موت وهلاك، فهذه العيون تستوجب الحمد والثناء على الله سبحانه.

وقال متحدثا عن موضع فيه ماء يعرف بالقرعاء: "وفيه أيضا مصنع ماء، وله ستة مخازن، وهي صهاريج صغار، تؤدي الماء إلى المصانع، استقى الناس فيها وسقوا. وكثرت المصانع حتى لا تكاد الكبث تحصرها ولا تضبطها، والحمد لله على منته وسابغ نعمته"[3]. فقال عن عيون الماء إنها مصانع، مع أنه استخدم هذه اللفظة بمعنى بناء أيضا في ما سبق. وبعد هذا الموضع يذكر منارة تعرف بمنارة القرون وجد بجانبها ماء، فيقول: "وعلى مقربة من هذه المنارة قصر ذو بروج مشيدة، وبإزائه مصنع عظيم وجد مملوءا ماء والحمد لله على ما منّ به"[4]، وتعجب من عين ماء على شط دجلة أبصر منها دخانا فقال مسبحا ربه: "والله يخلق ما يشاء سبحانه تعالى جدّه، وجلت قدرته لا رب غيره"[5]، وتحدث عن العين المباركة التي بجانب

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٩.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدينة موسى عليه السلام داعيا ربه بعد الشرب منها بقوله: "والله ينفع النية في ذلك بمنه وكرمه"[1]، أما مدينة رأس العين، فكثرة العيون فيها جعلته يتعجب من جمالها قائلا: "ولله القدرة في جميع مخلوقاته"[2].

المطلب السابع: النجاة من أهوال البحر والوصول إلى المكان المقصود

بدأ ابن جبير رحلته بوصف أهوال البحر ومخاطره داعيا ربه بقوله: "عرّفنا الله السلامة بمنه"[3]،، وصور النفوس والقلوب الخائفة إثر هذا الموقف الذي طالما أخافه حامدا ربه على الرغم من الضر الذي أصابه: "الحمد لله على ذلك"[4]، لعل هذا الحمد يريح النفوس والقلوب المضطربة، ويشعرها برحمة الله التي تسع كل شيء، وبأن أي أمر قدر من الله لا خوف منه ولا اعتراض عليه، وعندما رأى البر سالما قال متأثرا ساجعا فرحا: "الحمد لله الذي أرانا عظيم قدرته، ثم تلافى بجميل رحمته ولطيف رأفته، حمدا يكون كفاء لمنته ونعمته"[5]، وبعد أن وصل إلى المكان المقصود (الإسكندرية) ضمن عنوان "البشرى بالسلامة" قال: "الحمد لله على ذلك حمدا يقتضي المزيد من فضله وكريم صنعه"[6]، ذاكرا مدة الإقامة في المركب مؤرخا إياها، ثم استشعر تقصيره في شأن ما منّ الله عليه به من فضل فعاد إلى الحمد قائلا: "والحمد لله على ما منّ به من التيسير والتسهيل، وهو سبحانه المسؤول بتتميم النعمة علينا ببلوغ الغرض من

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٨، ٢٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٣٠.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقصود، وتعجيل الإياب إلى الوطن على خير وعافية، إنه المنعم بذلك لا رب سواه"[1]، فهذا الذي أخافه وأرهقه احتمى منه خلال التقرب إلى الله بالحمد والثناء؛ لذلك عندما قرر الخروج من مصر واتخاذ النيل طريقا له، دعا الله أن يتمم عليهم الفضل بالنجاة كما سبق وفعل قائلا: "عرّفنا الله عادته الجميلة من التيسير وحسن، المعونة بمنه"[2]، فيأمل من الله حسن المعونة في مقارعة حرب بحرية جديدة، بأساليب لغوية خبرية متنوعة، تدل على قدرته على التصرف في اللغة، وابتكار جمل دعائية توحي بالوصف الذي يريد. ثم وصف خوفه من البحر أيضا عند حديثه عن أهوال بحر فرعون، عندما ركبوا سفينتهم قاصدين جدة، فكانت أهوالا عصيبة مؤلمة استمرت حتى رأوا بر جدة حينها حمد الله قائلا: "والله يسهّل لنا كل صعب وييسر لنا كل عسير بعزته وكرمه"[3]، ثم بعد النجاة من الجزيرة التي تعيق السفن حمد الله مرة ثانية قائلا: "له الحمد والشكر على ذلك"[4]، وكأنه ارتاح من حمل ثقيل كان فوق ظهره، وعندما رأى اليابسة أسقطه فتنفس الصعداء. وعندما هبت ريح فاترة وجد العاصفة القوية المخيفة فقال: "والله الميسّر لا رب سواه"[5]،وحمد الله: "والحمد لله على ما منّ به من العصمة وتكفل به من الوقاية والكفاية حمدا يبلغ رضاه ويستهدي المزيد من نعماه، بعزته وقدرته، لا إله سواه"[6].

لقد عانى في هذا البحر عناء جعله يعاهد ربه ألا يتخذه طريقا له مرة أخرى، فقال: "وعند احتلالنا جدة المذكورة، عاهدنا الله ﷻ، سرورا بما أنعم الله به من السلامة، ألا يكون

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٧.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٦١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٦١.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

انصرافنا على هذا البحر الملعون إن طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطـرق، والله ولي الخيرة في جميع ما يقتضيه ويسنيه بعزته"[1]، فهذا فرح لا بعده فرح، بعد انتصاره علـى خصمه البحر لا سيما الذي سماه ملعونا.

وكان للريح تأثيرها القوي في تيسير الرحلة البحرية، فالبحارة ينتظرون الريح الموائية لجهة سيرهم ثم يجرون تلافيا للخطر، وعندما قرر ابن جبير الذهاب إلى صقلية، كـان عليـه انتظار الريح الشرقية التي لا تأتي إلا في وقت محدد من السنة، فعد هذا أمرا عجيبا جعله يقول: "فسبحان المبدع في حكمته، المعجز في قدرته لا إله سواه"[2]. وبشاء القدر أن تهب هذه الـريح في الوقت المناسب له، من أجل اللحاق بالمركب الذي يقصدونه في زوارقهـم فقـال حينهـا: "فحمدنا الله ﷻ على منّ به، وكان أول ذلك اليوم شدتنا في هذا السفر الطويل، وآخره والحمد لله يوم فرحنا، وله الحمد والشكر على كل حال"[3]. ثم قال مستكملا وصف حالهم في ذلك الوقـت: "وبتنا بليلة شهباء إلى أن وضح الصباح، وقد منّ الله ﷻ بالسلامة"[4]، ولكن كانت المفاجأة بأن هبت ريح غربية، عندها انقلبت الأحوال من استقرار إلى خوف فقال: "الريح الغربية علـى أول لجاجها، ونحن بين اليأس والرجاء نتردد، مغلبين حسن الثقة بجميل صنع الله تعالى وخفي لطفه، ومعهود فضله، سبحانه هو أهل لذلك، جلت قدرته، وتناهت عظمته لا إله سواه"[5]، فازداد تعلقه بالله عن طريق الدعاء واللجوء إليه، ولكن هذه الريح استمرت أياما عصيبة، فجعل يقول: "وفي

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٢.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خلال هذه الأيام كلها لم يظهر لنا برّ، والله يأتي بالفرج القريب"[1]، ثم أعاد وأكد ثقتهم الكبيرة برب العباد فقال: "ونحن ننتظر الفرج من الله ﷻ بصبر جميل، ونرتقب منه جلاله معهود التيسير والتسهيل بمنه ولطفه"[2]، ولكن هذا الأمر استمر أياما إلى أن وصل الأربعين يوما فقال: "في هذا المرسى كمل لنا على ظهر البحر أربعون يوما، والحمد لله على كل حال، ومدة مقامنا بالمرسى لم يفتر عصوف الريح الغربية، وعادة أشد ما يكون هبوبا، فحمدنا الله تعالى على أن لم تأخذنا ونحن على ظهر البحر جارين، والحمد لله على جميع صنعه"[3]، فشدة إيمانه بالله تجعله يجد نعم الله التي تستوجب الحمد أمامه دائما، ولو هبت الريح التي هي عكس سيرهم لم ييأس ولم يتخاذل بل يحمد الله على أنها لم تجرفهم ولم تقضِ عليهم؛ لذلك يعود ويكرر شكره وامتنانه لله تعالى، مع أمله في رؤية البر، فيقول: "وعدنا نطلب من البر أثرا بعد عين، ونرجم الظنون بين متى وأين والله ﷻ لطيف بعباده، كفيل بمعهود صنعه الجميل ومعتاده، لا رب سواه"[4].

وعندما بدأ شهر رمضان المبارك، بدأت الريح الشرقية الهبوب، فاستقر وضعهم، وهدأت أحوالهم، ولكن لم تدم هذه الحال، فهبت ريح قوية فجأة أمالت المركب، فأشرفوا على الهلاك والغرق، لولا قدوم الملك غلايام نفسه في جملة من رجاله لإغاثتهم في الزوارق، وحينها كانت نجاتهم من هذه الرحلة الصعبة.

وأما آخر عاصفة هبت عليهم فكان لها تأثير أخف وطأة ذلك أنها لم تدم طويلا، يقول في وصفها: "وسرنا ذلك اليوم كله بريح تزجي المركب تزجية حثيثة، ونحن من الشوق إلى

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٣.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٤.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٦.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأندلس بحال تكاد لها النفوس تقوم مقام الرياح في حث الرياح وانزعاجها، والله يمن بالتسهيل والتعجيل، ثم انقلبت الريح غربية بعد مسير يوم وليلتين، فضربت في وجوهنا فأنكصتنا على الأعقاب"[1]. مشيرا بذلك إلى درجة حزنهم وألمهم، فاستخدم في وصف حالهم الوصف بالشبيه عندما قال : "النفوس تقوم مقام الريح" يظهر خوف النفوس وتعجلها النجاة، والوصف بالضد عندما قال: "انقلبت الريح غربية" لبيان شدة الخطر الذي أحاط بهم. ولكن منّ الله عليهم بعد أيام قليلة فهبت ريح شرقية خفيفة، فسأل الله تقويتها قائلا: "والله يتم فضله علينا، ويكمل صنعه بعزته لنا"[2]، فاستجاب الله لهم فحمد الله وصلى على نبيه المصطفى هذه المرة أيضا فقال: "ومادت فانتشرت بفضل الله تعالى، فنزلنا بقرطاجنة عشي يوم الخميس الخامس عشر منه [3]، شاكرين لله على ما منّ به من السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين"[4].

فهذه رحلة العودة إلى محبوبته "الأندلس"؛ لذلك أطال الحمد والثناء فيها مضيفا إلى ذلك الصلاة على النبي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٦.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٧.

[3] يقصد شهر محرم.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٧.

المبحث الثالث: جمل العدد والكم والتأريخ

المطلب الأول: جمل العدد

ذكر ابن جبير العدد في حالتين، الحالة الأولى: عند حديثه عن الأموال، ومثال ذلك قوله: "وذكر لنا أن بجامع عمرو بن العاص بمصر من الفائد نحو الثلاثين دينارا مصرية في كل يوم تتفرق في مصالحه، ومرتبات قومته وسدنته وأئمة القراء فيه"[1]، فذكر العدد هنا من باب بيان كثرة الأموال التي يصرفها الجامع من أجل الخير ومنفعة الأمة.

وذكر القيمة المالية للضريبة التي كان الحاج يدفعها وهي سبعة دنانير ونصف من الدنانير المصرية[2]. فهو يقرّ العدد هنا لبيان صعوبة أن يدفعها أي حاج في ذلك الوقت بسبب الفقر وقلة الحيلة.

أما الحالة الثانية التي يذكر فيها العدد فمن أجل بيان المواصفات الدقيقة للموصوف، فمثلا عند حديثه عن البيت الحرام يقول واصفا ستوره: "وعدد الستور من الجوانب الأربعة أربعة وثلاثون سترا. وفي الصفحين الكبيرين منها ثمانية عشر، وفي الصفحين الصغيرين ستة عشر، وله خمسة مضاوئ.... وبين الأعمدة أكواس من الفضة عددها ثلاثة عشر[3]. وأحدها[4]. من ذهب"[5]، فالأعداد المذكورة تجعل صورة الموصوف أعمق وأثبت في النفوس، ثم تحدث عن كسوة الكعبة قائلا: "وكسوة الكعبة المقدسة من الحرير الأخضر، حسبما ذكرنا، وهي أربع وثلاثون شقة، في الصفح الذي بين الركن اليماني والشامي منها تسع ، وفي الصفح الذي يقابله

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٤١.

[2] انظر ابن جبير، الرحلة، ص ٤٦.

[3] ورد ت في المصدر ثلاث عشرة

[4] ورد ت في المصدر إحداها

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين الركن الأسود والعراقي تسع أيضا، وفي الصفح بين العراقي والشامي ثمان، وفي الصفح بين اليماني والأسود ثمان أيضا، وقد وصلت كلها فجاءت كأنها ستر واحد يعم أربعة الجوانب"[1]، فالصورة بعد الأعداد المذكورة أصبحت أوضح وأعمق.

وقال متحدثا عن بلاطات المسجد النبوي: "وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به، ووسطه كلها صحن مفروش بالرمل، فالجهة القبلية منها خمس بلاطات مستطيلة، من غرب إلى شرق، والجهة الجوفية لها أيضا خمس بلاطات على الصفة المذكورة، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية لها أربع بلاطات"[2]، فلم يكتف بذكر العدد بل قرنه بالجهة كي تُستكمل الصورة.

وذكر أن عدد أبوابه تسعة عشر بابا، ثم فصلها قائلا: "في القبلة باب صغير واحد مغلق، وفي الجوف أربعة مغلقة، وفي الغرب خمسة مغلقة أيضا، وفي الشرق خمسة أيضا مغلقة"[3].

وهناك العديد من الأمثلة التي يذكر بها تفصيلات عددية في موصوفه.

المطلب الثاني: جمل الكم

ذكر ابن جبير مكاييل مختلفة لقياس الكم في رحلته، من هذه المكاييل:

أ. الذراع: استخدم الذراع لتكوين مقياس معين، يستخدم لمعرفة زيادة النيل عند فيضه كل سنة، فقال واصفا إياه: "هو عبارة عن عمود رخام أبيض مثمن في موضع ، ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا مقسمة على أربعة وعشرين قسما

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٤، وردت في الأصل: الأربعة جوانب.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعرض بالأصابع"[1]. وعندما تحدث عن موضع الطواف حول البيت قال: "بين الركن العراقي وبين أول جدار الحجر مدخل إلى الحجر سعته أربع خطا ، وهي ستة أذرع محققة كلناها باليد"[2]. فبعدما ذكر أنها أربع خطا، أراد توضيحا أكثر فقال إنها ستة أذرع محققة تأكد من تحقيقها بيده.

وقال واصفا سعة صحن جامع دمشق: "فيكون سعة الصحن، حاشا المسقف القبلي والشمالي، مئة ذراع"[3].

٢. **الخطوة:** قال ابن جبير: "طول المسجد الكريم مئة خطوة وست وتسعون خطوة، وسعته مئة وست وعشرون خطوة، وعدد سواريه مئتان وتسعون"[4]، قاصدا بذلك المسجد النبوي في المدينة. وقال: "قبة بئر زمزم تقابل الركن، ومنها إليه أربع وعشرون خطوة"[5]، وقال: "فجميع خطا الساعي من الصفا إلى المروة أربع مئة خطوة وثلاث وتسعون خطوة.... أدراج المروة خمسة.... وسعتها سعة الصفا سبع عشرة خطوة"[6].

ثم وصف بلاطاته المتصلة بالقبة قائلا: "سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة خطوة، والخطوة ذراع ونصف"[7]. فلا منهجية معينة- عند ابن جبير- في استخدام الخطوة أو الذراع، ولكنه أحيانا يفسر الخطوة بالذراع من باب تحري الصدق وتأكيد المكيال.

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٤٥.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٠

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٥.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٥١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٧١.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ٨٦، وردت في المصدر سبع عشر خطوة.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. الشبر: يقول أثناء حديثه عن البيت الحرام: "والباب الكريم مرتفع من الأرض بأحد عشر شبرا ونصف... وعلى رأس العتبة العليا لوح ذهب خالص إبريز في سعته مقدار شبرين، وللباب نقارتا فضة كبيرتان ، يتعلق عليهما قفل الباب، وهو ناظر للشرق، وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار"[١]، وقال أيضا: "والفاصل منها بين كل خضراء وحمراء رخامتان سعتهما خمسة أشبار"[٢]، ووصف أعمدة الرصاص الملتصقة برخام تنور بئر زمزم قائلا: "فقد خرمت لهذه الأعمدة رؤوس قابضة على حافة البئر دائرة بالتنور كله، ودوره أربعون شبرا، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف، وغلظه شبر ونصف"[٣]، وقال: "طول المقصورة الصحابية أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول"[٤].

وقال واصفا جامع دمشق: "كله ألواح رصاص منتظمة، وطول كل لوح أربعة أشبار، وعرضه ثلاثة أشبار"[٥]، أما قبته فقال واصفا خواتيمها الخشبية: "أبصرنا من تلك الخواتيم الخشبية خاتما مطروحا جوف القبة، لم يكن طوله أقل من ستة أشبار في عرض أربعة، وهي تلوح في انتظامها للعين كأن دور كل واحدة منها شبر أو شبران الغاية لعظم سموها"[٦].

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٧.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٥.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ٧٢.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٦.

[٥] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٧.

[٦] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يبدو أنه استخدم "الشبر" لقياس ما هو أصغر طولا"، أما "الذراع" و"الخطوة" فكانتا لقياس ما هو أكبر من ذلك. واهتم بقياس مساحة الأماكن المقدسة والمساجد وما يزينها من رخام وذهب وألواح.

المطلب الثالث: جمل التأريخ

أرّخ ابن جبير رحلته ذاكرا اليوم والشهر والسنة في أكثر تحركاته ، فكان يذكر اليوم أولا ثم تاريخ هذا اليوم ثم الشهر، وعندما يتكرر الشهر يسميه بالشهر المذكور، كقوله: "في صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور"[1]. وإذا تكرر اليوم عمد إلى الأسلوب نفسه كقوله: "في هذا اليوم المذكور الذي هو السابع والعشرون من ذي القعدة...."[2]، أما الأشهر المميزة كرمضان ورجب وشعبان وذي القعدة وذي الحجة فكان يبين اليوم الذي ظهر فيه هلالها بقوله: "استهل هلاله ليلة (كذا) بموافقة (كذا) ، ويذكر أحيانا أسماء الأشهر الأعجمية كقوله: "استهل هلاله ليلة الأحد التاسع من شهر شنتبر العجمي وكنا بدمشق حرسها الله"[3]، وقوله: "استهل هلاله ليلة الأربعاء بموافقة الرابع عشر من شهر فبرير"[4].

أما الأحداث المهمة التي أراد تأريخها، فمنها ما يأتي:

١. **البشرى بالسلامة من العواصف البحرية والوصول إلى البر:** كقوله: "وأصبحنا يوم الأحداث في دجنبر وقد بدل لنا من الخوف الأمان...."[5]، وقوله: "في صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور (ذي القعدة) أطلع الله علينا البشرى بالسلامة بظهور منار

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣٢.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١٢٩.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإسكندرية...."[1]، وقوله: "فلما كان يوم السبت الموفي ثلاثين تنفست الريح بعض التنفس"[2]. وقوله: "في ضحوة يوم الثلاثاء والثالث عشر من محرم أقلعنا على اليمن والبركة بريح شرقية"[3].

٢. **الظواهر الطبيعية ككسوف القمر:** قال: "في سحر يوم الخميس الثالث عشر منه ، وهو أول يوم من دجنبر، بعد طلوع الفجر، كسف القمر"[4]، ثم قال: "وفي سحر يوم الخميس الثالث عشر من الشهر المذكور، كسف القمر وانتهى الكسوف منه إلى مقدار ثلثيه"[5].

٣. **فتح باب الكعبة:** قال: "فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المذكور فتح البيت العتيق"[6]، ثم قال: "في يوم الجمعة الرابع والعشرين قبل هذا اليوم المذكور كان دخولنا إلى البيت الكريم"[7]، فلا يرتب ابن جبير الأحداث في رحلته، فعلى الرغم من حديثه عما حصل في شهر ذي القعدة في أول رحلته ، يعود ويذكر أحداثا أخرى حصلت في الشهر نفسه بعد صفحات عديدة.

٤. **دخوله هو وأصحابه أماكن مهمة مثل دار الخيزران:** قال: "في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة المذكور ، دخلنا دار الخيزران التي كان منها منشأ الإسلام"[8].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص ٣١.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص ٦٠.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٦٧.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص ١١١.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص ١١٤.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٠.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣١.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص ١٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. **وجود عيون الماء، كقوله:** "نزلنا ليلة الخميس الثالث عشر لمحرم، وسادس يوم رحيلنا على ماء يعرف بالقارورة"[١]، وقوله: "بتنا ليلة الأربعاء السادس والعشرين بموضع يعرف بلورة وفيها مصنع كبير وجده الناس مملوءا فجددوا الاستسقاء و رفهوا الإبل"[٢].

٦. **الوصول إلى المدن المقصودة:** كقوله: "وصلنا مدينة منبج مع الصباح من يوم الجمعة الحادي عشر لربيع المذكور والثاني والعشرين ليونيه"[٣]، وقوله: "وصلنا دمشق في الضحى الأعلى من يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول والخامس ليوليه"[٤].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[١] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٠.

[٢] ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٤.

[٣] ابن جبير، الرحلة، ص ١٩٤.

[٤] ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٢.

الخاتمة

كتب ابن جبير رحلته على شكل مذكرات يومية؛ لذلك جاءت لغته بسيطة سهلة، وتأثر بموصوفه فمال أحيانا إلى استخدام السجع والجناس في كلامه؛ مما جعل لغته غير متوازنة.

ويبدو أنه فضل الوصف بصيغة الماضي أكثر من المضارع، فهو ينقل أحداثه للقارئ متتابعة مؤرخة بعد انتهائه إلا نادرا عندما يهدف إلى بيان عادة أو تصرف دائم لموصوفه. واستخدم الجملة الاسمية في وصفه عند اهتمامه بالموصوف وتفصيل القول فيه من خلال ذكره أو ذكر ما يعود عليه كالضمير أو اسم الإشارة.

وكان ابن جبير يبالغ في وصفه أحيانا فيستخدم أساليب تعجبية خاصة وأساليب تفضيلية متنوعة . ولجمل الدعاء أثر في نفس القارئ حول تميّز الموصوف وتفرده، علاوة على إظهار صلته الوثيقة بالله واللجوء إليه دوما. وقد اعتنى بوصف الأماكن المقدسة وصفا دقيقا من خلال ذكر العدد والكم الخاص بموصوفه، ولم يغفل التقديم والتأخير الذي قصد فيه إظهار أهمية موصوفه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الاشعار

البيت			البحر	القائل
عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ في دُنْيـاهُ تُطْمِعُـهُ		في العَيْشِ وَالأَجَلُ الْمَحْتومُ يَقْطَعُهُ	البسيط	ابن جبير
وَمَصانِعُ الْمَعْروفِ فَلْتَـةُ عاقِـلٍ		إِنْ لَمْ تَضَعْها فـي مَحَـلِّ عاقِـلِ	الكامل	ابن جبير
يَحْسَبُ النَّـاسُ بِـأَنّي مُتْعَـبٌ		في الشَّفاعاتِ وَتَكْليـفِ الْـوَرى	الرمل	ابن جبير
لأَبي الْحُسَيْنِ مكـارِمٌ لَـوْ أَنَّهـا		عُدَّتْ لَما فَرَغَتْ لِيَـوْمِ الْمَحْـشَرِ	الكامل	ابن الحاج
يـا أَهْـلَ طَيْبَـةَ قَلْبـي		عَـنْ مَـنْهَجِ الـصَّبْرِ جـارا	مجتث الخفيف	ابن جبير
طالَ شَوْقي إِلـى بِقـاعٍ ثَـلاثٍ		لا تُـشَدُّ الرِّحـالُ إِلاّ إِلَيْهـا	الخفيف	ابن جبير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعجم

(أ)

إبريل: من شهور الروم وهو شهر نيسان، ١٤٨

أتوار: مفردها تور، وهو الشمعدان، وأصل التور إناء صغير من صُفْر أو حجارة، ٣٧.

الأثافي: أحجار توضع عليها القدر، ١٢٣.

إحرام: صفة لباس مغربية مكونة من بردة سوداء عليها طيلسان أسود وعمامة سوداء، ٤٢.

أحوال: الثروات، ١٣٤.

الأراقم: الحيات، ٢٠٣.

أردمون: خشبة توضع في مؤخرة السفينة، ٢٤٢.

إزار: حائط يلزق بآخر أكبر منه لتقويته، ١٥٣.

أسأدنا: أسرعنا السير أو سرنا الليل دون توقف، ١٨٢.

إستِجَة: اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال ريّة بين القبلة والمغرب من قرطبة، ٢٧.

أسنمة: ما يرفع أو يبنى فوق القبر، ٤١.

إخميم: بلد في الصعيد المصري على شاطئ النيل وفيها عجائب كثيرة قديمة، ٥٠.

أغتام: الواحد: أغتم وهو الذي لا يفصح في كلامه، ١٤٢.

أغشت: من شهور الروم، وهو شهر آب، ٤٥، ٢٢٠.

إقطاعات: أموال موقوفة على الكنائس، ٢٥٦.

أكتوبر: من شهور الروم، وهو شهر تشرين الأول، ٢٤١.

أنصِنا: مدينة من نواحي الصعيد على شرقي النيل، ٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهل الجِدَة: أهل الغنى، ١٠٢.

(ب)

بجاة: قوم من السودان يسكنون الجبال يقطعون الطريق على الحجاج، ٥٨.

بحر القلزم: هو شعبة من البحر الهندي وهو ما يسمى اليوم: البحر الأحمر، ٤٩.

بحر فرعون: هو المكان الذي عليه أيلة من بحر القلزم، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون وقومه، ٦٠.

بريا: أو البرباة: اسم أطلقه المصريون على جميع المعابد والآثار القديمة. قال ابن جبير عندما ذكرها: "كذلك يعرف كل هيكل عندهم وكل مصنع قديم"، ٥٠.

البصيص: اللمعان، ٣٧.

البلغريون: لفظة إسبانية معناها الحجاج أو الزوار، ٢٤٣.

بيدق: بوتقة، ٧١.

البيلة: حوض النافورة، معرب، ٤٤.

(ت)

تأثل: امتلك: ٥٧.

تأريج: من تأرج: فاضت منه رائحة طيبة، ٨٠.

تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا، ١٨٢.

التمويل والتسويد: أي قولهم: يا مولاي ويا سيدي، ٢٣٠.

تنور: مفجر الماء، ٧١.

(ث)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثج: سيلان دم الهدي، ١٣٤.

ثرمة: بلد في جزيرة صقلية كثيرة البراغيث شديدة الحر، ٢٥٤.

الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، ١٦٢.

(ج)

الجب: البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر أو التي وجدت لا مما حفره الناس، ٥٦.

جبل لبنان: جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشماء، فما كان بفلسطين فهو الحَمَل، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان، ١٩٨.

جراية الخبز: معونة من صلاح الدين (ت ٥٨٩هـ) للغرباء وأبناء السبيل من المغاربة تكون في كل يوم خبزتين لكل فرد، يفرقها كل يوم إنسان أمين من قبله، ٣٤.

جزيرة أقريطش: جزيرة في بحر المغرب كبيرة، وهي المعروفة اليوم بكريت، ٣١.

جزيرة سردانية: جزيرة في بحر المغرب كبيرة، ٢٨.

جزيرة صقلية: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقيا، ٢٩.

الجَفَلى: الدعوة العامة، ١٠٢.

جلاّب: السفينة، ٥٨.

جيّان: مدينة بالأندلس تتصل بكورة إلبيرة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، ١٩٨.

(ح)

حُجَز: الواحدة حجزة: موضع التكة من السراويل، ٧٤.

الحجف: الواحدة حجفة: الترس من الجلد، ١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حرّابة: رجال الأمير وحرسه، سموا بذلك لأنهم يطوفون به وبأيديهم الحراب، ٧٨.

حراريق: جمع حرّاقة، وهي نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية، ١٣٤.

حَرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضر، وبينها وبين الرهـــايوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، ١٩١.

حِلة: تسمى حلة بني مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، ١٦٦.

الحَلَق: الحظيرة أو الحائط الدائر، ١٣٢.

(خ)

خاتون: السيدة وهي أعلى درجة تبلغها الجارية في القصر، ١٣٨.

الخانقة: الزاوية، ١٩٠.

خليص: حصن بين مكة والمدينة، ١٤٥.

خوانق: قصور مزخرفة يطرد في جميعها الماء على منظر حسن، ٢٢١.

خَوخَة: الباب الصغير يكون بين المسكينن وشبه ذلك، ١٥٢.

الخيلان: الواحد: خال: الشامة في الخد، ٧٦.

(د)

دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية، ٢٨.

دبادب: ما يطبل به مثل الطبل، الواحد دبداب، ١١٨.

دجنبر: من شهور الروم (دسنبر) وهو شهر كانون الأول، ١١٤.

دجوة: قرية بمصر على شط النيل الشرقي على بحر رشيد، ٣٦.

دلون: يجمع على دلالين وهو اسم شراع السفينة في القرون الوسطى، ٢٤٢.

دمنهور: بلدة بينها وبين الأسكندرية يوم واحد في طريق مصر، ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دندرة: يقال لها أيضا: أندرة، بليدة غربي النيل من نواحي الصعيد، ٥٣.

دينصر: ويقال لها أيضا: دنيسر: بلدة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين، بيهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار، ١٨٨.

(ذ)

الذِماء: الحركة وبقية النفس، ٢٦٧.

ذنوب: الدلو المملوءة ماء، ٩٥.

(ر)

رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيسر، ١٨٩.

رساتيق: القرى والضياع، ٢٣٤.

الرشاء: حبل الدلو، ١٤٩.

رمل: مشى بسرعة، ٨٦.

(ز)

زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، ١٦٣.

زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، ١٦١.

زعاق: الماء المر لا يطاق شربه، ١٦٠.

زَهَم: تخمة من الدسم، ٩٧.

(س)

السبال: الواحدة سبلة: مقدم اللحية، ١١٢.

ستائر: حيطان، ٢٣٦.

السُحت: ما نبت وقبح من المكاسب فلزم عنه العار، كالرشوة ونحوها، ١٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السدنة: جمع سادن وهو خادم المسجد أو المعبد، ٤١.

السلجم: اللفت، ٩٦.

سليط: زيت جيد، ١٢٢.

سماط: الصف وشيء يبسط ليوضع عليه الطعام وجانب الطريق، ٩٧، ٢٠٦.

سويرات: مفردها سويرية: مصنر سارية، ٢٠٨.

(ش)

الشؤون: العروق التي تجري فيها الدموع، ٢٣٠.

شآبيب: مفردها: شؤبوب، وهي الدفعة من المطر، ٣٠،٢٤٦.

شاذروان: حائط صغير بجوار الجدار الأصلي لتقويته، ٢٢١.

الشحنة: صاحب الشرطة في دمشق، ٢٣٢.

شقادف: قباب توضع فوق الإبل تقي حر الشمس واسعة، ١٣٩.

شلو: العضو والجسد من كل شيء، ١٢٩.

الشمسية: النافذة، ٢٠٥.

(ص)

صاري: عمود يركز قائما في وسط لسفينة يعلق به الشراع ليسوقها، ٢٤٢.

الصحصح: ما استوى من الأرض، ١٤٦.

الصدى: العطش، ٢٠٠.

الصفارون: النحاسون، ٢٠٦.

صفر: نحاس أصفر، ٧١.

صهريج: حوض الماء، ؟؟

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصوالجة: الواحد صولجان: العصا المعقوفة الرأس، ٢٢٥.

(ض)

ضبة: حديدة عريضة يقفل بها الباب، ٢٦١.

(ط)

طُرَيف: موضع بالبحرين، ٢٧.

طندتة: هي المعروفة باسم طنطا، ٣٦.

(ع)

العج: الصياح ويريد رفع الحجاج أصواتهم بالتلبية، ١٣٤.

عسجد: ذهب، ١٠٢.

عشاري: زورق النجاة، ٢٤٩.

عقد حبوته: أي جلس وجمع بين ظهره وساقية بعمامة أو ثوب، ١٢٤.

العقلة: الوقوف، ١٧٠.

عقيرة: صوت، ٩٩.

عكم: ما يجمع ويشد به من ثوب أو سواه، ٥٢.

عمرة الأكمة: سميت بذلك لأن أهل مكة يحرمون فيها من أكمة إمام مسجد عائشة، ١٠٩.

عهاد: المطر بعد المطر بحيث يدرك الآخر بلل الأول، ١٦٠.

عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم، ٤٩.

عيذب: ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال، ١٦٤.

العيمة: الشهوة إلى اللبن، ١٦٠.

(غ)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غرارة: الجوالق، ٥٢.

غلو: المدى الذي يذهبه السهم حين يرمى به، ٤٤.

(ف)

فبرير: من شهور الروم، وهو شهر شباط، ٢٦٢.

فتخ يديه: ثناهما، ٧٥.

الفحل: الكرة التي في أعلى، ٨٠؛ ووردت بمعنى القبة في قوله: فحل الصومعة، ٨٥.

(ق)

قشاوات: قباب منصوبة على محامل من الأعواد فوق الإبل، شبهها ابن جبير بالتوابيت المجوفة تملأ الفرش الوثيرة، ويقعد الراكب فيها مستريحا، ١٣٩.

قبذاق: مدينة بالأندلس من نواحي قرطبة، ٢٧.

قبرة: كورة من أعمال الأندلس تتصل بأعمال قرطبة من قبلتها، ٢٧.

القد: المقدار، ٧١.

قرطاجنة: بلد قديم من نواحي إقريقيا، قيل: إن اسم هذه المدينة قرطا، وأضيف إليها جنة لطيبها وحسنها، ٢٩.

القرم: الشهوة الشديدة إلى اللحم، ١٦٠.

قرنصة: نحت، ٨٠.

قضافة: نحافة، ٩٥ .

القطانون: بائعو القطن، ١٠٧.

قنبار: قشر جوز النارجيل، يستخدم في صنع المراكب، ٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص، وفتحت قنسرين سنة ١٧ هـ على يد أبي عبيدة بن الجراح، وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا، ١٩٨.

(ك)

كداء: ثنية عليها اسم شبيه البرج، يُخرج منها إلى طريق العمرة، ٨٨.

كذان: حجارة رخوة نخرة، ٢٥٦.

كرزية: نوع من العمائم، ٧٨.

الكمادون: صابغو الثياب، ٢٠٦.

كوثرية: قراءة بعد صلاة العصر في جامع دمشق يقرؤون فيها سورة الكوثر إلى الخاتمة، ٢١١.

كوس: جمعه: كوسات: وهي صنوج من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويتولى ذلك "الكوسي"، ١٤٧.

كيزان: الواحد: كوز وهو إبريق صغير، ٨٩.

(ل)

اللقف: التناول بشرعة، ١٠٥.

اللقي: الشيء المطروح، ١١٤.

ليس رشدة: ابن زنى، ٩٤.

(م)

الماذي: العسل الأبيض أو جيده، ٩٧.

مارس: من شهور الروم، وهو شهر آذار، ١٣٢.

مارستان: ويقال له: البيمارستان: وهو دار المرضى، معرّب، وكان البيمارستان دارا للعلاج ومكانا لتدريس الطب، ٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مايـة: من شهور الروم، وهو شهر أيار، ١٦٧.

المجهلة: الأرض لا يهتدي فيها ٥٨.

محارات: قباب تشبه القشاوات ولكنها دونها في الراحة، ١٣٩.

محارس: مفردها: محرس وهو مكان مخصص للدارسين والزهاد والمسافرين، ٣٣.

المحاضر: المدارس، ٤٣.

المذانب: الجداول والمسايل، ١٦٠.

مراكن: الواحد مركن: إناء لغسل الثياب، ؟؟

المرقبة: المكان المرتفع يعلوه الرقيب، ١١١.

المسبغة: الجوع، ٢٣٨.

مَسبَّلة: من سبل الماء: جعله في سبيل الله، ١٠٠.

المستوفز: الماضي المسرع، ١٧٠.

مصنع: الواحد: مصنعة وهو المبني قصرا كان أو حصنا، ٣٧.

مكس: الضريبة التي تؤخذ ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها: مكوس، ٤٦.

منبج: مدينة كبيرة واسعة، وكان عليها سور مبني بالحجارة محكم، وبينها وبين الفرات ثلاثـــة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، ٢١٠.

المهمة: الصحراء البعيدة، ١٤٦.

ميثاء: الرملة اللينة السهلة، ٥٦.

ميرة: طعام يجمع للسفر ونحوه، ١٠٦.

(ن)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ناض: يقال: نضّ الماء نضّا: سال قليلا قليلا، ويقال: نضّ له بشيء: أعطاه قليلا، والمقصود بالناضّ عند ابن جبير العملة المطبوعة من فضة أو ذهب، ٣٢.

الناطفيون: هم الذين يصنعون الناطف أو يبيعونه وهو نوع من الحلوى، ٢٠٧.

النجب: الواحد نجيب: الكريم من الإبل، ١٠٥.

نواتية: رؤساء المركب، ٦١.

نوفبر: أو نوفمبر: من شهور الروم، وهو شهر تشرين الثاني، ٢٤١.

(هـ)

هوّمنا: نمنا قليلا، ١٨٢.

هيئة اختصار: في غير زينة، ٧٨.

(ي)

يناير: من شهور الروم، وهو شهر كانون الثاني، ١٢٣.

يونيه: من شهور الروم، وهو شهر حزيران، ١٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع

أولا: الكتب

ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي. **الحلة السيراء**، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

أحمد، أحمد رمضان. **الرحلة والرحالة المسلمون**. جدة: دار البيان.

الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**. تحقيق عبد العال سالم مكرم. القاهرة: علم الكتب. ٢٠٠٠م.

الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ا بن أبي سعيد. **الإنصاف**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول. بيروت: المكتبة العصرية.

بالنثيا، آنخل جنثالث. **تاريخ الفكر الأندلسي**. نقله عن الإسبانية حسين مؤنس. من مختارات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

التجيبي، قاسم بن يوسف. **مستفاد الرحلة والاغتراب**، تحقيق وإعداد عبد الحفيظ منصور. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥م.

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي. **رحلة ابن جبير وهي الرسالة المعروفة تحت اسم اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**. قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز في علم البيان**. تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا. القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٦١م.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٢.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **اللمع في العربية**. حققه فائز فارس. الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع ومكتبة الكندي، ١٩٨٨م.

حسان، تمام. **مناهج البحث في اللغة**. ط٢. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٤م.

حسن، عباس. **النحو الوافي**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م.

حسين، محمد الخضر. **الرحلات**. جمعه وحققه علي الرضا الونسي. ١٩٧٦.

حسين، نصار. **أدب الرحلة**. القاهرة: الشركة المصرية، ١٩٩١م.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن الخطيب، لسان الدين. **الإحاطة في أخبار غرناطة**. حققه محمد عبد الله عنان. القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشرم ١٩٧٤م.

دراز، طنطاوي محمد. **الابتداء وتواسخه**. القاهرة: دار الحكمة اليمانية، ١٩٩٥م.

ديب، إلياس. **أساليب التأكيد في اللغة العربية**. بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٨٤م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعلام النبلاء**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

رقب، شفيق محمد. بلاد الشام في رحلة ابن جبير. **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٢٨، المجلد٢.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. **المفصل في علم العربية**. ط٢. بيروت: دار الجيل.

زيادة، نقولا. **الجغرافيا والرحلات عند العرب**. بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زيتوني، لطيف. **السيميولوجيا وأدب الرحلات**. عالم الفكر. المجلد ٣، العدد ٢٤.

السبتي، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي. **مستفاد الرحلة والاغتراب**. ليبيا: الدار العربية للكتاب. ١٩٧٥م، ص ٢٤٣.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي. **الأصول في النحو**. ط٣. تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

سعيد، إبراهيم أحمد. **الحجاز في نظر الأندلسيين والمغاربة**. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. **الكتاب**. الجزء الأول. ط ٣. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

السيوطي، جلال الدين. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. شرح وتحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١م.

الشامي، صلاح الدين. **الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية**. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢م.

الشامي، صلاح الدين. **العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية**. عالم الفكر. مجلد ١٣، عدد ٤.

ضيف، شوقي. الرحلات. القاهرة: دائرة المعارف. ١٩٨٧م.

عباس، إحسان. **دراسة في الرحالة ابن جبير الأندلسي البلنسي الكناني وآثاره الشعرية والنثرية**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م.

عبد اللطيف، محمد حماسة. **بناء الجملة العربية**. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

عتيق، عبد العزيز. **علم المعاني**. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن عصفور، علي بن مؤمن. **المقرب**. تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الخالق الجبوري، بغداد: مطبعة العاني.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله العقيلي. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

الغزو، يوسف. ابن جبير وأدب الرحلات. **المجلة الثقافية**، العدد ٣٧.

فاخر، علي محمد. **شرح المقرب لابن عصفور**. مطبعة السعادة، ١٩٩٠م.

الفضلي، عبد الهادي. **دراسات في الفعل**. بيروت: دار العلم، ١٩٨٢م.

فهيم، حسين محمد. **أدب الرحلة**. الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٩م.

كحالة، عمر رضا. **معجم المؤلفين**، تراجم مصنفي الكتب العربية. بيروت: مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي.

كراتشكوفسكي. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**. نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا. **أسرار النحو**. تحقيق أحمد حسن حامد. عمان: دار الفكر.

الكوفي، نجاة عبد العظيم. **بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو**. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

مؤنس، حسين. **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**. ط٢. القاهرة، ١٩٨٦م.

مؤنس، محمد. **الجغرافيون والرحالة المسلمون**.القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٥م، ص ٣٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مال الله، علي محسن عيسى. **أدب الرحلة عند العرب في المشرق**. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٨م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. **المقتضب**. تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.

محمود، حسني. أدب الرحلة عند العرب، **رحلات أمين الريحاني نموذجا**. الوكالة العربية للنشر والتوزيع.

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي. **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.

مطرحي، محمود. **في النحو وتطبيقاته**. بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠٠٠م.

معجم لسان العرب.

المقري: أحمد بن محمد. **نفح الطيب**. حققه إحسان عباس. بيروت: دار صادر. ١٩٨٨م.

المقريزي، تقي الدين. **المقفى الكبير**. تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

أبو المكارم، علي. **الجملة الفعلية**. القاهرة: مكتبة الشباب.

المنجد، صلاح الدين. **المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى**. بيروت: دار الكتاب الجديد.

المنذري: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم عبد القوي. **التكملة لوفيات النقلة**. حققه بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

مينورسكي، م. ف. الجغرافيون والرحالة المسلمون. ترجمة عبد الرحمن حميدة. الكويت، ١٩٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. **إعراب القرآن**. تحقيق زهير غازي زاهد. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

نصار، حسين. **أدب الرحلة**. القاهرة: الشركة المصرية العالمية، ١٩٩١م.

نهر، هادي. **التراكيب اللغوية في العربية**. عمان: دار اليازوري، ٢٠٠٤م.

هارون، عبد السلام. **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٩م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**. ط ٦. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الندوة الجديدة، ١٩٨٠م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار الفكر، ١٩٠٠.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٢م.

ياقوت حموي، شهاب الدين أبو عبد الله. **معجم البلدان**. ١٩٠٦م.

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي النحوي. **شرح المفصل**. بيروت: عالم الكتب.

ثانيا: الرسائل

رضوان، عبد الرحيم. **بناء الجملة الفعلية في ضوء علم اللغة المعاصرة**. رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، ١٩٨٤م.

عبد العزيز، قاسم أحمد. **ابن جبير حياته وأدبه**. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ABSTRACT

The journey of Ibn Jubayr

A descriptive syntical study

Using different linguistic styles of writing, Ibn Jubayr scketches places, countries and sacred spots he saw during his trip in the eastern world. His way of constructing his sentences is quite distinguished. It reveals his inner feelings whenever the place astonishes him and envites his admiration.

Ibn Jubayr uses simple and augmented verbal sentences, emphatic and non- emphatic sentences, activated and passivized sentences. He uses the emphatic style whenever he talks about sacred spots and when he talks about the orator and his influence on the addresee. When actions concerns him more than their doers, he tends to use passive sentences.

Three patterns of nominal sentences are exploited by Ibn Jubaryr depending on the type of topic used: whether a prominent noun, a pronoun or a demonstrative pronoun. The comment, on the other hand, could be either an isolated noun, asentence or aprepositional phrase (he frequently uses the third type).

It seems that Ibn Jubayr was astonished by the eastern world. Exclamatory sentences and overstated phrases are frequently observed in his writing.

Moreover, Ibn Jubayr's religious background has affected his way of writing, this is obvious in sentences of prayers and God praising.

In order to pursue accuracy in his descreption of places, Ibn Jubayr uses sentences in which numbers, quantities and dates are given.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University